

روايات (الهلال)

فنيول سامز

# الركض مع الفرسان





## روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

تصدر عن مؤسسة  
دار الهلال

العدد ٤٦٠ - أبريل ١٩٨٧

شعبان - ١٤٠٧ هـ

No. 460 APR. 1987

### ● الاشتراكات ●

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية  
مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادى وفى بلاد  
اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر  
دولارا او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر أنحاء العالم  
عشرون دولار بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال  
فى ج . م . ع نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى  
الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال .  
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة  
اعلاه عند الطلب .

اسعار البيع فى البلاد العربية للاعداد العادية من  
سلسلة روايات الهلال فئة ٧٥ قرشا للقارىء فى مصر

سوريا ١٨٠٠ ق س . لبنان ١٨ ليرة . الاردن ٥٠٠ فلس  
الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ١٦٠٠ فلس . السعوديه ١  
ريالات . السودان ٢٥٠ ق سودانيا . البحرين ١٢٠٠  
فلس . الدوحة ١٢ ريال . دبي ١٢ درهما . ابو ظبى ١٢  
درهما . مسقط ١٢٠٠ بيسة . تونس ١٦٠٠ مليم . المغرب  
١٥٠٠ فرنك . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ١٠٠٠ فرنك .  
اليمن الشمالية ١٥ ريال . عدن ١٤٤ سنتا . الصومال ١٣٠  
بنى . لاجوس ١٢٠ بنى . ايطاليا ٣٠٠٠ ليرة . لندن ١٥٠  
سنتا . اثينا ٢٠٠ دراخمة . كندا ٥٠٠ سنت . البرازيل ٦٠٠  
سنت استراليا ٦٠٠ سنت

لدارة دار الهلال ١٦ شارع محمد عر العرب - الد  
شيعور ٢٦٢٥٤٥٠ سعة خطوط

رئيس مجلس الإدارة

مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير

مصطفى نبيل

سكرتير التحرير

محمود قاسم



# روايات الله

---

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فتمنى  
الاسكندرية

# الارض مع الفرساج

الجزء الثاني

تأليف

الكاتب الأمريكي  
فيرويل سامز

ترجمة

دكتور  
أمين الحيوطي



دار الهلال



ظل الصبي مشغولا في المزرعة طيلة ذلك الصيف . جاءه بدى في باكورة الموسم واقنعه ان يكلم ابيه . ونتيجة لهذا اصبح لديه ولدى بدى خمسة افدنة من البطيخ يزرعونها مناصفة . وفر الاب لهما الارض ، البغال ، السماد ، والبذور . ووفر بدى والصبي المجهود . كانت مسئوليتهم تنحصر في جمع البطيخ وبيعه . وعند انتهاء المحصول ، كانا سيكرسان يوما للتسوية . كان كل المال سيجمع ، وتقدم فواتير السماد والبذور ليتقاسماها بالنصف ، ثم تقسم الارباح بالتساوي ، فيذهب نصفها للاب ، والنصف الثاني لبدي والصبي .

كان هذا اجراء موحدا لكل المزارعين في المزرعة ، فيما عدا ان الصبيين لم يكن عليهما ان يدفعا فاتورة البقالة علاوة على ذلك . كانا يحلمان ان يكونا ثروة . وكان بدى لا يزال عليه ان يساعد اياه في زراعة محصول الاسرة ، وكانت ادارة مشروع البطيخ تتم اثناء وقت قراغه .

اختار قطعة ارض من خمسة افدنة من الارض التي تركت بلا زراعة في العام السابق وكانت سيقان الاعشاب الميتة ترتفع فيها بطول قامة الرجل . نظفوا الاسطبلات وفناء حظيرة الابقار ونثروا السماد كثيفا على البقعة المفضلة . كان بدى متحمسا .

« الجميع يقولون ان الارض الرمادية تنتج افضل بطيخ ، ياسامبو ، لان هذه الارض العجوز الحمراء هنا سوف تحتفظ بالرطوبة بشكل افضل والتقويم يقول ان هذا الصيف سيكون جافا . . والجميع يزرعون في ارض رمادية وهي لن تحتفظ بالرطوبة . ونحن نزرع الارض الحمراء . وهي صخرية ، لكنها خصبة اذ انها لن تجف . سوف نحصد كثيرا من البطيخ ، يا فتى . وسوف نحصل على بعض المال . »

تأثر الصبي بسبب بدى في جوانب القموض في التقويم . كان الصبي قد انتهى الصف التاسع ، في حين توقف بدى في الصف السابع ، ومع ذلك كان شريكه قادرا على حل الفاز الرسائل الخفية



فى تقويم جريب فى لمح البصر . لم يخطر للصبي أن قراءة بدى الوحيدة كانت تتألف من هذا التقويم ذاته ، بالإضافة الى آثار اللوح ، وكتالوج روبك .

سأله الصبي باحترام ، وهو يجاهد وينفخ فى أداة لنشر البذور مليئة بالسماذ ، « هل سنزرع حسب العلامة ، يابدى ؟ »  
واكد له صديقه : « انت على حق فى أننا سنفعل هذا . سوف نفعل كل شيء بالضبط تماما فى رقعة البطيخ العجوز هذه . وسوف تكسب بعض المال أيضا . فإذا أمكننى أن أحصل على صافى خمسين دولارا من هذه البطيخات ، فلدى مشروع » .

« أى مشروع ، يابدى ؟ انت تعلم أننا لن تكسب خمسين دولارا لكل واحد منا من هذه البطيخات . تلك كومة من المال . »  
« أعرف أن تلك كومة من المال ، ياسامبو . وهو كومة من مشروع أيضا . ولكن لا تشغل بالك به . لتأكد أولا من كسب المال هيا ، أيتها الأرض الحمراء ، اننى أراهن عليك » .

عملا لمدة اسابيع . كان بدى يستطيع أن يعمل على البطيخ فقط حينما كان ينشغل بالقطن ومحاصيل القطن التى كان أبوه يزرعها مناصفة مع أبيه . وبينما كان الصبي فى المدرسة ، كان بدى يأخذ الخراطة التى يجرها حصانان ويقلب السباخ والنباتات الميتة تحت التربة ، بينما كتفاه الضخمان ويداه الثابتتان توجه البفال نحسو شق التربة بعمق الركبة تقريبا ، ثم يقوم بتسويتها ولا يعلم احد بالتأكد المدة التى قضاها فى تسوية الأرض . وعندما ذهب الصبي ليفتش عليها ، كان الحقل كله مستويا ومنتفخ المظهر مثل لحاف فرد جديدا فوق سرير جدته الريشى .

كان الحقل يبعد ثلاثة ارباع ميل كاملة عن الطريق الكبير اسفل مدق العربات وهو البقية الباقية من قطع الاشجار قبل عشر سنوات . كان الطريق يلتف حول حافة أسفل الأرض ، ثم يدور حول سفح التل الأحمر الكبير ثم يصعد تلالا أصغر خلال اشجار صنوبر نمت من جديد واشجار فار . وكان يلتف حول منحني آخر ثم يندفع فجأة فى المساحة المقطوعة الشجر التى كانت الحقل ذى الافدنة الخمسة . كان يقع تقريبا خلف المزرعة ، على بعد ميلين من البيت .

وعندما سأل الصبي عن الحكمة فى زراعة هذه القطعة التى تبعد عن الحظيرة وأشار الى الوقت الإضافى للوصول اليها والعمل الإضافى فى نقل الامدادات على هذا البعد ، نظر اليه بدى وابتسم



## ابتسامة عريضة .

« هذا ! أحد أسباب حبي لهذا الحقل المعجوز في الأراضي الحمراء .  
فهو ليس في متناول الناس الذين يريدون سرقة البطيخ . ولن يعثر  
عليها أحد بطريق الصدفة . والناس الوحيدون الذين يعسرفون  
بوجودها هنا هم الناس الذين يعيشون على هذه المزرعة ، وعندما  
تنضج هذه البطيخات سأكون منتظرا هنا في حالة إذا ماجأنا زوار .  
إنها بعيدة إلى الخلف هنا بحيث لا يستطيع أحد أن يجرب بطيخة ،  
وسيكون أكل واحدة على الأرض أمرا متلفسا لأعصاب أي  
واحد . »

« يا الهي ، يابدي ، لم أكن حتى قد فكرت في أن يسرق أي  
شخص منا . فلن تكون كافية بحيث تصل إلى أي شيء ، اليس  
كذلك ؟ »

« ياسلام ، أي هراء تتكلم به ! فبعد أن يكون عشرون ممن يعيشون  
من العمال في بيت أبيك قد أخذوا منه مرتين ، تكون قد خسرت  
أي مال يحتمل أن تكسبه . » شبك إبهاميه في شرائط حلة عمله  
ولوى أصبع قدم كبير في التراب .

« واصل كلامه » وبالإضافة إلى ذلك ، فالطريقة التي انظر بها  
إلى الأشياء هي أنه إذا كان أحد يريد بطيخة فإنه يستطيع أن يزرع  
بطيخه هو . فهذه البطيخات سوف تباع . ولن نوجع أدمغتنا أنا وانت  
طوال الصيف لمجرد أرواء شخص آخر . »

نظر إلى الصبي ثانية : « وفوق كل هذا ، فأنت لا تفهم ، يا ولد ،  
هناك شيء بين الزوجي والبطيخ مجرد انجذاب طبيعي بين الاثنين .  
ولا تظن أن هذه سرقة حقا أنها مثل حيوان الإبسوم على شجرة .  
إنهما يتلاءمان معا فقط . »

سأل الصبي ، وهو يشعر بالراحة والاسترخاء لاستخدام يدي  
للتحديد العرقي وإن كان يدرك تماما أنها كانت كلمة محرمة بالنسبة  
له ، « حسنا ، وكيف ستبعدهم عن هنا ؟ »

أجابته يدي : « لا تشغل بالك ، لا تشغل بالك بهذا الآن .  
دعنا ننضج البطيخ أولا . مازلت أدرس الأمر ، وسوف نفكر في  
كل شيء . »

في اليوم الذي انتهى فيه يدي من تسوية الحقل ، كان عائدا  
وقت الشفق بالبقال في حين كان الصبي يفادر حظيرة الإبقار حاملا  
دلوين من الحليب الطازج برغوته .

أعلن : « سامبو ، لقد انتهيت . نستطيع زراعتها يوم السبت .  
أستطيع تخطيط الخطوط وعدها غدا ، ونستطيع نحن الاثنين أن نعمل  
عليها يوم السبت ونضع البذور في الاكوام .

« عظيم ، يابدي ، يؤسفني ان عليك ان تقوم بكل العمل الثقيل  
وحدك ، ولكن هناك أسبوعين آخرين قبل ان افرغ من المدرسة لابد  
أنك متعب الى حد السقوط . »

« لست متعبا الى هذا الحد ، وانت لاتزعج بشأن العمل . فأنا  
شاب وقوي وأستطيع ان اقوم به ببساطة . وقد قمت بنصصيك  
حين اقنعت اباك بأن يدعنا نأخذ الارض . »

حمل الصبي الحليب على طول الحارة الى المنزل وهو يشعر بدرجة  
من التدني غير مريحة .

وفي صباح اليوم التالي استيقظ مبكرا على غير العادة ، وأسرع  
بأداء أعمال الحلب ، وملا الصندوق الخشبي بخشب للموقد لذلك  
اليوم ، وتصور انه كان لديه مزيد من الوقت لزيارة الحقل قبل  
الافطار والمدرسة .

كان ضوء النهار جيدا ولكن الشمس لم تكن قد طلعت بينما كان  
هو يسرع على طول طريق الحقل خلال الغابات . كان يعشق وجوده  
خارج البيت في هذا الوقت من النهار . كان هناك صمت يكاد يكون  
ثقيلًا . كان كل ضجيج حشرات الليل قد سكن ، ولم يبدأ بعد  
ضجيج النهار فيما عدا نداء الدج الناسك المبكر جدا ، السرى جدا  
قرب الجدول . كان هناك دائما شعور بآثارة متوقعة في هذا الوقت  
من النهار في هذا الوقت من السنة . كان يشبه دوران الارض النائمة  
الثقيل بالعباء شمس الصباح بساقية هائلة غير مستعدة بالضبط  
للقاء حملها المبلل الذي رفعته الى قمة دائرتها .

قاطع خياله تلوي ثعبان أسود طويل عبر الممر امام قدميه العاريتين  
مباشرة . قفز ثلاثة اقدام في الهواء دون ان يفقد خطوته وشعر  
بتمایل قلبه الفجائي في حلقه . عنف نفسه بهمسة مذهولة وهو  
خجل من خوفه ولكنه غير قادر على التحكم فيه ، « يا الله الطيب  
القدير ! »

وأعترس في صمت ، أفقر لي ، ايها الرب ، لاستخدامي لاسمك  
عبثا . وخاصة حول ثعبان أسود عجوز سخييف بل انه ليس ساما  
على أية حال .

اننى اتساءل ان كان من نوع سوط العربة ، تساءل وهو يسرع



أسفل الطريق . لم يكن قادرا على التمييز بين سوط العربية ، والشعبان الاسود العداء ، وثعبان الدجاج . وكان قد وصل الى قرار بأن الكبار كانوا غير قادرين على هذا ايضا .

كانت تاييها قد ملأته رعبا منذ عدة سنين . كانت قد اكدت بنبرة مؤكدة بحيث لم يكن في وسع أى مستمع ان يشك فيها ان سوط العربية الرائع يمكنه ان يطارد طفلا حتى يمسك به ، ويلتف حصول الضحية ، ويسيطر حتى الموت . وعندما ينتهى هذا العمل الضارى ، فان الشعبان يفك نفسه عن الجسد المجمع الذى يثر الشفقة . وقبل ان يمضى ، على أية حال ، فانه كان يدفع ذيله الحاد فى كل فتحة أنف صغيرة على أية حال ليتأكد انه لم يكن هناك نفس حياصة باق . وقد كان الأطفال السيئون جذابين بشكل خاص بالنسبة لسياط العربية .

كانت بهذا قد فعلت الكثير بحيث تجعل جمع التوت مقبولة مشرة بالنسبة للصبي لكنها كانت قد قوضت مصداقيتها حين اصبح اكبر منا . تذكر هذا وضحك ضحكة خافتة وغفر لنفسه انه خاف .

وعندما انعطف حول المنعطف الاخير فى الطريق ، أبحرت بومة نفاقة كبيرة فى صمت وغموض فى طريقها الى بيتها امامه تماما ، واندفع من النفق المورق الى انفساح الحقل اللانهائى .

كان ذلك الحقل يرقد هناك فى الضوء المبكر ليوم ربيعى ، احمر ومستديرا مثل ياقوته ، تحف به خضرة الاعشاب الصغيرة جدا وقد نعمها الندى ، وسطحه يبدو ناعما لم يشوه حتى الان ، فى شكل خطوط . كان هناك خط شبورة باهت يطفو فى خيوط رفيعة على ارتفاع عشرة اقدام من سطحها ، وفى الجانب البعيد كانت الاشجار العالية يسقط عليها اول ضوء للشمس الطالعة فى فروعها العليا . هناك كان الحقل يرقد ، بكرا ينتظر .

جذب الصبى نفسا عميقا من الهواء العليل اللاذع . وقال لنفسه ، هذا المكان سحرى . وأنا لا أريد أى شخص يقسم بالسرقة هنا . بل انى لا أريد أى واحد ان يرى حتى هذا المكان ما عدا بدى وأنا .

وواعيا بالزمن مرة اخرى ، استدار واسرع عائدا . وقبل ان يصل الى الطريق الكبير مباشرة ، لقي شريكه يسوق العربية محملة بالجرافات وآلات اخرى .



« صباح الخير ، يابدى . اليس يوما جميلا ؟ لقد أدت عملا طيبا حقا فى ذلك الحقل العجوز . لم ار من قبيل حقا جميلا كهذا . »

« نعم ، انت على حق . انه يبدو جميلا حتى الان . وسوف نكسب منه مالا ، ايضا . »

« انه جميل الى درجة اننى قد لا اكون طيبا . فربما اكتفيت بزراعة البطيخ بقية عمرى . » قالها الصبى ، وضحك . اجابه بدى بانسامة ، « لا تغير رأيك فى صباح من هذا النوع ، يافتى . انتظر حتى يكون الجو حارا فى احد الايام وظهرك يوجعك ، لانك قررت ماهو صالح . لابد ان اذهب . اصعدى الى هناك ، يابت . » قعقت العربية ودوت وهى تختفى عن الانظار فى حين أسرع الصبى الى البيت لتناول افطاره .

وفى يوم السبت التالى زرع الصديقان رقعة البطيخ الخاصة بهما . فرست ثلاث بدور بالضبط فى كل كومة . كان الصبى متشككا حول زرعها متباعدة الى هذا الحد لكن بدى اكدها ان النباتات المعترشة كانت ترسل سيقانا ممتدة يتشابك احدها مع الآخر . سأل الصبى جده العليم بكل شئ عن هذه النقطة ، فاكدها . وبعد ذلك لم يشك الصبى فى حكم بدى مرة اخرى .

كان لديه وقت فراغ أكثر من بدى فقام بزيارة الحقل كل يوم . وفاضت نفسه بالاثارة فى اليوم الذى وجد فيه السطح الاحمر منقطا بدرات خضراء صغيرة اسفل الخطوط العريضة ، وراح يراقب الاوراق المشعرة تنمو بين عشية وضحاها تقريبا فى مجموعات من النبات طيبة الحجم تنبثق مثل ملايح رقيقة على الحقل الاحمر . وعندما بلغ طول السيقان الممتدة اربعة اقدام ،لقى الصبيان نيترات الصودا حول كل نبتة . وعندئذ سار على طول الخطوط وحرك كل ساق برقة فى صف واحد فى حين جاء بدى خلفه بالبغل وجرف التربة الحمراء المتفتتة بوفرة دافئة حول النباتات .

وسرعان ماغطت النباتات المعترشة الحقل بسجادة كثيفة الى درجة ان الرقع الحمراء البارزة فقط كانت تبدو من خلال اللون الاخضر . وظهرت النوارات الصفراء وتبعها بوقت قصير كرات خضراء صغيرة متماسكة جامدة كانت تبدو كما لو كانت تكبر كل يوم امام عيني الصبى اللتين تمتلكانها . ولما كانت كبيرة وكثيفة بحيث لا تحتمل تجريفا اكثر ، فقد كانت عملية نزع الاعشاب عن النباتات

المعترشة تتم الآن يدويا .

أصبح هذا شغف الصبى . كان بدى مشغولا يحرق القطن لابه ، وسرعان ما اكتشف الصبى أن خمسة افدنة كانت أرضا هائلة بالنسبة لشخص واحد يقتلع اعشابها . اقتلع اعشاب الكوكل ، والبن البرى ، وعشبة الرجيد الامريكية ، والاعشاب السامة بالالاف وما ان غطى الحقل حتى كان عليه أن يمر عليها ثانية . وفى جولات التفشير فى عصر يوم الاحد ، أكد له بدى انه يبالغ فى هذا وان الاعشاب التى توجد فى المنتصفات لم تكن تحتص القسوة من النباتات . لم يقتنع الصبى .

ذهب اليه قائلا ، « انها تبدو افضل بكثير ، يابدى ، اذا اقتلعت الاعشاب من الحقل كله بدلا من اقتلاعها من حول الاكوام فقط . فهذا اجمل محصول رأيته فى حياتى . »

واجابه الناصح الامين ، « نعم ، هو جميل حقا ، لكنه مختلف تماما عن المال ، وهذا هو هدفنا . ولكن امض قدما واقتلع كل الاعشاب العجوزة هنا ، ياسامبو ، انت على حق ، انه جميل بكل تأكيد . »

وعندما أصبح البطبخ فى حجم قبضتى رجل ، قرر بدى ان الوقت قد حان لحماية المحصول من الفريان الجريئة النهمة . استمتعا وهما يشكلان خيالى مائة من اودية قديمة . كان احدهما رجلا والاخر امرأة ، وضحكا كثيرا وهما يقرران من كانا يشبهان . نصح بدى الصبى أن يحركها فى جنبات الحقل الى مواقع مختلفة ، حيث انه كان يزورها يوميا على اية حال .

ونصحه بأن الفريان كان من الصعب استئصالها ، لكنها كانت مفعمة بالشك من أى شىء لا تفهمه . ثبت الشريكان اعمسدة فى الارض حول محيط الحقل ولفوا حولها كلها خيوطا بيضاء ثم فى مربعات متقاطعة فوق الحقل ولفوا حولها كلها خيوطا بيضاء ثم فى هذا كان يمثل اما سورا او شبكة تهدد حياتها وان تخشى الهبوط داخل حدودها . تعجب الصبى من حكمة بدى .

وفى اليوم الذى أقاموا فيه الخيوط ، كانوا قد حملوا غداءهم الى الحقل : لبنا مخضوضا ، قطع خبز بلحم الخنزير ، وحبسة بطاطا لكل منهما . وبعد التهام الطعام تمزدا على الارض فى ظلال شجرة بلوط حمراء كثيفة . استند الصبى على أحد مرفقيه ، وانتزع قطعة عشب ، وراح يقضم ساقها الغض الملىء بالعصير .

وغامر ثان يقول ، « بدي ، ما الذي يجعل الناس يحتلمون ؟ »  
رفع بدي رأسه لفتر قصيرة ونظر الى الصبي ، واسقط رأسه  
ثانية ، ونظر الى أعلا في فروع شجرة البلوط ، واجساد بشيرة  
مرتجلة ، « اوه ، انك فقط تكون هذه المادة بداخلك ثم لا بد لها أن  
تخرج من هنا . هل حلمت حلما . »

اجابه الصبي بسرعة ، « لا ، انت تعرف اننى لست كبيرا بما فيه  
الكفاية بعد . كيف تكون ؟ »

« اننى اكرهها ، وهى عندئذ مخيفة نوعا ما ايضا . اول مرة حدث  
لى فيها هذا ، كانت امى تطاردنى بعضا مقشدة . فجريت تحت  
الطاولة وتحملت الى قار صغير ، الى ميني ماوس وجاء ميني ماوس  
ودفع بديله فى سررى واستيقظت على شعور بان سريرى كله  
متسخ . »

امسك الصبي انفاسه ولم يجب .

« انهم يقولون انك لا تصاب به أبدا اذا اكثرت من الاتصال  
بالبقيات ، وانا اعلم انه لا ياتيك كثيرا بعد أن تجهد نفسك فى  
العمل . دعنا نسرع وننتهى من هذه الخيوط . فهذه الغربان اذكى  
منا . »

وعندما نهضا ، القى بدي نظرة على الصبي . « هل تعرف  
المشروع الذى كنت اتكلم عنه . سوف اخبرك لماذا اريد هذا البطيخ  
العجوز ان يصل الى شىء ما . واياك ان تخبر احدا ايضا . فبعد  
ان آخذ الخمسين دولارا ، سوف اتزوج هذا الخريف . فقد كنت  
اصاحب تة لمدة سنتين الان . وابوها يعيش فى بيت السيد  
كارسون كليفتون ، وقد اخبر والد تة انه سوف يسمح لى ان يكون  
لى محصول فى العام القادم . ولديه بيت من حجرتين يستطيع ان  
أخذه ايضا . وهو صغير ، لكن به بشرا طيبة من الماء . وتنت لا تريد  
ان تضطر الى جبر الماء . والآن انت تعرف لماذا يجب ان تكسب بعض  
المال ، ولكن لا تخبر احدا . فامى وابى لا يعرفان عن هذا شيئا  
حتى الان . »

وعده الصبي ، وقد اتسعت عيناه لهذا الاصرار « بالله ،  
يابدي ، لن اخبر مخلوقا . » عملا بسرعة وعادا الى البيت فى صمت  
مخفف حلو العشرة . وعندما افترقا عند ممر العربات المؤدى الى  
البيت الكبير جرر الصبي قدميه وحيدا ، وخطر له ، ذيل ميني  
ماوس ! ذيل ميني ماوس ! ربما لم يكن شخصا غريبا فى النهاية .



أحني رأسه . همس ، « يا أبانا الذي في السماء ، أرسل رذاذ المطر  
واجعل هذا البطيخ ينمو . فصديق خادمك المتواضع بحاجة الى  
الزواج . ارحمنا جميعا ، أيها الرب . آمين . »

بعد ذلك ببضعة أيام تعرف الى صديق جديد . كانت المقاطعة  
تشتغل على الطريق أمام البيت . جاء الحراس بينادقهم ومسدساتهم  
وبندقيات الرش ومعهم عصبة من الرجال مقيدون بالسلاسل من  
معسكر المساجين الذي يقع خارج بروتنتون ، وهم يركبون في آخر  
الجزء الخلفي من شاحنة مسطحة عتيقة . كانوا يصلون كل  
صباح بعد ساعة من طلوع الشمس ويرحلون قبل ساعة من غروبها .  
كانوا جميعا يرتدون حلا متماثلة بخطوط بيضاء وسوداء عريضة  
افقية ، وكانوا جميعا حلقى الرأس . كانت تسبقهم دورية راكبة ،  
او كاشطة ارض تشبه هيكلًا عظيمًا بعثت فيه الحياة لديناصور متاني  
الخطى ، تحفر أولا محتويات حفرة ثم حفرة اخرى ، وترسل دخان  
جازولين وتهدر عندما كان الامر يتطلب مجهودا اضافيا فجائيا .  
كان الرجال المترجلون يقطعون الشطأ ببلطات ، وينقلون التراب  
بمجارف ، أو يبدلون المجارى ويضعون ألواح جديدة من البلوط  
في الكبارى المتهالكة . كان يراقبهم في كل دقيقة حراس صامتون  
متينو البناء لا يتركون بنادقهم دقيقة . وكان مأمور السجن يخرج  
مرتين او ثلاثا في اليوم في شاحنة خفيفة ليتأكد ان كل شيء كان  
يجرى على وجه صحيح . كان الحديث بين الجماعة المقيدة بالسلاسل  
طفيفا ولم يكن هناك أى غناء على الإطلاق .

فزع الصبي لمراى اربعة من السجناء مقيدون بأطواق حديدية  
حول كواحلهم وتربطهم سلسلة ثقيلة الوطء . وبالتالي كان هؤلاء  
الرجال يسرون بخطوة جانبية متعثرة تماما ، هكذا خطر له ، كما  
لو كانوا قد كسروا أكفالههم . كان ثلاثة منهم بيضا والرابع اسود .  
وبدون أن يحذره أحد خاف منهم قرينيا وحافظ على مسافة حريصة  
بعيدا عنهم .

كان الرجل الذي يدير كشط الطريق ملونا ، لامع السواد ، ونحيفا  
بشكل حاد . كان « موضع ثقة » ، وهو ما كان يعنى انه كان يتمتع  
بحريات معينة حرم منها الآخرون في الجماعة المقيدة بالسلاسل .  
كان بإمكانه أن يترك الطريق ليفرغ أحشائه بين الشجيرات دون أن  
يتبعه حارس . وكانوا يرسلونه في مهمات بثقة كاملة انه سيقف  
يرجع . وعلاوة على هذا ، كان يتمتع بدرجة غير ضئيلة من الاحترام

لانه كان يفوق الآخرين معرفة بالعملية وصيانة الآلة أكثر من أى شخص ماعدا الأمور نفسه .

سمع الصبى صدفة ، وهو غير ظاهر للعيان لكنه منتبه ، أحد الحراس يقول ان جارفيلد كان بالتأكيد زنجيا طيبا وان من العار انه كان ضمن العصابة . واجابه رفيقه بأنه لم يعد امامه سوى سنتين فى مدة العقوبة وانه لم يكن ينبغى له ان يقتل امراته العجوز . ومن المؤكد انهم كانوا سيفتقدونه بين العصابة ، رغم ذلك .

وفى ساعة الغداء ، تفحص الصبى الطبق القصديرى الذى كان يعطى لكل سجين . كان به قطعة كبيرة من الخبز المنتفخ الابيض ، وقطعة مقلية من دهن ظهر الخنزير مع دهن صاف بدلا من الصلصة ، وكتلة طرية كبيرة من شراب سرغوم \* سميك . لم يكن الرجال بحاجة حتى الى استخدام الملاعق التى كانت مربوطة الى حلقات أحزمتهم . فقد كانوا يمتصون الدهن والشراب بالخبز .

ذهب الصبى الى البيت وحصل من امه المتساهلة على جالون من اللبن الذى خض حديثا كان معينا لحظيرة الخنازير . كان الحراس يأكلون سندويشات بيض مقلى وسائق . تقدم الصبى من واحد منهم . « من فضلك ، ياسيدى ، هل يمكننى ان اعطى هذا اللبن المخضوض لجارفيلد العجوز هناك ؟ فقد ساعد أبى ذات مرة فى اصلاح عجلة مثقوبة ، وقد ارسلت له امى هذا اللبن . »

رفع الحارس نصره ، وقد تمدد احد شذقيه بفعل نصف شطيرة ، واجاب ، « نعم ، سيكون هذا على مايرام . فالعجوز جارفيلد لن يؤذى برفوثا . ولكن ابق بعيدا عن هؤلاء الاولاد الذين يجلسون وحدهم هناك وعليهم السلاسل ، هل تسمع ؟ الست ابن السيد بورتر اوزبورن الصغير ؟ » . وبعد ان تلقى اجابة بالايجاب وامس قول ، « ظننت هذا . من المؤكد أنك تشبهه . ابلغه ان بيت جودوين يبلغه السلام . فكل اهلى يكونون الاحترام لابيک . فقد دفع ضريبة اقتراع امى ، ونحن نصوت دائما لصالح السيد بورتر . »

« أشكرك ، ياسيدى . ومن المؤكد أننى سأخبره . وبعد الغداء ، هل يكون من الملائم اذا ركبت على كشافة الطريق لفترة ؟ يمكننى ان أتشبث خلف جارفيلد تماما وسوف احرص على الا اسقط . »

\* نبات مثال اللثة

« مؤكّد ، هذا على مايرام . فسوف يكون في مقدمة باقى السجناء بعيدا عنهم ولن تضطر الى القلق عليك لكونك قريبا منهم اكثر من اللازم . فتلك الكشاة تسير ببطء الى درجة انها آمنة للغاية ولكن كن حريصا وتشبث باحكام على اية حال . فنحن لانريد ان يحدث شيء لابن السيد بورتير . »

حمل الصبى اللبن المخضوض الى الرجل الاسود الذى كان يجلس فى التراب ، مستندا الى احدى عجلات آله . « جارفيلد ، اسمى سامبو . وقد احضرت لك بعض اللبن المخضوض . هل تريده ؟ » أكد له جارفيلد هذا قائلا ، « بالتأكيد اريده ، فسوف يذيب هذا الدهن تماما ، وانا اشكرك . » تربيع الصبى على التربة المفككة الرطبة جاءت من منحدر الحفرة . ومضى الحارس يسير متمهلا .

« السيد بيت جودوين قال ان بإمكانى ان اركب قليلا معك على الآلة . فأنا لم اركب واحدة أبدا ، وسوف يكون هذا متعة . وانت لا تمنع . اليس كذلك ؟ »

« بلى ، يافتى ، لا مانع عندي . انها متعة أكبر من تطويح هذه الفئوس والمجارف . لكنها بالنسبة لى عمل على اية حال ، لقد سمعت ماقاله الحارس . كيف قلت له تلك الكذبة ؟ فلم يحدث أبدا ان التقيت بأبيك يصلح عجلة مثقوبة . وانا حتى لا اعرف اباك فانا من بيت السيد تيب سوانسون هناك قرب تايرون . لا يجب ان تبدأ فى الكذب وانت صغير هكذا . فقد كانوا سيسمحون لك بالركوب دون ان تكذب عليهم . هذا بالتأكيد لبن مخضوض طيب ، رغم هذا ، وانا مقدر لك صنيعك . »

نهض وتمطى ، « دعنى اعيد هذا الطبق الى الشاحنة ، وسوف تقوم بتشغيل هذا الطفل العجوز . »

تطوع الصبى بلهفة ، « سوف افعل انا هذا ، يا جارفيلد ، ناولنى اياه . فلن يستغرق هذا دقيقة . » وقال لنفسه وهو يعدو الى أسفل الطريق باتجاه الشاحنة منزعجا ، يجب ان تخجل من نفسك اذ تتلقى درسا عن الكذب من سجين اسود فى عصابة المقيدين بسلاسل . تعرف ، انه على حق .

تشبث بسعادة بمؤخرة مقعد جارفيلد طوال معظم فترة العصر ، وهو يراقب بذهول لفات التربة الطازجة الضخمة وهى تتدحرج من الحفر بفعل النصل المائل تحتها . وذات مرة حين اقتربا من الحدود الشمالية للبيت ، راح يعدو خلال اشجار الجوز الى الشرفة الخلفية



ومن الخزانة حصل على قطعتي خبز من دقيق القمح ، وضع بينهما قطعة كبيرة من لحم الخنزير المحمر ، وحملها الى صديقه الجديد . شكره جارفيلد قائلا ، « ياسلام ، طعمه للبد بالتاكيد . ولكن لا تجعل احدا يراك تسرب مأكولات لى . فاللبن المخضوض على ما يرام ، لكنهم قد يشيرون ضجة حول هذا . فهو افضل مما يأكلون . » .

في اليوم التالي تفحص الصبي رقعة البطيخ مبكراً ، واقتلصع الاعشاب لمدة ساعتين ، لكنه عاد الى كشافة الطريق قبل ساعة الغداء بوقت كاف . وعلى مسافة كافية من الآخرين ، أوقف جارفيلد آتته بالقرب من معر العربات وعبر الطريق في ظل شجرة كبيرة من اشجار الجوز . احضر له الصبي جرة فاكهة ممثلة حتى منتصفها بفاصوليا خضراء طازجة ، وبعض خبز الدرة ، ووعاء آخر من اللبن المخضوض .

تجاسر بقوله ، « جارفيلد ، ماذا فعلت حتى وصلت الى جماعة المساجين المقيدين ؟ » .

وأجابه الرجل ، « قتلت زوجتي ، ياسامبو . هذه هي الحقيقة الصريحة . قتلت زوجتي . »

سأله الصبي بجدية ، « كيف حدث ان فعلت هذا ؟ ألم تكن تحبها ؟ » .

حلت فترة صمت طويلة .

وقال جارفيلد بخشونة ، « نعم ، كنت احبها ، كم عمرك ، ياسبي ؟ » .

كذب الصبي ، « انا في الخامسة عشرة تقريبا . لكن حجمي ضئيل بالنسبة لعمرى . وهذا يزعجنى بالتاكيد ، أيضا ، فانا ازال الطلبة حجما في كل مدرستي . »

« لست بحاجة الى ان تقلق بهذا الخصوص ، فسوف تكبر . ان لديك الكثير من الادراك ، أيضا . سوف تكون على ما يرام . » .

قال الصبي : « شكراً لك . كيف حدث انك قتلت زوجتك ؟ »  
« أظنني قتلتها لانني كان على ان اقتلها . لم يكن بإمكانى ان افعل غير هذا . فقد اخبرني ابني الاكبر اننى يجب ان اعود الى البيت مبكراً من الحقل لانه بطن ان ساعى البريد لا شأن له بدخول البيت حين تكون أمه تطبخ طعام الغداء . وبالبقاء لمدة نصف ساعة .

فكرت في الامر طوال الليل بعد ان اخبرني ، وصباح اليوم التالي ، عندما اخرجت البغل ، اخبرته ان يحضر الى الحقل ليطلعني اذا حدث هذا مرة ثانية . ولم يحدث شيء ذلك اليوم ، وفكرت انه ربما كان مخطئا وان ساعى البريد ربما كان يدخل ليشرب أو شيء من هذا القبيل . وفي اليوم التالي ، رغم هذه ، جاءني الصبي في الحقل وقال ، ابي ، لقد دخل بسيارته الى فناء بيتنا واوقف السيارة ودخل الى البيت .

« اخبرت الصبي ان يبقى مع البغل ، وسلكت طريقا مختصرا من خلال الغابات ووصلت خلف البيت . لم يكن هناك أحد في المطبخ ، حيث كان المفروض ان تكون ماجي موجودة . تناولت موسى الحلالة من على الرف الذي يوجد في الشرفة الخلفية حيث احتفظ بأدوات الحلالة الخاصة بي ومشيت بهدوء جدا حول البيت الى الغرفة الامامية . « توقف لحظة ، وهو ينظر في الفضاء البعيد ، وشعر الصبي المأخوذ انه قد نسي وجوده .

« حسنا ، اريدك ان تعرف ، كانا هناك . في سريرنا بالضبط . كلاهما عاري المؤخرة . هي سوداء اسفله وهو ابيض فوقها . وكلاهما يقتربها ، هي ثني وهو يقبع . اطلقت صيحة وقفزت الى منتصف الغرفة تماما ، وعندما فعلت هذا جرى الرجل الى النافذة وقفز منها برأسه اولا . جريت اليه وقطعت جانبا من مؤخرته البيضاء حتى العظام ، لكنه ظل يجري ودخل غربة البريد القديمة بدون ملابس واختفى قبل ان اتمكن من الإمساك به ثانية .

« عدت الى ماجي ماي ، ولم تكن تحاول الهرب . كانت راكعة على ركبتيها بجانب السرير ، تحاول تغطية ثدييها بردائها . كلمتها بنعومة بالغة ، قلت ، كيف يمكن ان تفعل هذا ، باماج ؟ كيف يمكن ان تفعل هذا بي وبالأطفال ؟ لم يصدر عنها صوت . مجرد أنها راحت تنظر الى بعيون مفتوحة وبشكل يثير الشفقة : مددت يدي ببطء شديد وبسهولة تقريبا وجذبت رأسها الى الخلف من شعرها . وقطعت رقبتها . سقطت وتلوت تلويا شديدا حوالى أربع مرات ومالت حذاء ذلك الرجل حتى حافته بالدم . وسرت في الطريق الى بيت السيد تبت واخبرته ان يبحث في طلب عمدة البلدة ليأتي ويقبض على . وهانذا . »

صمت واطل على الصبي ، الذي كانت عيناه مغروقتين بالدموع « كان على ان افعلها ، ياسامبو ، كان الاطفال يعرفون . وكان على

ان افعلها . »

وضع الصبى يدا على كتفه . « طبعاً كان عليك أن تفعلها ،  
يا جارفيلد . دعنا نشغل الآلة ، حان وقت العودة للعمل . »  
وغلى حين غرة ، فيما يبدو ، حلت كل اسابيع العمل والانتظار  
كلها معاً بعجلة بالفة فى الحقل . كان سطحه كله نابضاً بكتل لا حصر  
لها بمحصول بطيخ غزير : برزت روابى الفاكهة المتبرعمة الادرى  
خضرة من بطانية النباتات المعترشة الخضراء كأنها ظهور  
عمودية لحيوانات مغمورة فى الماء تسمن وتتضخم على وليمة  
ما مخبأة .

« سامبر ، سوف نسبق أى شخص آخر بأسبوع ، فيما اعتقد ،  
وأعرف أننا حصلنا على أفضل محصول من أى مكان حولنا . ومن  
المؤكد ان هذه الارض العجوز قد خرجت بنا سالمين فى تلك الموجة  
الجافة التى مرت بنا فى يونيو . وسوف تكون أول من تجف تعريشاته  
فى كل ما حولنا . انظر الى هذا البطيخ هناك . انه يشبه خنازير  
تبحث عن الجذور ورءوسها منخفضة ، اليس كذلك ؟ »

مشى خلال الحقل مع الصبى ، وكلاهما حريص على ان يأخذ  
خطوات عالية طويلة ويتجنب ان يثأ اياً من التعريشات . دق بدى  
على البطيخ الاكبر بشكل عشوائى ، محدثاً صوتاً موسيقياً اجوف  
نوعاً ما بضربات سريعة قوية من سبافته التى اطلقها بسرعة .

« آه ، هه ، سوف تكون كل هذه الرقعة جاهزة لنقلها خلال  
اسبوع . فبعض هذا البطيخ الكبير ناضج تماماً فى هذه اللحظة .  
اخبر اباك ان يكون الرجل الذى يأتى بالشاحنة هنا يوم الجمعة  
القادم ، سوف تكومها على الطريق الكبير جاهزة للشحن . انت  
وأنا سوف نقطعها ، ونجرها الى الطريق الكبير فى عربة ونساعده  
فى شحنها . »

وعده الصبى ، « سوف اخبره غدا يابدى ، لا استطيع ان اصدق  
ان الوقت قد حان . »

« صدق ، حسناً حان وقت قطافها . لن يوجعك ظهرك مطلقاً  
مثلما سيوجعك فى الاسبوع القادم . واضاف بنبرة شك ،  
« فقط أرجو ان تصمد السوق وان تكسب بعض المال من هذا  
المحصول . »

« أوه ، سوف نفعل ، يابدى ، أنت تعرف أننا سنفعل . كف عن  
القلق واسترخ ، لقد نجحنا الآن . »



« لا ، لم تفعل ، ياسامبو ، وذلك يذكرني بشيء . فالقمر مكتمل الليلة وطيلة الاسبوع المقبل . سوف أبقى وسط هذه الرقعة حتى منتصف الليل كل ليلة . وغدا السبت ، كل العمال يخرجون في وقت الغداء . هذا ماسوف تفعله . سوف ادع كل واحد يظن انني ان لعب الكرة لانني ذاهب لخطب ود حبيبتي . سوف آتي ببندقية ابي ذات الاربعة عشر عيارا وانت تأتي ببندقية ابيك ذات العشرين عيارا ، وننتسلل الى هنا من الطريق الخلفى وننتظر . فغدا او يوم الاحد ستكون لدينا صحبة بالتأكيد . وانا لم انقذ هذا المحصول من الغريبان لاخسره لاي كائن يسير على قدمين ولا يعرف الطيران . »  
« بدى ، هل تعنى انك ستطلق النار على احد اذا سرق بطيخة ؟ »  
سأله الصبي وهو لا يصدق . « لا اعتقد اننا ينبغي علينا أن نفعل هذا . لماذا لانخبر الجميع مجرد أن هذه الرقعة لنا ونصدر اليهم اوامر الا يدخلوها . »

نظر اليه بدى ملمحا باشفاقه ، « لاننا لن نطلق النار على احد ياسامبو . أنت تعلم اننى رببت تربية افضل من ذلك . هم لن يعرفوا اننا لن نطلق النار عليهم ، هذا يكفي ، وعندما نخبر احدا انه لايجب ان يكون هنا ، ويسمع طلقة نارية ، فربما يصيبه العيار ، فسوف نطلق فى الهواء فقط واطن أن هذا سوف يؤدي الغرض منه . »

وصمت ثم اكمل ، « اما عن اعطائهم اوامر ، فانت لم تفهم بعد يؤدي هذا الى اثارهم اكثر . سوف يضحكون عليك من خلف ظهرك لوعظهم ثم يدبرون طوال الوقت لعمل ما يريدون أن يعملوه . انهم يظنون أنك مجرد طفل ، ياسامبو . قابلنى بأسرع ما تستطيع بعد العشاء غدا خلف هذا الحقل . لا تحضر من أى مدق عربات . تسلل خلال الغابات . »

كانت المهمة كلها تملأ الصبي بالاثارة وحافظ على مواعده فى اليوم التالى باحساس ما بالواقع ، وهو يكتب حافزا لان يتخيل نفسه بيمبرنيل القرمزى الجرىء من ناحية أوتوم سوير المضحك من ناحية أخرى . كان معه بندقية خرطوش تخص أبيه وجيب عامر بخراطيش صيد الطيور . كان صديقه قد سبقه الى هناك حين وصل ، وقد يربض خلف شجيرة القار الأمريكى فى الجانب البعيد من الحقل .  
« يالله ، يابدى ، هل قضيت الليل هنا ؟ منذ متى وانت هنا ؟ هل رأيت احدا ؟ » سأله الصبي بسرعة .

« لا ، فقد عدت الى البيت فى الساعة العاشرة والنصف لیسلة امس . كان على ان اعمل طوال الصباح . لم يمض على هنا سوى ثلاثين دقيقة ، ولم ار احدا بعد ، ليلة الامس او اليوم . وربما لا نرى احدا هذا المساء ، لكننا سوف نكون فى انتظارهم اذا جاءوا . والان ، هذا ماسوف نفعله . »

قاد الصبي على طول الجانب الخلفى من الحقل الى نهايته الاخرى ، عبر الانفساحة الخصبة من الخضرة المتمددة الى البقعة التى اختارها موقعا له . وجد شجيرة تخفيه وأراه أين يختبئ . كانت فى الجانب الضيق من الحقل البيضاءوى ، أمام مدخل مدق العربات مباشرة وعلى بعد عشرين ياردة منه .

« والان ، ياسامبو ، اذا جاء احد ، فارقد منخفضا وساكننا جدا . دعهم يدخلون الى الحقل وهم يظنون أنهم سيفلتون بشيء . وعندما أطلق النار ، أطلق انت . سوف يسمعون كل هذا القصف يأتى من طرفى الحقل ، وسوف يفزعهم هذا . وعندما يجرون لا تظهر نفسك ولا تصرخ . فلسنا بحاجة الى ان يعرفوا من نحن بالضبط . وتذكر الا تطلق النار الا حين أطلق أنا . » استدار ليمضى ثم اضاف ، « سامبو ، لا تقلق . سوف نطلق النار فى الهواء الى اعلا . انت تعرف اننى لن أطلق النار حقا على احد - ولا حتى من اجل هذا البطيخ . »

جلس الصبي لمدة ساعتين تقريبا ، وقد اسند ظهره الى جذعة شجيرة ، وبندقية الرش ترقب على حجره ، وكعباه العساريان تحفران حفرا فى الارض الطرية ، وهو يحرق أمامه من آن لآخر من خلال الشجيرة التى تخفيه ليلمح اية علامة لتطفل . كان مطيعا للتعليمات التى تلقاها بشأن البقاء هادئا لكنه كان يشعر انه كان فى الحقيقة يسلى صديقه . فلم يكن يتوقع ان يظهر أى لصوص . لم يكن ، على اية حال ، ملولا .

راقب اليراعات تطير فوق رأسه ، وجلس ساكنا جدا ليرى الى اية مسافة يشب ارب صفر ضال قبل ان يكتشف انه كان فى خطر . لاحظ بابتهاج كيف اوقع طائران محاكيان العار بغراب متطفل ودفعاه الى التراجع السريع عندما حط على الشجيرة التى يحتضنان فيها بيضهما . كان هناك الحقل دائما ليراقبه ، جميلا ، خصبا ، وممتدا ، وقد نقطته بكثافة ثمار عمل صيف هائلة الحجم ، لا يمكن أن ترجع حدوثها . كان يأمل أن يكسب بعض المال حقا . كان يريد أن يكون

له شيء منه ، لكنه كان يأمل بحرارة ان يكسب بدي ما يكفيه حتى يتزوج . وخطر بباله أنه ربما يضيف جزءا من نصيبه هو اذا لم يربحا مايكفى بدي ليحقق هدفه في الحصول على خمسين دولارا . وقال لنفسه ، قليلا منه .

ووسط أحلامه ، أصبح واعيا بأصوات . حلق من خلال الشجيرات وتحرك بهدوء في شكل رابض . لم ير احدا . كانا مايزالان على مدق العربات . وبينما كان يراقب ، ظهر ثلاثة صبية في سن المراهقة كلهم يرتدون حلل العمل وكلهم حفاة . كان اثنان منهم من أبناء دارنل وكانا يعيشان في المزرعة . وكان الثالث صديقا ومنافسا في لعبة البيسبول من مزرعة ويفر أسفل الطريق . راح يراقب التسلائي بفضول ، وقد اثارته تلك المقاطعة لحراسه .

سمع أحدهم يصيح ، « هو - وى . هل رأيت في حياتك شيئا مثل هذا ؟ »

وأجابه جاره ، « يا الله القدير ، هذه أجمل رقعة بطيخ رأيتها في حياتي » .

وأعلن الاخ الأكبر ، « انا أرى البطيخة التي سسأناها . سوف اتى بتلك البطيخة المعجوز الكبيرة التي تختفى تحت تلك الاوراق حيث الجو رطب نوعا ما . سوف اكسرها بقبضتي اولا وأكل مجرد القلب منها . هيا بنا » .

وبهذا مضى الصبية الثلاثة الى داخل رقعة البطيخ . لم يستطع الصبي أن يصدق عينيه . لم يكونوا يبدلون أى مجهود على الإطلاق ليتجنبوا أن يطأوا التعريشات . بل انهم لم يكونوا يرفعون أقدامهم الى أعلا . كانوا يدوسون على الاوراق بلا مبالاة قاسية ، وكان يستطيع أن يستدل من انتفاضات التعريشات أن أقدامهم كانت تشبك بالسسيقان المتمدة وانهم كانوا ينفضونها باهمال في كل خطوة . ملأه الغضب . كان الحقل يندس . كانت حرمة مكان مقدس تنتهك .

نهض بطول قامته من خلف الشجيرة ، وقد امتلأ قلبه بالغضب بشكل كامل وفجائي الى درجة أنه لم يعد مكرثا باكتشافه . وفي نفس اللحظة التي مال فيها صبيان ليقطعا بطيخات مختارة بعناية من تعريشاتها ، دوت بتدقية بدي من نهاية الحقل . افزعت الصبي بشده الى حد أنه أسقط سلاحه تقريبا . وكان التأثير على المتطفلين الثلاثة فوريا . فيخسوار مفزع ، قفزوا في الهواء ،



واستداروا ، وشرعوا يتسابقون خارجين من الحقل باتجاه طريق العربات .

رفع الصبي بندقيته ليطلق النار فى الهواء ، لكنه استشاط غضبا من الاذى الذى كانت اقدامهم الهاربة تنزله بنباتات البطيخ . وبدأ له انهم كانوا يمزقون نصف الحقل . اخفض ماسسورة البندقية وصوبها متعمدا بين كتفى الصبي الذى كان الى اليسار . « بام ! » ردد السلاح الصدى فى اذنيه . اطلق الهدف صرخة ووثبة اضافية . قعقة ، وانزلاق ، وانزلاج . بام . دفع البندقية فى كتفه واطلق النار على الثانى ، ثم بسرعة مرة اخرى على الثالث .

كان بدى قد نهض من موقعه وكان يلوح بذراعيه فى جنون ويصيح « توقف ! توقف ! توقف ! » .

جعل هذا الثلاثى النهاب يجرون فقط أسرع ، اذا كان ذلك ممكنا . اختفوا اسفل طريق العربات أسرع من الارانب وبنفس السكون . ووقف الصبي ، والبندقية تتدلى فى يديه ، يرتعد بفعل عسدم التصديق والغضب الذى كان ينحسر ، فى حين جرى بدى اليه . « بالله التقدير الطيب ، يا صبي ! ما الذى جرى لك ؟ تعظني بشأن عدم اطلاق الرصاص على احد بسبب بطيخة ، وتصيب ثلاثة متتاليين . » وصمت ثم اضاف ، « كان هذا اطلاق نار طيب ، ايضا . لقد أصبت ثلاثتهم فى مؤخراتهم . من حسن الحظ ان مالدك كان خرطوش طيور ، وانك كنت بعيدا كما كنت . والا اعتقد أنك ربما قتلت اخذا ! » .

« بدى ، هل تحسب انهم على مايرام ؟ لا ادرى ما الذى دهانى . الطريقة التى كانوا يعيشون بها فى حقنا . وعلى حين غرة كنت اريد حقا ان اقتلهم . انا لا احب ما كنت اشعر به . هل اذيتهم اذى سيئا . »

« لا ، لا تفنق . لم تؤدهم اذى سيئا . ربما تكون قد اطلقت مجموعة جراء عليهم ، لكنك لم تخذش حتى الجلد ، على البعد الذى كنت عليه . واذا لم يموتوا من سكتة قلبية ، فسوف يكونون على مايرام . »

« بدى ، ارجوك الا تخبر ابنى . وارجوك الا تطلب منى ان افعل هذا ثانية . اننى خائف . فقد كنت اريد حقا ان اقتل اولئك الصبية . »

« لن اخبر احدا ، ولن اطلب منك ان تفعل هذا ثانية . لقد افزعتنى انا ايضا . » وفكر لحظة ثم اضاف قائلا ، « اتوقع ان اظل هنا مابى البدر ، لكننى سوف ادهش حقا اذا جاءتنا صحبة اخرى . واتوقع الا تلقى بالا الى هذا . سوف يذيع الخبر ، واعتقد ان الجميع سوف يبقون بعيدا عن هذا المكان . »

وبعد ذلك ياساييع سمع من احد الرفاق فى حظيرة الابقار ان بدى كان انسانا سيئا بالتأكيد . فقد اطلق النار بالفعل على ثلاثة صبية لم يكونوا يفعلون شيئا سوى انهم كانوا يسرون عبر رقعة بطيخه المعجوز وهم فى حالهم . بل ان اثنين منهما كانا ابناء عمومته ومن حسن حظ بدى انهم لم يخبروا امهم . وبشعور مفرور بالامان ، اكد الصبى لحدثه ان بدى لم يكن ممن يعيث بهم وان اولئك الصبية كانوا اذكياء اذ لم يثرثروا .

فى الاسبوع التالى قاما بجنى المحصول . كان عددا كبيرا من البطيخ الممتاز وزن الواحدة منه عشرين رطلا . بل ان بعضها كان وزن اكثر . استاجرا احد الانفار من المزرعة ليساعدهما مقابل مبلغ خرافى يبلغ دولارا ونصف فى اليوم . كان اسم الصبى ج.س . وكان فى لون الشوكلاتة . كان غبيا مثل طبق تحسيل لكنه كان يمتلك ظهرا وذراعين ورجلين ، والفضيلة الكبرى ان يفعل ما يطلب منه . كان بإمكان بدى ان يجلده ، وبامكان الصبى ان يتكلم اكثر منه ، وهما نقطتان جعلتا منه مستخدما مثاليا .

ظلوا يسحبون البطيخ مدة يومين . ربطوا بت وكلايد فى العربة التى يجرها حصانان ، وراحوا بسيطونهما خلال الحقل - الى اعلا خط ثم الى اسفل الخط الاخر . كان بدى يقطف البطيخ من جانب ، و . ج . س . من الجانب الاخر ، وقد وقف الصبى فى العربة ليرتبها برقة وهى تسلم اليه . كانت عجلات العربة المكسوة بالحديد تسحق التعريشات وتدكها وهى تعبر عليها ، وكان البغلان المهملان يضعان حوافرهما الثقيلة حيثما كان يروق لهما . شعر الصبى انه يرتكب نهبا واقتصابا شبيهين بجرائم القوطيين الفريسيين والشماليين الملغوثين ، رفع بدى عينيه اليه وشعر انه كسان مضطربا .

« اسمع ، ياسامبو ، دعنى اقود العربة فترة وانت تحملها بالبطيخ . لا تتزعج بشأن تمزيق التعريشات . فقد انتهينا منها . وقد ذوت حالما نضع البطيخ على اى حال . هذا هو ماعملنا من اجله بجد . ال

انصيف ، وقد عملنا عملا طيبا . وانت على الاخص . واراها ان هذه هي رقعة البطيخ الوحيدة في كل ولاية جورجيا التي لا توجد بها اعشاب الخنزير او البن البري . »

وما ان روض نفسه على ضرورة ذلك التعريشات وتكويمها ، وهي التي ظل الصبي متعلقا بها لفترة طويلة في حالة نقائها الريفى ، حتى استخف المحصول الصبى . لم يكن قد ادرك كم كان لديهم من بطيخ . وبسبابة اليوم الاول كانوا قد جمعوا كومة تخيلها بارتفاع جبل ستون . تركا ج . س . حارسا ضد اللصوص في حين اقتادا هما البغلين في ذلك المساء .

كان بدى يشعر بفخر عظيم وهو يحمل بطيخة لكل عائلة في المزرعة وستا لاسيهما . كان شهما كانه سانتاكلوز اسود لامع ، وكان استقباله استقبالا منتشيا . فقد اختار اضخم بطيخ في الكومة ، وكان ثقيللا الى درجة ان الصبى وجد مشقة مع وزنها الاملس الناعم . وبالتالي فانه قاد العربة ، وبدى يقفز منها عند بيت كل مؤاجر ، ويرفع كرة خضراء هائلة الحجم الى كتفيه ، ويشق طريقه خلال زنوج يثرثرون باهتياج ، واسنانه وعيناه تتوهج ، ولثته السحيجة تلمع ، وضحكته العالية الجميلة تجلجل في الفروب . كان كل مفصل في الصبى يوجعه ، لكنه كان سعيدا ايضا .

وفي اليوم التالى جاء السيد مارك هيويل ومعه نفران وعربته الضخمة ، والحاجزان على جانبيها يرتفعان بارتفاع قامة رجل فوق العربة . كان الاب قد اتفق معه على حمل البطيخ على طول الطريق الى اثلانتا وان يبيعه الى تاجر جملة . وانتهوا بثلاثة احمال كبيرة ، وكان وقت الفروب قد اوشك حين انتهوا من الحمل الاخير .

انتقى الصبى و ج . س بطيخة ، وهما يشهران بالتعب والجوع . كسرها ج . س . بضربة خبيرة من قبضته ، واقتطع كل منهما قطعة من قلب لحم البطيخة الاحمر الناتئ الهش ، الخالى من البذور والذى كان يبدو باردا في حلاوته . رفض بدى دعوتهما .

قال ، « لا ، لا اريد شيئا الآن . وفي الحقيقة انا لست متاكدا انى سوف اريد اى شىء بعد ذلك . فانا اشعر بالسأم من البطيخ في هذه اللحظة الى درجة اننى لا ابالى اذا لم ار واحسدة في حياتى . »

استعرض رقعة التحميل ببصره . « سامبو ، لدينا حوالى مائتين بقيت هنا وتلك العربة المعجوز لن تعود من اجلها . دعنا نستعير



عربة ابيك وتبعها نحن بأنفسنا فى عصر الغد فى بروتنتون . نستطيع ان نطلب خمسين سنتا فى الواحدة من هذا البطيخ العجوز الكبير . حتى نصل الى عشرة سنتات لهذه البطيخات الصغيرة المتعقدة . سوف نذهب غدا بعد الفداء مباشرة ، فنتصيد كل رجل اسود فى البلدة يعمل فى النهار ويحمل فى جيبه قليلا من المال . « تلك فكرة عظيمة ، يابدى ، سيكون هذا أول ما اطلبه من ابي فى الصباح . »

« انت تعلم انه سيسمع لك بها . سوف اذهب الى البيت الكبير واحضر المفتاح والعربة الى هنا وسوف نقوم بتحميلها ونتركها فى الفناء الليلة . وتستطيع ان تطلب العربة منه وهي ممتلئة تماما كما لو طلبتها منه رهي فارغة ، ولن يسرق احد فى كل هذه المقاطعة اى بطيخ من فناء السيد بورتر اوزبورن الخلفى . واستطيع ان انام ناعم البال الليلة . »

ضحك الصبى ، « استطيع ان انام ناعم البال الليلة اذا سرق احد السرير من تحتى . كنت محقا بشأن الانتظار حتى اقرر ما اريد ان افعله . لابد ان هناك طريقة افضل لكسب العيش من هذه . اذهب واحضر العربة ، وسوف ننتظر انا و ج . س . هنا ونساعدك فى تحميلها . »

كانت العربة دودج قديمة ، قد اتبعجت وتفضنت حواجز الاصطدام فيها والجزء المغطى منها بفعل سنين من الاستخدام الحماسى ، ويظهر فيها الآن صدا اكثر من طلاؤها الاسود . كان لها ، على اية حال آلة حركة يمكن سماعها وتمييزها على بعد ميل . كان لها قاع مسطح مركب عليها والواحد عرضها اثنتا عشرة بوصة كحاجزين جانبيين . وقد فرشها بدى بطبقة سمكية من قش القمح لتوسيد البطيخ . عمل الصبية الثلاثة بسرعة وسرعان ما كان حصاد المحصول قد حمل عليها فى شكل تل متوازن باستواء من بيضاوات داكنة الخضرة يبرز من بينها قش اصفر . وفكر الصبى ان العربة القديمة لم تبد أبدا حسنة بهذا الشكل .

أوقفوها فى الفناء الخلفى ، بين البئر ومكان الاغتسال تماما . فحصها بيع بوى وسبوت فحصا شاملا وتبولا على العجلات الاربع . وتأكد الصبى ان اى متطفل اثناء الليل سوف يعلن النباح المتهاج عن وجوده . نام نوما عميقا بل انه لم يسمع اياه وهو يعود . عندما ذهب فى صباح اليوم التالى عند طلوع الشمس ليحلب ،

افتقد احدي البقرات . عرف انها كانت محتاجة ووجدت فتحة في سور فناء الحظيرة ونفذت منها في بحثها البدائي اليأس عن رفيق . لم يكن بالزرعة ثور ، وخمن الصبي انها ستكون في مزرعة ويتاكر على بعد ثلاثة أميال الى الغرب . كان يعرف أن عليه أن يجدها ، على أية حال . حلب البقرة الاخرى وأسرع عائدا الى البيت لتناول الافطار .

كانت العائلة قد سبقته الى الطاولة وتلبت صلاة التبريك . لم يكن ينقص الا الاب ، الذي كان قد جاء متأخرا الى البيت ، وكان ينام الى وقت متأخر . انزل في كرسيه ، وملا طبقه بالبرغل ، وقطعة من لحم الخنزير ، وقطع بسكويت ساخنة بزيد سائل يتسرب من قشرتها ، وشريحة من الطماطم الطازجة .

قال ، « أمي ، لقد خرجت ستل المعجوز اثناء الليل ، ولا بد أن أجدها ، واظننها عند السيد ويتاكر . اذا غادر ابي البيت قبل أن أعود ، أخبريه أن بدى وأنا نريد استخدام الشاحنة لبيع ما تبقى من بطيخنا في البلدة عصر اليوم ونسأله اذا كان هذا يوافقه ، أرجوك يا أمي . »

وافقت أمه ، « سوف أسأله نيابة عنك ، يا بني . وقد قال ليلة الامس عندما أوى الى الفراش أنه يراهن أن هذا ما كنت تنويه . فقد رأى الشاحنة حين جاء . ماذا دهى تلك البقرة المعجوز ، اذ تغادر المرعى في حين أن كل الطعام الموجود في العالم موجود به ؟ وما الذي يجعلك متأكدا انها هناك في مزرعة ويتاكر ؟ »

طالت فترة الصمت التي أعقبت سؤالها الى حد مزعج . تطلب الصبي يائسا فيما حول الطاولة . كان كل الكبار يمضغون مثل ذكور الماعز ويحدقون في أطباقهم كما لو كانوا قد اكتشفوا خرائط كنوز تحت طعامهم . كان الجد قد صب قهوته في طبق الفنجان لتبرد وكان يرفعه لتوه الى شفتيه . تعلقت عينا الصبي بعينيه بنظرة متوسلة . وضع المعجوز طبقه ومسح فيه .

قال باستمتاع ، « T T T » ، يارب . فيرا ، لا تقلقي بشأن تلك البقرة ، ولا تسألي أي أسئلة أخرى . « واستدار الصبي ، « تأكد من أن تأخذ حبالا معك » قالها ناصحا . واستدار الى زوجة ابنه وأضاف بطيبة ، « تلك مسألة تخص الرجال . لست بحاجة الى القلق . »

وفيما بهد ، بينما كان يسير وحيدا حافي القدمين أسفل الطريق

الطينى فى الصباح الصيفى الذى كان مايزال رطباً ، كان الصبى قانعا للغاية . لم يكن كسر روتينه غير المتوقع هذا يضايقه على الإطلاق ولا اضافة عمل جديد الى واجبات يومه . والحقيقة انه كان يتطلع الى هذه الرحلة باستمتاع . فمن بين كل الحيوانات التى شاهدها تتزاوج حتى الآن ، كان يحب البقر بشكل افضل .

فى وقت مبكر من الصيف ، كان قد تسلسل مع أحد رجال المزرعة كان ينقل بقرته الحلوب الى ثور السيد ويتاكر لتعشيرها . كان الرجل المتين العضلات يواجه معركة وهو يدفع البقرة حتى تتحرك على الطريق الكير لمسافة الميل الاول . كان قد ربط حبل حسرت حول قرنيها ، وكانت اما تحرن ، وقد وسعت مابين قوائمها وأخفضت رأسها فى منتصف الطريق فى حين راح الرجل يوسسها جلدا بطرف الحبل ، او تطوح برأسها فى عنف وتحاول ان تقفز فوق الحفر .

كان الهرق تتساقط من الرجل بفزارة وهو يتمتم بلعنات باهرة . وبعد ان سحبت ، ورجت ، وركلت لمدة ساعة ، رفعت البقرة الحرون رأسها ، واسقطت اذنيها الى الامام ، واطلقت خوارا عاليا . وشرعت تسير بسرعة وهى تجرر قوائمها على الطريق الى مزرعة السيد ويتاكر .

قال الصبى ، « يالله ، ياويس ، مالىدى دهاها فجأة ؟ انها طيبة للغاية الآن . »

وأجابه الرجل وهو يتصبب عرقا ، « آه - هه . لقد شمت رائحة ذاك الثور العجوز ، وهى تعرف الى اين هى ذاهبة . » وفى تلك اللحظة سمعا خوارا حنجريا عميقا يجيبها على بعد . انطلقت البقرة تعدو وكان مفاصلها قد تفككت ، وهى تطوح برأسها الى الخلف بخوار متصل من آن لآخر وتقذف بأحبال طويلة من لعابها فيما حولها .

وتمتم ويس ، « ذلك الثور العجوز يشمها أيضا . أمسك قبعتى ، ياسامبو . على ان اتشبث بهذا المخلوق الآن ، بكل تأكيد . »

ولن ينسى الصبى نصف الميل الاخير الى مزرعة السيد ويتاكر . كان ويس يمسك بحبل محكم مشدود وهو منجذب بشكل طويل خطوته فى العدو اسفل الطريق الكبير بفعل البقرة الزاكضة الآن وقد تركز عقلها فى شيء واحد . كان الصبى يعدو بأقصى مايسطيع لكن



سرعان ماتخلف . وقد ظن أن ويس كان يسجل رقما قياسيا ما في السرعة بالنسبة لانسان حتى تعثر وسقط ، وانتزع الحيسل من يديه صافرا في الهواء ليقع في ثنيات تجرورها البقرة الهاربة خلفها . ومدفوعا بقوة اطلاقه الفجائية ، سقط ويس متدحرجا في تراب الطريق الاحمر . جرى الصبي اليه وهو يتدحرج حتى وصل الى وضع جالس .

سأله وهو يقدم له قبعة ، « يا الهى ياويس ، هل انت على مايرام ؟ » .

« نعم ، انا على مايرام ، لكن تلك البقرة اللعينة كانت تقتلنى . هيا بنا نسرع الى حظيرة السيد ويتاكر لانها سوف تحطم سور حظيرته لتصل الى ذلك الثور . »

قال الصبي وهما يسرعان الى الحظيرة ، « لم اكن اعرف ان هناك الكثير من الامور في هذا . » ثم اضاف بجرأة ، « ان التزاوج يمكنه ان يكون خطرا ، اليس كذلك ؟ »

طوح ويس برأسه الى الخلف وضحك باستمتاع وهو لا يصدق ، « من المؤكد انه يمكنه ان يكون كذلك ، ياسامير . بهذا الخيل الذى اعتراها ايضا . ونظر الى الصبي بابتهاج ، « تذكر هذا ، وسوف تكون فى افضل حال طوال عمرك . »

عندما وصلا الى الحظيرة ، كان السيد ويتاكر وابنه ، جسون ويزلى ، قد سبقاهما اليها ، وقد اجتمعتهم التنفيمات المتساقطة المترددة التى كانت الحيوانات المتلوفة تطلقها . كان الثور جزئيا من جيرزى ومحاربا قديما فى وظيفته . كان يخور ويرسل كتلا ترابية كبيرة فوق ظهره بدفعات متحدية من واحدة من قوائمه الامامية ثم من الاخرى .

قال ويس محييا ، « صباح الخير ، ياسيد ويتاكر . هل من الممكن تعشير نقرتى ؟ يمكننى ان اعمل لديك نصف يوم يوم السبت القادم . »

اجاب السيد ويتاكر ، « كيف حالك ، ياويس . لا بأس . » اقتطع لنفسه قطعة من التبغ وهز رأسه لابنه ، « افتح البوابة ، ياجون ويزلى . »

كان ابنه ، الذى كان فى الخامسة والعشرين ، والذى كان بهينيه الزرقاوين الفاتحتين نظرة ضارية ، يعتبر قريبا من قبل الجميع فى المجتمع . كان قد ترك الدراسة فى الصف الرابع لانه بلغ الثانية

عشرة ورغم ذلك لم يتعلم القراءة . وكان يعمل في المزرعة بشكل متقطع لكنه كان يقضى جل وقته يناقش أبويه في السياسة أو في أشياء سمعها في الراديو . كان يستطيع أن يفكر بشكل طيب شأن أي واحد آخر ، لكنه لم يكن يستطيع القراءة البتة . وبينما كان يجاهد مع البوابة الخشبية الكبيرة ، وثب ويس إلى الإمام ، « دعني أنزع الحبل من على هذه البقرة المعجوزة ولا شنت نفسها أو دقت عنقها . »

بهرت المواجهة العقلية الصبي . فبعد كل تدافعها المهتاج لتصل إلى هناك ، أصبحت سهلة الانقياد تماما ولا مبالية حين أدخلت أخيرا إلى الحظيرة مع الثور . وقفت ببساطة هناك في منتصف الفناء وقد مدت رأسها وفوائها مفتوحة . ومن آن لآخر كانت تبول . لكن الثور كان نشطا .

راقب الصبي كل تفصيل من تفاصيل العملية بفضول مفرغ . استند ويس والسيد ويتاكر جانبا على السور ، وهما يخاطبان أحدهما الآخر بشكل متقطع عن المحاصيل أو الطقس ، وهما يتصرفان كما لو كانا غير واعيين بالنشاط الجنسي الذي كان يجري وراء مرفقيهما تماما . رأى الصبي موقفهما أقصى ما يمكن أن تصل إليه اللامبالاة لكن لم تكن لديه رغبة في أن يباريهما .

اعتلى السور وتثبت به مثل حيوان الابوسوم ، ورأسه الأبيض يحدق من فوق السور بتركيز كامل . وعندما قطع الثور تشممه ولعفه ليقوس عنقه السميكة تجاه السماء ، ويهز رأسه الكبير ببطء وبطريقة طقوسية جانبا وقد طوى شفته العليا السميكة في تكشيرة مشدودة ضحك الصبي بصوت عال . وتساءل إذا كان ذلك يعني أن رائحتها كانت سيئة إلى درجة أن الثور لم يكن يستطيع أن يتحملها أو طيبة إلى درجة أنه لم يستطيع أن يتحملها . لكنه لم يضحك حين وثب المخلوق الكبير الحجم على قائمتيه الخلفيتين ونزل بثله الرهيب مصطلما بظهر البقرة الصغيرة المدعنة المقوس إلى أسفل .

راقب بانتباه مستغرق بينما تكررت عملية التزاوج مرة بعد مرة ، وانضم جون ويزلي إليه على السور . كان ويس والسيد ويتاكر قد سارا بعيدا وكانا يجلسان على ظهر للعربة ، وهما مايزالان يثرثران .

سأله جون ويزلي ، « هل تريد أن تصعد إلى مخزن التبن لتراقب ؟ تستطيع أن ترى جيدا من هناك . »

اجابه الصبي ، دون ان يحول نظره عن فناء الحظيرة ، « استطيع  
ان ادى كل مااستطيع ان اتحملة من هنا بالضبط . »  
ناداه ويس ، « انزل من على ذلك السور ، ياسامبو . حان الوقت  
لكى نرحل . لقد استخدمها خمس دقائق ، واذا لم تكن قد التقطت  
حتى الآن ، فهناك خطأ ما . »

دهش الصبي من التحول الذى طرا على البقرة فى طريق عودتها .  
كانت تسير متمهلة فى طرف الجبل طبيعة مثل كلب عجوز ودود .  
كان انتباهها فيما يبدو فى مكان آخر لكنها كانت متعاونة تماما .  
ولاحظ ان ذيلها كان مرتفعا الى اعلا مباشرة طوال الرحلة كلها .  
سأله ويس ، « ماذا كان جون ويزلى يقول لك ؟ »

« لا اذكر . شيئا عن رؤية افضل من مخزن التبن ، ويس ،  
ظننت ان ظهر بقرتك كان سيكسر . هل تحسب انها على مايرام ؟ »  
« يا الهى ، نعم ، ياسامبو ، انها تشبه البشر . فالثور يقوم  
بكل هذا التبخر والتباهى ، وهو يبدو كبيرا جدا وخطيرا ، ولكننى  
لم ار مطلقا بقرة صغيرة الى هذا الحد لا تستطيع ان تأخذ كل ما عنده .  
اياك ان تذهب الى مخزن التبن مع جون ويزلى . فهناك مايوحى بأنه  
ليس صحيحا بالضبط . احتفظ بقدميك على الارض . »

تذكر الصبي تلك الرحلة السابقة فى هذا الصباح حين ذهب وحده  
يبحث عن ستل المجوز . كان حكمه صحيحا . كانت بالفعل فى  
مزرعة ويتاكر ، وعندما وصل كانت بالفعل فى الفناء مع ثور  
ويتاكر . كان جون ويزلى يجلس اعلا السور ، يراقب بحسوية .  
استدار هابطا حين اقترب الصبي .

« نزلت لاطعم الحيوانات هذا الصباح ، وكانت بقرتكم تنتظر  
خارج البوابة ، وهكذا ادخلتها . لقد فعلها معها ست او سبع مرات  
وقد اكنفت تقريبا . »

قال الصبي : « اشكر لك اعتناءك بها . لقد خرجت فى وقت  
مامن الليل ، وخمنت انها ستامى الى هنا مباشرة . اذا لم يكن  
لديك مانع فى مساعدتى ، فسوف اضع حبلا على رقبتهمسا واخذها  
الى البيت . »

« ليس لدى مانع فى مساعدتك . » وسار ببطء باتجاه الصبي .  
« ولكن دعنا نصعد الى مخزن التبن بعض الوقت أولا . . اخفض  
صوته الى درجة السرية . » فمن المتع ان تراقب البقر وانت  
تمارس العادة السرية . »



وضع يداً على كتف الصبي . فكر الصبي في الاقتراح باهتمام مذهول . لم يكن قد شاهد مطلقاً مثل هذه الممارسة في الآخرين ، وكان احتمال مشاهدتها في رجل ناضج مغرباً . ورغم أنه حاول أن يتخيل جون ويزلي منخرطاً في هذا ، إلا أنه قرر بسرعة أنه سيكون مضحكاً مثل الكلاب . ومع ذلك ، فربما كان من المتسع أن يشاهده . شعر بيد الرجل تمجن كتفيه وتشرع في تدليك ظهره .

اسر إليه جون ويزلي ويده اللطيفة تتحرك الى أسفل الى خاصرة الصبي ، « وربما شجع احدهنا الآخر . »

ملاً الخوف والاحساس بالعار الصبي باندفاع مفاجيء . تحرك الى الخلف ونظر الى اعلا في عيني الرجل الكبير الزرقاوين .

قال وهو يكبت آية رعشة خوف في صوته ، « يحسن بنا الا نفعل ذلك يا جون ويزلي ! » واضاف بجدية ، « فمن المؤكد اننى لا اريد بسوء ان نأتى ويجدنا نفعل ذلك . »

نظر الرجل اليه وادار رأسه . تمتم ، « نعم ، اظن انك محق . هيا بنا ودعنا نحضر بقرتك . »

« وعلاوة على ذلك ، » اعلن الصبي بأهمية ، « فعلى ان اعود الى البيت بسرعة لاساعد في ثقل البطيخ ، »

« سمعت انكم حصلتم على محصول جيد . كان ابي على الطريق بالامس حين كانوا يحملون وقال انه كان اجمل ما رأى على الإطلاق . » وسلم للصبي الحبل الذى كانت البقرة مشدودة اليه الآن .

قال بوجهه ، « لا تقل أى شيء عما طلبته منك . كنت امزج معك فقط . »

« طبعا ، كنت اعرف ذلك طول الوقت ، لابد انك كنت تمزح لقد نسيت الامر كله . »

وحين كان عائداً الى البيت والحبل على احد كتفيه والبقرة السهلة الانقياد تمشي بتناقل خلفه . همس بورع ، « شكراً ، يارب ، على قوة وجودك المقدس في الحفالة على خادمتك المتواضعة بمقدوره ان يراه مختبئاً ، خطر له ، انا حقاً صالح لاننى لم اذهب ، وفي أعماق عقله في المكان السرى حيث كان يعرف ان الرب لم يكن بمقدوره ان يراه مختبئاً ، خطر له ، انا حقاً صالح لاننى لم اذهب ، ولكننى حقاً سىء اذ اظل اود لو اننى ذهبت .

عندما عاد الى البيت من مهمته ، كان أبوه قد ذهب الى البلدة .

اخبرته امه انه هو وبدى قد حصلنا على الاذن باستخدام الشاحنة ، ولكن كان عليهما ان يتوقفا عند الصيدلية قبل ان يبيعا اى بطيخ ويقابلا الاب : ابتلع غداه وهو فى حالة اثاره وانطلق صارخا عبر الحقل الى بيت بدى .

توقف الاثنان والتقطا ج . س . الذى لم يكن سيتقاضى شيئا عن مساعدته لهما عصر هذا اليوم لكنه جعلهما يعداه بأن يعداه يقوم بالرحلة على اية حال . اجلسه الصبى فى المنتصف وهو يطوق الباب الايمن بأن يقبض عليه بمرفقه . كانت الريح تصفر ممتعة خلال شعره والشاحنة القديمة تحدث اصوات فرقة وتهدر على الطريق الترابى تحت يد بدى الخبيرة . توقفوا فى الحفرة الرملية الضحلة عند دار القضاء ، ونزل الصبى من الشاحنة ليحبر الشارع ويجد والده . لكن ذلك السيد كان بالفعل يتجه نحوهم ، بعد ان سمع ورأى وصولهم . مده يده فى جيبه واخرج ربع دولار . قال وهو يسلمه الى ج . س . « اذهب الى هناك واحضر لنا كوكاكولا مثلبة تماما ، يا فتى . »

وبينما راح ج . س . يعدو بابتهاج عبر الشارع المترب : استدار الاب الى الصديقين . « كنت اريد ان اراكما انتما الاثنين دقيقة وحدكما . لقد حسبت تكاليف السماد والبذور ، وانا على استعداد لان اسوى الحساب معكما عن نصف محصولكما . فقد دفع لى السيد هيويل ليلة الامس عندما عاد من السوق . »

دفع يده فى جيبه الآخر واخرج ربطة مطوية من اموال خضراء . كان العملات الورقية جديدة الى درجة انه كان مضطرا الى لعق ابهامه من آن لآخر وهو يفصل بينها . كانت جميعا من ذوات العشرين دولارا . عد ثمان منها ومدتها الى الصبى . « هاك مائة وستون دولارا عن نصف محصولكما . لا تنسى ان تقسمها مع بدى . واريدكما ايها الصبيان ان تعلمنا اننى لم ادهش فى حياتى بهذا الشكل . فقد كسبتما اكثر من ضعف ماكنت اظنكما ستكسبانه من تلك الرقعة . واود لو علمت اننى سوف اربح مثله فى كل فدان من قطنى . » واستدار الى بدى المدهول . « اريد ان اتحدث معك هذا الخريف . فيكبر حجمك هذا ويجديتك فى عمك هذه ، ربما تكون مستعدا ان يكون لك محصول خاص بك . سوف نتكلم فى هذا . » قال بدى ، « اجل ياسيدى . ياسيد بورتر ، اجل ياسيدى .

سوف تأتي اليك بنصف ما يخصك من هذا البطيخ بمجرد ان تبينه . » .

قال الرجل الطويل القامة في الثياب البيضاء ، « لا ، فلتحتفظا يا اولاد بالمال الذي تكسبانه عصر اليوم لنفسيكما . » ووضع يدا على كتف كل صبي . « اريدكما ان تنتهيا من بيع البطيخ ، رغم هذا ، وان تفادرا البلدة الملونة قبل حلول الظلام بكثير . لن تنسيا ذلك ، اليس كذلك ؟ كم تنويان ان تطلبا ثمنا لهذا البطيخ ؟ » .

« حسنا ، لقد فكر بدى اننا قد نحصل على خمسين سنتا لهذه البطيخات الكبيرة الاثنتي عشرة حتى خمسة سنتات للبطيخات الاصغر . »

« افعلنا . اتساءل ، ولكن لو انكما سالتما نصيحتي ، لقلت لكما تقاضيا عشرة سنتات للبطيخ الصغير . فانا لم ار اى بطيخ آخر في البلدة بعد ، واعتقد انكما يمكنكما الحصول على ما تطلبان . ثم لا تأخذا اقل من ربع دولار في اى من البطيخ المتوسط . »

ها هو ج . س . ياتي بالكوكاكولا لكما . لا تنسيا ان تعودا الى هنا من البلدة قبل حلول الظلام . وافضل من هذا ، تعاليا الى الصيدلية واخبراني قبل ان تعودا الى البيت مباشرة . »

وعده الصبي والثلاثة يعودون الى ركوب الشاحنة ، وج . س . في المؤخرة مع البطيخ ، « اجل ، ياسيدى ، سنفعل . » وأضاف الاب قائلا ، « على فكرة ، اليكم دولارا . انا اشترى اضخم بطيختين لديكما . اتركوهما في الشاحنة واحضروهما الى بعد ان تبينا كل البطيخات الاخرى . »

وبينما كان تجار البطيخ ينمطفون حول ركن شارع الكنيسة ، المؤدى الى بلدة الملوتين ، قال بدى ، « ان اباك رجل طيب آخر ، ياسامو . لقد بيلمنى ثمانين دولارا عصر هذا اليوم ، ولم يكن مضطرا الى تسوية الحساب عن كل شيء . انا لا استطيع ان اصدق اننا كسبنا بالفعل كل هذا المبلغ . سوف يكون هذا كافيا لان اجعل تت تشتري سريرا وخوانا . وسوف اتزوج في عيد الميلاد بالتأكيد . »

كان مبتهجا وسعيدا الى درجة ان فنه في البيع كان لايقاوم . باعوا بطيخا في شوارع الكنيسة ، ثم مضوا عبر قضبان السكة



الحدودية الى هولي هيل وباعوا اكثر . لم يضطروا الى ان يتجولوا بها من منزل الى منزل . كان الناس يتجمعون حول الشاحنة حينما تتوقف . كان هناك مزاح طيب ومحاولات للمساومة ، لكن بدي تمسك بالثمن الذي قرره سسلفا . بل كانت هناك محاولاتان للمقايضة من فتاتين كانتا تدوران بعيونهما وشفاههما بايحاء لا يخطأ .

وعندما راجه الصبي بدي بهذا الاحتمال بتزمت ، ضحك وقال ، « انهما تريدان بعضه على اى حال وتحاولان ان تريا ان كان باستطاعتكما ان تحصلا على بطيخة تضاف كشيء اضافي ، واتوقع ان تعودا مباشرة مع شخص ما يشتري لهما واحدة . واذا لم تفلحا ، فسوف نطلق ج . س . العجوز عليهما . فليس لدى وقت للغزل ، انا اكسب مالا ، مريحى للأرض المهرء . »

وبغروب الشمس كانوا قد باعوا كل بطيخة معهم ماعدا الاثنتين المحتجزتين الأب . وقبل ان يقوموا بتسليم هاتين الشنتين ويعودا الى البيت ، اوقفوا الشاحنة فى الطريق الرئيسى بجوار دار القضاء ليعدا أموالهما . ناولا ج . س . دولارين لانهما كانا يشعران بالشهامة فاخفى اعلا الطريق باتجاه محل بايك التجارى ومتجر بثمان العام . وجلس بدي والصبي على قاع الشاحنة المسطح ، وأزاحا التبن عن نقعة ، وافرغا جيربهما فى كومة رئيسية واحدة . ومن هذه الكومة استخرجوا البنسات ، والخمس سنتات ، والعشرات والارباع وانصاف الدولارات فى اكوام منفصلة . وعندما انتهيا من المسد النهائي ، كان لديهم سبعة وثلاثون دولارا وخمس وعشرون سنتا . لملكهما شعور غامر .

دفع المصبي تلقائيا بالكومة كلها تجاه صديقه ، وهو يمتطى قمة موجة من الانتشاء حول حظ طيب غير متوقع . « اسمع ، يابدى ، اريدك ان تأخذ نصيبى مما كسبناه اليوم . فقد قمت بمعظم الشغل ، وانا لم افعل شيئا اليوم سوى الاستمتاع بوقتي . سوف اعطيك هذا كهدية زواج ، وان يصبح لديك حوالى مائة وعشرون دولارا تقريبا . »

احتج صديقه ، « سامبو ، لست مضطرا لفعل هذا . فقد ربت كل شيء لهذا المحصول ، واشتغلت بجهد تاما بالنسبة لحجمك مثلما فعلت انا ، ولا اعتقد ان اباك كان ليسمع لى ان آخذ تلك الارض دون ان تكون انت فيها . » وصمت . « لا ينبغي لى ان آخذها . والحقيقة

البيضة هي اننى لست وجلا بما فيه الكفاية حتى ارفضها .  
ولذلك فربما كنت اكبر منى . اشكرك بكل عواطفى . ماكل هذا  
الذى يأتى على الطريق ؟ » سال فجأة ، وبعدة .

أصبح الصبى واعيا بأنه ، حتى فى بلدة كان ضجيج المرور فيها  
متقطعا فى افضل احواله ، كان هناك هدوء غير طبيعى . لم تكن  
هناك سيارة على مرمى البصر أو سيارة تدور حول ميدان دار القضاء .  
تذكر الصمت غير الطبيعى الذى يسبق الأعصار ، حين تكف حتى  
الطيور عن الصداح . فمن جنوب البلدة ، امام واجهة المدرسة تماما  
وممتدا حول المنحنى وفوق التل ، لمع خط طويل من أضواء  
السيارات الامامية ، وهى تقترب ببطء وثبات ، وفجأة ، حتى  
وهو ما يزال ينظر ، انطلق فى الهواء فوق السيارة التى كانت فى  
المقدمة وهج نار . كانت السنة اللهب المتواصلة فى شكل صليب .  
دفعه بدى بخشونة وسرعة الى أرضية الشاحنة . كان ذراع بدى  
الثقل الكبير يطوق كتفيه ، وكان صوته يائسا فى أذنيه .

« اخفض رأسك ، ياسامبو ! بحق الله ، اخفض رأسك وكن  
اكثر سكونا مما كنت فى حياتك ابدا قبل ذلك ! ينبغي ان اجرى ،  
لكننى لا استطيع ان اتركك ، وعلاوة على هذا فقد يروننى . بحق  
محبة الله ارقد ساكنا ! »

وخائفا من الذعر الواضح فى صوت صديقه ، رقد الصبى مسطحا  
على قاع الشاحنة ، وجسده النحيل يضمه الذراع القوى لصق  
بدى . خطر له ان ذلك لابد ان يكون الكوكلو كس . لقد سمعت عنهم ،  
لكننى لم اراه ابدا .. ما الذى يمكن ان يكونوا يفعلونه فى  
بروتنتون ؟ .

جذبه بدى بشكل اكثر احكاما لصقه . « ارجوك ، ياسامبو ،  
اخفض رأسك ! لا تبعد عني الان ! » تضرع اليه .  
أصبح الصبى واعيا برائحة أبط بدى الخائفة اللاذعة . كانت  
مختلفة عن عرق العمل . كانت هذه رائحة الخوف . وعلى حين  
غرة غمره ادراكه ان صديقه لم يكن يحميه بل كان ينشد الحماسة .  
كان ذلك الجسم الهائل الحجم المتين العضلات المرتجف يحاول فى  
الواقع ان يختفى خلف هيكله الضئيل المهزول . كان صديقه  
خائفا لانه كان ملونا ! وكان يضرع طالبا مساعدة الصبى لانه كان  
أبيض !

تلاشى منه كل الخوف والجزع وحل محلها غضب عارم . قال

بنبرة حامية ضارية ، « بدى . ارقس فى سسكون ! ذلك مجرد الكوكلوكسى وهم لم تعد لهم قيمة . لا تخف وثق بى . »  
كان يستطيع سماع محركات السيارات القادمة . كانوا على بعد اقل من مبنى . ونكافحا ليحرر نفسه من الذراع الذى يقبض عليه . مد يده وغطى بدى تماما بقش الفم . كانت الراس السوداء الكبيرة مضغوطة جانبيا الى الارضية الخشبية للشاحنة . غطاها هى الاخرى . ووقف معتدل القامة تماما ، ورأسه الصغير يلتمع فى اضواء السيارات القادمة ، ونظارته تومض فى انعكاس الصليب الخفاق . دحرج البطيختين الكبيرتين الى الامام فى متساول اليد السسهل ، وجثم خلفهما ، وعجزته مستقرة على ارداف بدى اسفله .

كان الصليب يرتفع عاليا من المقعد الخلفى للسيارة الجواله المكشوفة التى كانت تقود الموكب . كان له رائحة الكيروسين والخرق المحترقة ، لكنه كان رغم هذا مشهدا يثير الرهبة . وكان البشر المشتركون فى الموكب اكثر اثارة للرغبة ، حتى استولى عليه اللعز تقريبا وهو ينظر . كانوا جميعا يرتدون اغطية رأس بيضاء حوافها ناتئة مع شارة غريبة تزين بعضها ، وقد غطاهم اللون الابيض تماما . كان لكل منهم قناع متراخ من القماش يتدلى تماما فوق الوجه به ثقوب للعينين فقط . كان بعضها مظلما كهفيا ، ولكن خلف بعض الثقوب كان يمكن رؤية وميض مقلة عين حين تستدير . وتلتقط الضوء المنعكس . وكان الشيء الاشد تأثيرا هو الصمت .

مرت السيارات المحملة برجال متبلدى الحس بلا حراك بسيط الى اعلا الطريق الترابى ، ولم يصدر عن أى رجل صوت . كان صوت المحركات التى كانت تعمل بنعومة بأصواتها الانفجارية الخافتة الناعمة هو الضجة الوحيدة التى يمكن سماعها . وعلى الرغم من أن رأسا لم تستدر لتعبر عن اعترافها بوجوده ، فان الصبى كان متأكدا أن كل قناع كان يحدق فيه مباشرة . لم يستطع أن يتعرف على احد ، ولا أن يتعرف على أى من السيارات حقا ، فى ضيعة كانت سيارة كل واحد وحتى كل بقلة مألوفة بمجرد النظر .

وعبر الشارع كان بعض الرجال المتناثرين ملتصقين بشكل متصلب وبلا حراك لصق جدران المتاجر ، لكنه كان يشعر أنه وحيد تماما وظاهر للعبان . وعلى حين قررة شعر أنه مسئول ايجابيا عن بدى . نادى بصوت عال ، « بطيخ للبيع ! بطيخ طيب ، ناضج ، على



بالعصارة للبيع ! لم يبق الا مجرد اثنتين - الواحدة بخمسة وسبعين سنتا . »

مرت السيارات في طابور بشكل ثابت . شعر بمؤخرة بدى تتكور الى اعلا في عقدة صلبة . لم يكن أى واحد لديه أى حق فى أن يفرض مثل ذلك الصمت الملىء بالاحترام ، ولا حتى موكب جنازى او كلمة صلاة . لم يسئل حتى واحد .

راح يتصايح ، « اشتر آخر بطيختين لدى ، ياسيد . ما ان ابيعها استطيع ان اعود للبيت . بطيخ للبيع ! » لم يلاحظه احد . وعندما اصححت السيارة الاخيرة بمحاذاة قذف فى الجسر اللامبالى بأصوات انفجارات السيارات الخافتة ، والذي يسوده احترام يثير الغضب ، لتلك الليلة التى فسدت ، بتوبيخ سساخر بصوت بالغ فى ارتفاعه . صاح بلهجة مبالغ فيها ، « الا تحبسون البطيخ ؟ اشترؤا بطيخة ! » وعندما مرت السيارة الاخيرة فى الموكب المتأني ، كان يمكن رؤية المتطفلين يستديرون فى شارع الكنيسة ، والصليب مايزال يشتعل . سمع سامبو من يقول ، « سامبو ، اركب تلك السيارة وادر المحرك ، ودعنا نغادر البلدة قبل ان يعود اوائك الناس . »

« بدى انا لا استطيع قيادة هذه الشاحنة على الطريق الكبير ، وانت تعلم هذا لقد ذهبوا ، اركب انت فى السيارة وهيا بنا نذهب . »

اجابه بدى بسرعة من تحت القش « نعم ، تستطيع . يجب . فقط تذكر ان تجذب ذلك الشيء الصغير وادفع ذراع السرعة الى اقصى اليمين فى وضع الرجوع للخلف . ارجوك ، ياسامبو ، اخرجنى من هذه البلدة . فانا لن اتحرك من تحت هذا القش حتى تفعل ذلك . »

اما وقد كان اضال من ان يجلس على المقعد ويصل الى دواسة البنزين ، فقد تمكن الصبى بفضل التعلق بعجلة القيادة من أن يدير محرك السيارة وأن يعشق ذراع السرعة وأن يضغط دواسة بنزين الشاحنة القديمة ويتجه الى أسفل الطريق . كان الهواء رطبا منعشا . اندفع سنواد الليل مهاجما الاضواء الامامية للشاحنة ، حاملا حشرات ترطم بحاجب الريح . راح المحرك القديم الوقى يهدر حول كاتم صوت طال نسياته ، وشعر الصبى بموجة من الاحساس بالانجاز وهو يقود الشاحنة للمرة الاولى على الطريق الكبير .

وعندما استدارا عند مزلقان هارب ، تارجح من اعلا عجلة القيادة ونزل بكنتى قدميه فى نفس الوقت على دواسة جهاز تشغيل التروس والفرملة . ترنحت الشاحنة متوقفة . جذب الذراع الى وضع عدم الحركة .

« بدى ، هذا سخف . اصعد الى الشاحنة معى هنا . انا اقود بشكل طيب ، لكننا تركنا الطريق الرئيسى الآن . »

تسلق بدى بجانب الشاحنة وهو يلتقط قش القمح من على قميصه ، « انك تقود بشكل رثع للغاية ، يافتى ، وانا شاكر لك بالتاكيد . هذه هى السنة الثانية على التوالى التى تنقذ فيها حياتى . ولا اعرف ماذا اصنع بدونك . »

« اوه ، بدى ، لا تكن سخيفا . انا لم انقذ حياتك . اولئك الرجال افرعوك فقط . انهم فقط يتباهون . وهم لن يؤذوا احدا قط هذه الايام ، ولا حتى ملونا . »

« هذا ماتقوله ، يافتى . فانت ابيض . لكننى اكثر معرفة . فهؤلاء الناس ياتون الى هنا من جريفيين . لقد تعرفت على تلك السيارة القديمة التى كانت فى المقدمة . فلدى عمسة تقيم فى جريفيين ، وقد رايت تلك السيارة عندما ذهبت لزيارتها فى احد ايام الاحد . انها تخص رجلا حقيرا الى درجة انه القى باحد الزوج فى النهر بمجرد ان نظر اليه . لا تكلمنى عن عدم ايدائهم لاي احد . »  
« يا الهى ، يابدى ، اين يمكن ان يكون ج . من ؟ لقد نسيت كل شيء بشأنه . هل تظن اننا يجب ان نعود لناتى به ؟ » قاطعه الصبى .

« لا . ج . س على مايرام ، ربما يكون قد سبقنا الى البيت . وبالتاكيد انت لست بحاجة الى القلق بشأنه . فهو بارع . ولايستطيع احدا ايداءه لانهم لايمكنهم ان يطوقوه . هيا بنا نذهب ، ياسامبو . سوف اشعر بالامن عندما اكون فى بيت امى . »

وعندما وصلا الى فناء الحظيرة ، اوقف الصبى المحرك ، واستند الى عجلة القيادة . « بدى ، ليس هذا صحيحا ، ماحدث الليلة ، اريدك ان تعرف اننى اكره الكوكلوكس كلان . وانت افضل صديق عندى . واريدك ان تأخذ مزيدا من نقود البطيخ . »

نظر بدى اليه ، وقد سبق الى اخراج احدى رجله من الباب المفتوح ، « لا ، لا تفعل . لا تعطنى اى نقود . لقد حصلت على ماكسبت يداى ، وكسبت ماحصلت عليه ، وهكذا يجب ان تكون

الأمور . ليس المال كل شيء ، ياسامبو . أنا لن أنسأك أبدا . «  
وبتحرور فجائى من التوتر ، ألقى برأسه الى الخلف وضحك ، « ولن  
أنسى أبدا هذه الليلة كلها ، هي الأخرى . فلم ير ناس كثيرون على  
الإطلاق طفلا أبيض يجلس أعلا مؤخرتى يبيع بطيخا للكوكلوكس  
كلان ، أنت مخبول ، ياسامبو ، يسكنك شيطان ، ولكنك أفضل  
أصدقائى أيضا . »

وحين كان ينام نوما خفيفا فى تلك الليلة سمع أباه فى غرفة  
النوم المجاورة يقول ، « أتى فخور بذلك الصبى . فقد كنت قد  
قررت أن أتاكد من أن يحصل على بعض المال عن ذلك المحصول ،  
لكنهما كسبا حقا وصدقا حوالى مائة دولار نصيبا لهما ، وبدى ذلك  
هامل جيد . وسوف أعطيه محصولا له فى العام القادم . »

وقهقه قائلا ، « كم أود لو أنك رأيت الصبى يقود تلك الشاحنة  
واظن أنه اختبأ هو وبدى تحت القش . المسألة أن دكتور هنيكت  
أقام الدنيا وأقعدها لأنه قال أن العجوز جورج جلاس أمسك بشدى  
زوجته عندما كان يقوم بعمل بعض الطلاء لهما . وكانت تريد أن  
يجلد جورج . لكن دكتور هنيكت اقنعها ألا تفعل ذلك . فأرسل  
الخبر الى بعض الفتيان فى جريفين ، وسارت جماعة كلان فى موكب  
خلال البلدة واتجهت الى بيت جورج .

« كان الصبيان قد غادروا البلدة قبل حلول الظلام ، وكاتا فى  
ميدان دار القضاء عندما مروا خلال البلدة . وقد قال أحد الرجال  
الذين بقوا فى الطريق أنه لم ير بدى ولكن سامبو كان يحاول  
أن يبيع بطيخا الى جماعة الكلان . ثم قاد الشاحنة الى خارج البلدة  
فيما بعد بنفسه ، وهو واقف ليفعل هذا . وذلك مايجعلنى أظن أنه  
كان قد أخفى بدى . ولم يكن ليغادر بدونه .  
« ولكن لا تذكرى هذا له . لا أريده أن يظن أننى أراقبه من  
كذب . »

سمع أمه تجيب بصوت ناعس ، « أود لو فكرت أنت فى كم  
يراقبك هو عن كذب . أطفئ النور ودعنا ننام . »  
فى صباح اليوم التالى أخذ الصبى ورقة من أدوات كتابة أمه  
وكتب عليها « تهاتنى وأطيب تمنياتى . » وطواها على ثلاثين دولارا  
ووضعتها بداخل ظرف . وعلى الظرف كتب « تم بيزامور ،



بیبودی ، جورجیا ، الطريق الريفی ، صندوق برید ۹۵ . « فکر  
لحظة ، مزق الظرف ، وعنون ظرفا آخر ، « الانسنة تت  
بیزامور ، بیبودی ، جورجیا ، الطريق الريفی ، صندوق ۹۵ . «  
كان لصمغ الظرف طعم طفيف من طعم شای كندا وهو يلمقه  
ويسده . شعر انه قد صار اكبر سنا .

بعد ذلك بأسبوع ، ذهب الى الكنيسة مع جون توم وستمورلاند العجوز . كان قد ذهب مسبقا ذلك الصباح الى مدرسة الاحد مع أمه وأخواته . لكن لم يكن هناك وعظ في كنيسة لانه لم يكن الاحد الاول . كان الملونون يبدأون صلاة الاحياء ، التي كانوا يطلقون عليها الاجتماع الكبير ، ولم يكن لهم مدرسة أحد على الإطلاق . كانوا ، على أية حال ، يتناولون غداءهم اليوم في الارض المحيطة بالكنيسة ، وكان الصبي متلهفا للذهاب .

كان قد انتزع دعوة من جون توم العجوز في المساء السابق عن طريق سؤاله ببساطة اذا كان لايمانع في ذهابه معه الى الكنيسة . أكد جون توم العجوز له ان ذهابه لا بأس به . ولكن كان عليه أولا ان يتأكد من الحصول على إذن من أبويه . كانت هناك حواجز غير مكتوبة وان كانت رسم ذلك محددة تماما بين الاعراق ويحترمها الطرفان . فلم تكن نظرية الحرية الدينية اوسع انتشارا في أى مكان عنها في الجنوب الريفى قبل إعادة البناء ، الا فيما يخص الكاثوليك واليهود ، بالطبع . فطالما لقيت أية مجموعة نفسها بالمعمدانية ، كان أى قانون سلوك تقريبا مقبولا .

ولكن لم يكن المرء يحضر الصلاة في كنيسة قريبة بدافع من الفضول المحض . ومن المؤكد ان أحدا لم يكن يعبر الخطوط العرقية كمتفرج مدقذغ الحواس . وعلى الرغم من ان أحدا لم يكثر مطلقا بأن يخبر الصبي انه لا ينبغي له ان يذهب الى كنيسة الملونين ، فانه كان يعرف في أعماقه ان مثل هذه المفارقة كانت محظورة بشدة . وبالتالي فانه دار حول الحصول على إذن للذهاب مع جون توم العجوز بطريقة ملتوية جدا .

قال بنبرات مفعمة بالعاطفة وهم في طريقهم الى مدرسة الاحد ذلك الصباح ، « أمى ، اننى أشعر بارتياح حقا لاننى ذاهب الى الكنيسة هذا الصباح . »

تهللت أسارير أمه ، « ذلك رائع ، يا بنى . اننى أشعر بارتياح

اذ اسبح منك هذا . »

تساءل بجدية بينما كانت أمه الورعة توجه الشيفروليه المربعة بعيدا عن طريق سيارة قادمة ، « أحد الصبية من صفى فى المدرسة يقول أنك اذا ذهبت الى الكنيسة كثيرا ، فإن هذا قد يجعل منك متعصبا دينيا . وهو يقول أن سمر فيلد هاموند أحد المتعصبين . هل تعتقدين أنك يمكنك أن تذهبي الى الكنيسة أكثر من اللازم ؟ » .

كانت أخته الكبرى فى المقعد الامامى تنفذ برنامجا مسدته ثلاثة ايام لتجاهله عقابا له على خرق ما لآداب السلوك من جانبه . تنشقت . لم تكن شقيقتها الاصغر سنا ، اللتان كانتا تركبان معه فى المقعد الخلفى ، قد وجدتا أى قدر من الامان فى تجاهله وكانتا تعتمدان على حلف يقوم على تبادل المساعدة للمحافظة على بقائهما . ادارتا عيونهما باتجاه السماء ولكزت احدهما الاخرى .

اجابت أمه ، « أنا لا أعتقد هذا بالتأكيد . وسمر فيلد هاموند بالتأكيد ليس متعصبا دينيا لمجرد أنه كرس حياته لخدمة المسيحية طوال الوقت . وأعظم أحلامى أن أرى كنيستنا تعمل طول الوقت وأن يمكنها أن يكون بها واعظ كل يوم أحد . ليس هناك فى هذا المجتمع من يذهب الى الكنيسة أكثر من اللازم . »

كذب ، « لا ، ياسيدتى ، ذلك هو ما أعتقد . أنا متفق معك بالتأكيد . » كان توقع الجلوس خلال موعظة يلقيها السيد كلاود كل أحد لمدة ساعة أمرا غير مبهج .

واصل كلامه ، وهو يتأمل فى هذه الاثناء كيف يستمتع بوضع اللادن فى شعر شقيقته الكبرى وربط أربطة احذية الشقيقتين الاصغر الى أحدهما الآخر ، « أليس هناك موضع ما فى الانجيل يقول ، « انه لعمل صالح أن تدخل بيت الرب ؟ » .

اجابت الام المفتونة ، « هناك بالتأكيد ، يابنى . أنه فى أحد المزامير . »

قال الصبى بتصرف حصيف ، « حسنا ، اذن ، ذلك فصل الختام . اننا جميعا نعرف أننا يجب أن نفعل مايقوله الانجيل . لقد ظلمت افكر فى ذلك الحديث الذى دار بيننا حول العشور ، وقد استقر رايى على أنك على صواب . ولذلك فأننى أريد أن أزكى عن بطيخى وأدفع العشر للرب . هل تضعين هذه الدولارات الثمانية



فى صندوق نذور الارساليات الاجنبية نيابة عنى هذا الصباح ؟ »  
ومال فوق المقعد الامامى ودفع النقود فى محفظتها .

قالت امه ، « انك تجعلنى فخورة وسعيدة للغاية ، يابنى . »  
وصمت لحظة ، « لكن هل هذا هو عشر المبلغ كله ؟ ألم تحصل انت  
وبدى على بعض المال من البيع فى بروتنتون ؟ ان الرب لا يخذع . »  
وصمتت مرة ثانية . وحذرتة بحزم ، « تذكر انانياس . »

ابتلع الصبى ريقه . « نعم ياسيدتى ، لكننى لم احصل مطلقا على  
اى شىء من تلك النقود . فقد اعطيتها كلها لبدى . »  
« ولاى سبب على الاطلاق فعلت هذا ؟ »

« حسنا ، هل ترين ، الامر على هذا النحو - حسنا ، ما اعنيه  
هو اننى فكرت انه قد قام باداء اكثر العمل وانه كان يستحق اكثر  
قليلا من الارباح منى . وعلاوة على ذلك ، فان حالهم اسوأ منا  
بكثير - فليس لديهم حتى حواجز فى نوافذهم . شجرت فقط  
ان الرب يدعونى الى فعل ذلك ، » اضاف بشهامة .

تمتت امه ، وهى تسجل فى ذاكرتها كيف يمكنها ان تقص هذا  
الحديث فى الاجتماع التالى لاتحاد الارساليات النسائى ، « كم  
هذا لطيف . » وعندما شرعوا يفادرون السيارة فى فناء الكنيسة ،  
نظرت الام اليه ، « من المؤكد اننى ام محظوظة لان لى ابن مثلك . »  
ثم اضافت قائلة ، « كل اطفالى بركة لى . »

سألته الاخت الصغرى وهم يسرون خلف السيارة ، « مالذى  
تنوى فعله الان ؟ »

« لا اعرف ماتقصدين ، اغلقى فمك ، هل تسمعين ؟ »  
وفى فصل منهوسة الاحد بعد المجموعة التبعية ، مال لصق  
جوجو ، وهمس تمهيدا للحديث ، « ما الذى تفعله عصر  
اليوم ؟ »

سأله رفيقه الممدانى ، « أنا وبوب ستبس الصغير ذاهبان  
لنضع مسامير متقاطعة على شريط السكة الحديدية وندع القطار  
يهرسها معا . هل تريد ان تأتى ؟ »

قال الصبى ، « لا ، لقل فكرت انه يمكننا ان ننظم مباراة كرة  
فى مرعى كولدويل ، وانك انت وبوب الصغير قد تأتيان . »  
وبعد بضع دقائق القى آيته من الانجيل التى يتلوها فى الصباح  
وهمس مرة ثانية ، وهو يتجنب اجتذاب انتباه المدرس ، « القطار

يبدو متعة اكبر . اذهبنا انتما . فسوف اقرا واعبث قليلا  
عصر اليوم . »

كان ذكر القراءة غير مريح دائما بالنسبة لجوجو ، وانقطع  
الحديث . وفي طريق العودة للبيت أعلن الصبي ، « سوف يقابلنا  
جوجو وبوب ستبس الصغير في مرعى كولدويل بعد الغداء مباشرة  
لنلعب مباراة في الكرة ، وسوف اضطر الى تناول طعامي على عجل .  
كان يريدني ان اذهب معهما الى شريط السكة الحديدية ، لكنني  
اخبرته انك لا تحبين ان لعب هناك - انه بالغ الخطورة . وفكرت  
انني ربما اذهب الى مباراة الكرة ، رغم ذلك ، اذا لم اجد شيئا  
افضل عمله . انت لا تمنعين في ان اتناول طعامي واجري ، اليس  
كذلك ؟ » سأل أمه .

اجابته ، وهي لا تزال منتشية ، « لا ، يا بني ، هذا على مايرام .  
لقد يشئت من قدرتك على تمضية عصر الاحد مع اخواتك دون  
احداث ضجة . وانا مسرورة انه سيكون هناك مزيد من الاطفال  
البيض هناك . فانا يقلقني انك ليس لديك رفاق للعب سوى  
اولئك الصبية الملونين . »

ظن انهم لن يبسطوا مائد الغداء ابدا ولن يتمتموا بالصلاة .  
ازدرد طعامه واستأذن وهو يحاول الا يجذب الانتباه قدر الامكان .  
كان الاب يترأس مائدة الغداء ، لكن عينيه كانتا حمراوين والجفون  
منتفخة ، وبدا اهتمامه منصرفا الى مكان آخر . أسرع الصبي الى  
الفناء الخلفي ، ووثب على دراجته ، وراح يعمل رجلية بجنسون  
صاعدا الطريق . فحتى لو اخذ في الاعتبار الفرق في مفهوم الزمن  
بين العرقين ، كان يخشى الا يلحق بجون توم العجوز .

قال لنفسه وهو يرقى التل ويرى جون توم العجوز واقفا في  
وسط حشد من الناس ويشرف على ركوبهم . مال بمجلة دراجته  
الخلفية ليتوقف فجأة تحت شجرة البلوط الضخمة في الفناء  
الامامي وسار بلا مبالاة باتجاه الاب الاسود الرئيس .

كان جون توم وستمورلاند طويلا ونحيلا ومفضنا . كان شعره  
ابيض مثل الثلج وجلده اسود مثل الهباب ، وكانت عيناه صفراوين  
في اول لقاء ، بعد ان انتقل الى مزرعتهم قبل ثلاث سنوات ، كان  
الصبي يراه اكثر شخص ابهارة وآه في حياته . كان لديه ثلاث

مجموعات من الاطفال يعيشون معه ، ابن كبير وابنتان كبيرتان من زوجته الاولى ، وخمسة من ابناء زوجته الحسالية من زواجهما السابق ، وثلاث بنات من زواجهما . وعلاوة على ذلك ، كان لاحدى بنتيه الكبيرتين طفلان وللأخرى واحد . وكان يسيطر على مجموع أربعة انفار للحرث وثمانية انفار للعزق وكان يستطيع بالتالى أن يتعامل مع أى مزارع قطن يريد .

وكان الصبى يفترض أن أى رجل يبدو مثل جون توم وستمورلاند قادر على حكم بيئته بحيوية ونشاط وحماسة مهيبة . كان العقاب بالنسبة له عن العصيان سريعا ومدمرا . فلم يكشف رجل أبدا عن تباين أعظم بين المظهر والحقيقة .

ومن المؤكد أنه كان يتحكم فى أسرته بشكل طيب . كان كسل أطفاله وأطفال زوجته يدينون له بالطاعة عندما كان يحدد لهم مهمات وأعمالا . وكان يتمتع بدعم زوجة مخلصه وتعاونها وباحترام الجميع فى المزرعة ، لأنه كان حقا رجلا طيبا ومهيبا . لكنه أنجز كل هذا من خلال استخدام الضجر . فلم يجلد مطلقا أيا من الصبية . كان يلقي عليهم محاضرة . وربما استمر هذا التعذيب لمدة ساعة ، وكان يستمتع به بقدر ما كانوا يكرهونه .

كان صوته سلاحا ، خفيضا لكنه لا يقهر . ولم يكن يرفعه مطلقا . كان فقط يطلقه . كان صوتا جافا ، منطلقا ، رتيبيا ، وكان يستمر بلا نهاية . وعند إصدار تعليمات كان يتلمر وينأكد بطريقة معقولة ولفترة طويلة الى درجة أن أطفاله قد تعودوا على أن يتحركوا بخفة استجابة لأوامره . كان موقفهم هو أنه من الأفضل أن يعملوا ثلاث ساعات من أن ينصتوا الى ثلاثين دقيقة من محاضرة عن لم وكيف ينبغي عليهم . كان كل أطفاله جادين فى عملهم . كان قضاء يوم أحد فى صحبة جون توم العجوز تجعلهم تواقين الى الوثوب الى الانطلاق الجثمانى فى حقل القطن صباح الاثنين .

بعد العام الأول فى المزرعة ، تخلص والد الصبى عن بدل أى مجهود لنصح جون توم العجوز بشأن المحاصيل أو الحقول أو الآلات أو العمل . وبعد عامين كان يتجنبه تماما . وقد سمعه الصبى يقول للام ، « ليس لدى وقت كاف فى حياتى لذلك الرجل . فلأنه ليس لديه مايقوله ، فانه يقوله طوال اليوم . »

وقد دمدم الجد ذات مرة ، وقد أصبح حاد الطبع مع نفاد الصبر



الذى باتى مع خرف الشيخوخة ، رغم انه كان ينتمى الى جيل سابق أكثر ابوية مع الزوج ، فى وجه جون توم العجوز ، « أغلق فيك الاسود الجهنمى ! لقد سمعت ما فيه الكفاية . فعندما أسأل كم الساعة ، لا أريد أحدا أن يخبرنى كيف اصنع ساعة ملعونة ! » .

وقد غادر مختالا فى غضب أشيب ، وهز جون توم العجوز كتفيه وتمتم قائلا للصبي برباطة جأش تدل على صلاحه ، « أن جددك بالتأكيد نكد المزاج اليوم وليس هناك سبيل الى معرفة ما يوجعه فقد عشت مع رجل فى سينويا ذات مرة اسمه السيد هتشينسون ماكنيت الذى أصبح نكدا حتى أنك لم تكن تستطيع أن تقول له شيئا على الإطلاق والذى اتضح أنه لم يكن ينام لأنه كان يعاني متاعب من التبول وعندما استسلم أخيرا وذهب الى الطبيب اتضح انها كانت غدة البروستاتة وحملوه فورا الى اتلانتا وثقبوا خرما فيه وعاد الى البيت يتبول مثل عنزة لكن مزاجه لم يعد كما كان معى وهو ما يذكرنى بكلب صيد راكون عجوز كان لدى منذ أمد طويل وأظن أن ذلك كان قبل أن أغادر مقاطعة بايك حين كانت زوجتى الاولى ماتزال على قيد الحياة ويبدو لى أن ذلك كان حين كنت أقيم مع السيد لوني ماكلروي لكننى لا أذكر بالضبط فى أى عام كنا وهو ما يمكن أن يكون سنتين ربما أو ثلاث سنوات بعد القحط السيئ فى عام ٢٥ واصبح ذلك الكلب العجوز مزمجرا عضاضا حتى أن أحدا لم يكن يستطيع أن يصل الى أى مكان حوله . على أى حال .. » وجذب نفسا .

قاطعه الصبي ، « يا ألهى ، يا جون توم ، على أن اذهب ، فقد نسيت شيئا على أن أفعله . » وبينما كان ينصرف مسرعا ، أضاف قائلا من فوق كتفه ، « أريد أن أسمع عن هذا الكلب فى وقت ما . واحب أن أسمعك تتحدث عن صيد الراكون . »

كان جون توم العجوز يحب الصبي . وفى عصر يوم الأحد هذا ، عندما اقترب الصبي منه ، نظرس اليه متشككا ، « هل قال أهلك أن الذهاب معى الى الكنيسة لا بأس به ، ياسامبو ؟ »

« بالتأكيد قالوا ذلك . على الأقل أمى . لم يكن أبى يبدو بخير ، ولم أشأ أن أثقل عليه ، لكن أمى قالت انها فخورة بى حقا وأنت

لا يمكنك ان تذهب الى الكنيسة اكثر من اللازم . «  
« ان الانسة فيرا تلك امرأة رائعة بالتأكيد وانت عليك ان تجلس على حجرى وعليك ان تحسن السلوك فى الكنيسة الان وان تجعل كل واحد فخورا بك وان لديك قدرا من الادراك ، وانت ياويلي ، انت ستقود بالطبع ، - فلا تستطيع ان تسمح لاحد غيرك ان يلمس السيارة لاننى لا اقود بنفسي السيارة التى احتفظ بها اساسا للعائلة للذهاب بها الى الكنيسة ، وانت يابى - بول ، عليك انت وشاوتى ان تسرعا وتجلسا على حجر احداكما الاخرى ، وانت ياسالى ماى ، يا عزيزتى ، انت تجلسين على حجر أمك وتمسكين بدلو الطعام الذى يوجد على سقف العربة ، ودعنا نرى ، انت ياباينت ، انت الان ولد كبير ويمكنك ان تتسع لاثنتين من اخواتك الصغيرات و... » .

واستمر المونولوج بينما الاطفال يتكلمون بجنون فى العربة فى محاولة يائسة لايقاف الصوت من صدره . كانوا جميعا قد احسن حكمهم . كانت ثياب الصبية تفوح برائحة صابون الليزول وثياب الفتيات برائحة النشا . وكان شعر الفتيات المصوفى قد شد باحكام فى ضفائر جديدة الى درجة ان عيونهن كانت تقريبا مائلة ، وكان يلمع بلعة مرهم رويال كراون العطرى . اما وقد حشروا فى السيارة ، فقد كانوا جميعا محتشمين ومدعتين فى طريقهم الى الكنيسة .

لاحظ الصبى ، وهو جاثم على ركبتى جون توم العظمتين ، ورأسه مائل الى الامام وعنقه مقوسة لصق السقف ، انه كان هناك بالعربة ثلاثة عشر شخصا ، خمسة فى المقدمة وثمانية فى الخلف . لم يتكلم احد فى رحلة الاربعة اميال فيما عدا جون توم العجوز . حاول الصبى ان يقاطعه مرة ليسر اليه انه قد احضر معه دولارا للندور . استمرت محاضرة جون توم العجوز عن فضائل الذهاب الى الكنيسة وخدمة الرب بلا هوادة مثل تيار متورم فى نهسر فلينت ، وسقطت ملحوظة الصبى مثل ورقة شجر على السطح وانجرفت بعيدا دون ان يلاحظها احد .

كانت الكنيسة المبنى المألوف ذا الاطار الابيض ، وقد نعم خطوطها الخارجية ريشات من الطلاء المقر . وكان برجها قصيرا وثخينا بشكل قريب ، وهى نسب كان الصبى يرى انها تميز كنائس الملونين

بشكل مؤكد الى درجة ان المرء كان يستطيع ان يعزلها عن كنائس البيض بمجرد النظر الى الابراج . كان تحتضنه ذراع مقوسة من شجرة بلوط ، وكان فناؤها العارى قد كنس حديثا . وكانت هناك سيارات مبعثرة أوقفت بشكل عشوائي قرب الجبانة الصغيرة الضئيلة التى كان يحدد قبورها صخور والواح غير مطلية . وكانت هناك عربة واحدة وسط مجموعة السيارات ، وقد ربط بفلاها ، برأسيهما المطاطتين وصبرهما الذى يميزه حفيف الذبول ، الى شجرة أرز .

كان الفناء يبدو مزدحما بالناس . وفى جانب الكنيسة الاخر من موقف السيارات كانت هناك طاولة طويلة ارتجلت من الواح واحصنة نشر الخشب ، ووفرة من الطعام بسط عليها ، بينما كانت النساء والاطفال يلوحون ببطء بأغصان التوت الصينى فوقها ليبعدوا الذباب اللزج الثقيل . وكان الناس يدخلون ويخرجون من بابى الكنيسة الاماميين فى تيارات ثابتة الى درجة ان الصبى تذكر فوهة قل النمل . كان يستطيع ان يسمع الفناء داخل الكنيسة ، وافترض ان الصلوات قد بدأت . فى كنيسته ، كان الناس يذهبون الى الداخل ما ان يسمعوا التراتيل او على الاقل يخفضون اصواتهم الى هدير مكتوم ينم عن احترام اذا بقوا فى الخارج .

أسر الى زوجة جون توم العجوز بوجل ، وطمانته بسرعة ، « يا الهى ، ياسامبو ، لسنا متأخرين . هذه هى طريقتنا . رتل قليلا ، صل قليلا ، وادفع قليلا من المال . وحوالى الساعة الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، أخرج وتناول طعامك بمجرد ان يفرغ القس من الوعظ . أنه لم يبدأ حتى الآن . دعنى أضع طعامنا هنا مع ماتى كيت وندخل الكنيسة . كيف حالك ، يا أخ كليمونز ، هل جميعكم على مايرام ؟ . نعم ، هذا الطفل الابيض ابن السيد بورتر . وقد جاء معنا . »

اما وقد اعتاد أن يجعل حجمه منه شيئا مجهولا فى الجمهرة ، فان الصبى شعر فجأة انه كان يقف مثل ايهام ملتهب . كسان الشخص الابيض الوحيد فى المكان . ومع التسليم بوجود عسدة مولدين ، بل حتى البعض بعيون زرقاء — فلم يكن من الممكن أن ينخدع أى شخص عنده اقل خبرة . شعر أن كتلة شعره الابيض الذى قصرته الشمس كان واضحا للعيان مثل علم خفاق . وعلى



الرغم من انه كان يعرف بعض الزوج الموجودين ، فان غالبيتهم كانوا اغرابا تماما . كان واعيا بحدة ان هناك تغيرا فى الموقف اينما رآه واحد منهم .

فقد يكون رجل أو امرأة يحيى عائلة وستمورلاند بطريقة مسترخية مريحة . وما أن تقع العين على الصبي ، حتى يحدث تغير فوري ، فيتوقف الضحك ، وتنخفض الاصوات ، ويعتدل العمود الفقرى باطراد قليلا . وعلى الرغم من أن الناس كانوا يستأنفون الحديث فى الحال ، فانه كان من الواضح أنهم كانوا واعين به . وحتى حين كانوا يتكلمون ، كانوا يدورون بعيونهم ويلقون عليه نظرات مستترة ، وانتباههم مشدود بشكل لا يقاوم الى الزائر الغريب .

خطر للصبي أن اهتمامهم اذا كان يشبه أى شىء فى العالم فانه كان يشبه حصانا شديد التوتر يدنو من شىء غير مألوف على طريق يعرفه جيدا . ولو أن واحدا منهم نفخ اذنيه ، وصهل بصوت عال ، ثم وثب جانبا ، لما وجد هذا متنافرا . شعر بأنه مختلف لانهم كانوا يتصرفون بشكل مختلف ما ان يروه . لم يشعر بأى خوف ، وهو متدثر بدرع بياضه ، والعباءة الواقية لكونه ابن أبيه كضمان اضافى . غير أنه كان يشعر بعدم ارتياح بشكل واضح . أدرك أن هذا كان يرجع الى أنه أبيض ، وتخيل نفسه أبيض غريبا فى ارض اجنبية .

سار بخطى جانبية الى جون توم العجوز على استحياء . لم يكن ذلك المخلوق قد كف عن الكلام منذ نزل من السيارة . كانت ثرثرة صوته الجاف الرتيب تفسح أمامه مساحة محددة كأنه كان لديه حرس شخصيون يتقدمونه . كانت تحيتهم التى تنم عن احترام تتلاشى دون أن تلاحظ على تيار صوته وهو ينحسر ، ويتراجعون بسرعة . وبهذه الطريقة كان جون توم العجوز يحرز تقدما حثيثا خلال الحشد باتجاه درجات الكنيسة .

عندما دخلوا المبنى ، اصبح صوت الغناء - الذى كان خلفيته معتمة حينما كانوا بالخارج - منبها سائدا . لم يكن هناك بيانو أو اية مصاحبة أخرى . لم يكن أى منها مطلوبا . كان تصفيق الايدي مع ايقاع الترنيمة ايقاعيا متانيا مثل بندول ايقاع . كانت هناك

عدة أصوات ندية (١) نافذة حادة الرنين ، ترتفع عالية فوق المصلين كأنهما نغمات كمان أو رعدة آلة نفخ موسيقية . وكان أصحاب الاصوات الصادحة والرنانة آلات ساكسوفون وكمانات ثانية ، وكان بعض الرجال توبات (٢) أو كمنجات جهيرة . غير أن التصفيق كان هو الذى يعزز الموسيقى . كان كل من فى المبنى يصفق .

كان البعض يقفون ليصفقوا . وكان البعض يقوسون أكتافهم ويؤرجحون أردافهم مع الإيقاع وهم يصفقون . كان التصفيق عاليا الى درجة أن الاصوات المغنية كانت تسمع فقط بين انفجارات الاكف المصفقة ، وكان المبنى كله يهتز بإيقاع النقر . كانت الافواه ممطوطة الى آخرها وبعض العيون تحديق نصف مغمضة والاعضاء يرتلون بحرارة بالغة . لم يكن الصبى قد رأى مطلقا مثل هذه المشاركة الكاملة الحماسية . الصق جسده الغريب بهيكل جسود يوم العجوز النحيل بينما كان ذلك الأب الرئيسى المبجل يمشى متمهلا الى ركن الدين يرتلون آمين فى مقدمة الكنيسة .

كان الصبى يبذل محاولة يائسة للتكيف مع هذه البيئة الجديدة ، وقد جلس فى الجانب البعيد من مضيئه والتحم به بشكل وثيق بحيث لا يبدو للعيان قدر الامكان ، وقدماه تتدليان فى الهواء .

كان قد تخيل أنه لم يكن غريبا على موسيقى الزنوج ، فقد جلس ، لسنوات عديدة ، فى شفق أمسيات الصيف الشديد الوطأة ، تحت أقدام جده فى الشرفة وأنصت الى لسبون وأطفاله عبر الحقول فى بيتهم . كانت أغنياتهم تبدأ بعد العشاء ، عند نهاية يوم من العمل الشاق فى حقول القطن ، وكانت تبدأ دائما بهمة منخفضة لتأسيس الحالة المزاجية والتناغم . وسرعان ما كانت تعلو فى الحان دندنة يرققها الظلام وتكتمها المسافة الى أصوات حلوة مناسبة كأنها غسل نحل صفى حديثا . وعلى الرغم من أن الكلمات عبر الشفق وحقول القطن التى تغلفها الظلمة كانت غير مفهومة ، فان الرسالة التى كانت تحملها كانت تعبر عن الاكتمال والرضا . كانت تاتى كتأكيد على أن الكون كان موضع نظام وسعادة وأن كل شيء لابد أنه على مايرام . أدرك فجأة أن مقعد جده الهزاز

١ - سوبرانو .

٢ - آلات نفخ نحاسية كبيرة .

لم يكن موجودا وأنه كان فى موقف لم يتخيله مطلقا . لم تكن هذه أغنية مهد مسائية يغنيها قوم مدعنون راضون . كان هذا عالما جديدا بالنسبة له ، وكان يواجهه وحده .

رتل المصلون ، « وقال ، « اذا ارتفعت » .

شرع جون توم العجوز فى التجشؤ بصوت جهير فى أذنه تماما . كانت الاصوات ترن ، وأقدام الرجال تدق ، وجدوع النساء الطاعنات فى السن اللاتى كن من نواح مختلفة رزينات مهيبات تتأرجع من جانب لآخر ، والايقاع يملأ الكنيسة من الارضية حتى السقف . تخيل الصبى أن التصفيق المنوم كان صمام هروب لضغط الايقاع الصرف الذى لا يحتمل والذى كان يملأ المبنى . كانت الممرات ممتلئة بأناس يدخلون الكنيسة ويخرجون منها بشكل دائم . كان معظمهم فتيات ونساء لا يبدو عليهن أنهن كن لديهن أى دافع أو غرض محدد . كن يمشين الهوينى وهن يخرجن ويمشين الهوينى وهن يرجعن . لم يكن بهن حتى مايوحى بالخجل أو التكتم - فاذا عن لهن أن يضحكن أو يتكلمن فى الممر ، كن يفعلن ذلك . ولم يكن كبارهم يلقون عليهن أى نظرات عدم استحسان . والحقيقة أنه لم تكن هناك نظرات عدم استحسان فى أى مكان ، ولا أفواه متزمطة مقلوبة ، أو ظهور معتدلة مشدودة أيضا .

وعلى حين غرة نهضت امرأة متوسطة العمر ، وقد ارتخى كتفها ، وراحت رأسها تدور على عنق لين ، وذراعاها الطويلان يلوحان بايقاع كأنهما لم يكن بهما أى عظام . راحت تصفق بصوت عال مع الايقاع وارتفع صوتها فوق أصوات الجميع ، بانفعال وحرارة يفوقان الكلمات :

أنا أبوك ، أنا أمك ،

أنا أختك ، أو أخوك .

ومن خلفها صاح أحد الشماسين العجائز ، « رتلوها اذن ، » وصفق مثل طلقة من ميسدس . وقال الرجال الآخرون فى شكل جوقة « آمين » و « أجل ، يارب ، » وأصبح صوت المرأة أعلى وأشد حدة . كانت تهز رأسها كأنها كانت تهز صفار بيضة لتستخلصها .

قال ، « اذا ارتفعت .

فاننى أجلب البهجة الى نفوسكم . . »

وجلست بينما استمر الغناء والتصفيق . تسمر الصبى . لم

تكن هذه تشبه اية كنيسة رآها على الاطلاق . كان هذا مزيجاً من الاسى والبهجة فى نفس الوقت . كان هذا الالم والنشوة مجتمعين . كان هذا وعداً وانكاراً .

كان هذا اطلاقاً للنفس على سجيتها لشيء برى وبدائى بدرجة لا توصف . كان هذا عاطفة مشبوبة لم يتخيل لها مثيلاً مطلقاً ، وكان جزءاً يسيراً منها جنسياً بالضرورة . استقر رأيه على أن هذا لم يكن مكاناً للبيض . تلوى أكثر التصاقاً بجون توم العجوز . لم يكن يلزم الا اقل القليل من الخيال ليحول التصفيق البطيء الى الايقاع الأكثر سرعة لدقات الطبول ، والتأرجح ودق الاقدام الى رقص مهتاج ، والغناء الحاد الى ضراعات جامحة لآلهة غامضة . كانت هذه هى الغابة . لم يفهمها ، وكان خائفاً حتى النخاع .

ادرك أن جون توم العجوز كان يخاطبه ، « أين دولارك ؟ انهم يستعدون لجمع التبرعات . »

كان الواعظ ، نحيلاً مفكك المفاصل مثل عروس خشبية ، يمد ذراعيه طالباً السكون حالما انتهت الترنيمسة . لم يبطئ هذا من دخول وخروج الفتيات فى الممر . ولاحظ الصبى أن أصابع الواعظ الطويلة الممتدة كانت تلتف على نفسها تقريباً . وخيل اليه أن نسبها كانت مثل نسب أصابع أقدام ضفدعة الشجر ، وأنها كانت تبدو كما لو كان من الممكن أن يكون لها كثوس امتصاص فى أطرافها . وبصوت جهير مدو ملاً كل ركن ، أعلن أن التبرع كان سيجتمع الآن من أجل عمل الرب وأنه كان من المتوقع من كل واحد أن يساهم بقدر ما يستطيع أو تستطيع . ومهما كان ذلك القدر ، فقد كان من المفروض أن يتبرع كل واحد .

كان الصبى يستطيع أن يتوحد مع هذا النصيح . فلو أنه أضاف الى تغيير مقام الصوت هنا أو حذف منه ، والايقاع هناك ، وكلمتين أو ثلاثاً تنطق بشكل واضح ، لكان بإمكانه أن يغمض عينيه وأن ينقل واعظ كنيسته المتصلب الظهر الاشيب المغبر الشعر الى هذا المنبر .

وكانت الرسالة واحدة .

مد يده فى جيبه ، وأخرج الورقة النقدية ذات الدولار وأظهرها لجون توم العجوز ، الذى أوماً برأسه مستحسنًا . كان الواعظ يميل فوق المنبر ، يؤرجح ذراعاً قردياً فوق الطاولة التى تقع



أسفله .

« وبينما نرتل ترنيمة التبرعات ، ليتقدم كل من يحب الرب ويضع دليل محبته على هذا المحراب . دع الناس يأتون ، يقول الرب . » راح يهدز بايقاع لا يقاوم . انتقل الى جانب الطاولة ، ورفع ذراعه الطويل فى الهواء ، وقد تدلت من اصابعه قطعة نقود خضراء ، وأرعد ، « وانه لامتياز رفيع لى أن أكون اول من يتقدم الى هيكل صاحب المنزلة الرفيعة بهبتي - آه . اتبعوا وصايا الكاهن الاعظم لله العلى - آه . انظروا هنا ، يا ابناء الله ، اننى اعطى هبتي ، اننى اعطى هبتي - آه . دع الناس يأتون . » مال فوق المنبر ووضع نقوده بدقة على سطح الطاولة . ثم استقام ، وطرق يديه الضخمتين كأنهما صنج مفزعة ، وقاد الترتيل .

لا أحد يعرف المشقة التى عانيتها ،

لا أحد سوى يسوع . .

دبت الحياة فى الكنيسة كلها استجابة له . . واستؤنف التارجح والتصفيق . وارتفع صوت ندى حاد من مؤخرة الكنيسة .  
أحيانا أحلق ، وأحيانا أقع  
أوه ، نعم ، يارب .  
وأحيانا أصل الأرض تقريبا  
الشكر والمجد لله . .

كان الضجى مشدوها من عدم التصديق . كان قد افترض أن شعيرة مرور طبق التبرع الى أعلى أحد الممرات والى أسفل الممر الآخر كانت شعيرة عالية مثل ارتداء الملابس للذهاب للكنيسة . وهؤلاء الناس كان ينتظر منهم أن يسيروا الى أسفل الممر كل على حدة ويضعوا تبرعهم على الطاولة التى تقع أسفل الواعظ الملووح المغنى وأمام عيون كل المجتمعين . وبينما كان يراقب ، بدأ المصلون يستجيبون .

لم يكن بالشعيرة ترتيب أو نظام . كان الناس ينهضون من المقدمة ، أو الوسط ، أو من مؤخرة الكنيسة ويسرون الى أسفل الممر فى المقدمة . كانوا يسرون مع ايقاع التصفيق . وكانت النساء يفككن اركان مناديلهن وهن فى طريقهن الى أسفل الممر ليخرجن العملات التى عقدتها هناك . كان الواعظ يهدد ، ويضرع ، ويعيد ، وساد التصفيق على كل شيء . كان بعض الناس يذهب

الى الطاولة اكثر من مرة . واشتد احتياج الواعظ . وارتعب الصبي  
وشعر بجون توم العجوز يلكزه . وسمع زمجرتة ، « الآن وقت طيب  
للذهاب ، ياسامبو . »

حاول يائسا أن يسلمه الدولار . وطواه جون توم العجوز  
ثانية في يده ، « عليك أن تذهب بنفسك ، ياسامبو . لا تفزع من  
هذا . »

شعر أن كل الشماسين يحدقون فيه ويريدونه ان ينهض .  
وكان يعرف أن الواعظ ينظر اليه . اغمض عينيه . وتضرع ،  
يا ابانا الرحيم في السماء ، اذا كنت تستطيع ان تصل الى خلال  
هذا كله ، ساعدني الان . أمسك بخادمك المطيع في كف يدك .  
تذكر اليشا ونعمان ، يا ابانا الرحيم ، وساعدني الى أسفل  
ذلك الممر .

نهض على ساقين مطاطيتين وخرج الى الممر . وحين فعل هذا ،  
وقعت عينه الخائفة الجواله على بدى عبر الكنيسة . كان بدى  
يصفق ويفنى ، لكنه حين رأى الصبي ابتسم ابتسامة عريضة وأشار  
اليه باصبعه بتحية مستهجنة . وللحظة وجد الصبي راحة لم رأى  
شخص مألوف ومرتبطة بالامان .

وعندما نظر مرة أخرى أدرك أن بدى كان مستريحاً وعلى حرته  
كانه فى بيته وأنه لم يكن يشعر بأى من الرعب واليأس الذى كان  
يشعر به . عاد بذاكرته الى أسبوع مضى حين كان بدى يرقد مرتعداً  
ضارماً تحت القش على أرضية الشاحنة . قال لنفسه تلك هى  
الورطة التى وقعت فيها الآن . انه مجرد خيالك . لن يؤذيك أحد .  
لو ان الكوكلو كس دخلوا الى هنا الان ، لجرى الجميع . هكذا اظن .  
شعر بالضيق من بدى لانه ضحك . شد قامته ودفع كتفيه  
النحيلتين الى الوراء . وتخيل نفسه مرتدياً رداء طويلاً أبيض بأكمام  
كاملة وغطاء رأس طويل مدبب على رأسه . وفى عقله اسقط قناعاً  
على وجهه . وتمتم بتبجح ، « حسنا . استدعوا دكتور ريدواين »  
وسار الى أسفل الممر .

لم يبذل أى مجهود ليلائم بين خطواته وإيقاع الغناء . ورغم كونه  
واضحاً للعيان وغريباً ، فانه شعر أن أية محاولة للامتزاج مع  
الحشد كانت غير مجدية تماماً . جعلت أصابعه المرتجفة الورقة  
الدولارية تتراقص بشكل يتعذر معه التحكم فيها وهو يضعها على

كومة العملات والاوراق النقدية المبعثرة على الطاولة ، لم يكن لديه  
اى شعور بالعبادة أو التبرع . لم يكن لهذا الموقف أية علاقة ببيت  
ايتام جورجيا المعمدانى أو لوتى مون أو الارساليات الى الصين .  
كان يتعامل فى قدية ويأمل بحرارة أن تكون كافية .

وبفض النظر عن كلمات الترانيم التى كانت تحتل المكان ، خيل اليه  
ان يسوع ويهوه لم يكونا فى اى مكان قرب هذا المبنى . كانا فى  
عالم الرجل الابيض ، ينصتان الى مواعظ دوايت ل . مودى او  
سام جونز ويبرمان عقوداً متحضرة مع لوى د . نيوتن الذى ينتحب  
بشكل لطيف . كان اليجا فى كارمل اشجع رجل فى التساربخ  
بالضرورة .

صلى ، أشكرك ، يارب ، على أن وصلت بخادمك المتواضع  
الى هذا الحد سالماً . والان دعنى أراك تصل به الى جون توم  
العجوز .

صرخ صوت حاد مرتفع بايقاع درامى ملح ، « احيانا أصل الى  
الارض تقريبا . »

« رتلوها ، أذن . »

« اشكروا الرب . »

واقتحم الشماسون ، « الشكر للرب . » ووسط التصفيق  
والتأرجح ، شق الصبى طريقه عائدا الى مقعده ، وقد أرخى عينيه  
فى تظاهره القديم المألوف بالتواضع . سمع اختا تصيح على اخرى  
فيما بين التصفيق ، « اليس ذلك لطيفا ؟ » وبينما كان يتلوى فى  
طريقه الى مرفأ ذراعى جون توم العجوز اللتين تطوقانه ، أدرك ان  
مقدمة سرواله كانت مبتلة .

وسرعان ما أدرك الصبى ، وقد أربهه التبرع واذهله ، أن تلقينه  
الشعائر قد بدأ فقط . ففي بداية موعظة الواعظ ذاتها كان هناك  
غضب وحرارة أكثر مما فى ذروة أية موعظة بروتستانتية سمعها  
الصبى على الإطلاق فى كنيسة بيبودى الممعدانية . كان الواعظ  
منتشرا فى كل واجهة الكنيسة وهو يختال مثل ضارب الطبول  
لحظة ، ويجثم مثل قطة ، ويشب فى الهواء ويدور مثل درويش .  
كان يرج جسده ، ويهز رأسه . كان يجأر ، ويصرخ ، ويصيح .

وكانت شفتاه السميكتان الغليظتان تبدوان كما لو كانتا تستعدان  
للامسك بشيء وهما تمتدان للامسك بالكلمات ، وتحتضناها ، ثم  
تقذفان بها مثل صواعق البرق عبر الكنيسة .

عندما عاد الصبي من زيارته للكنيسة وجد أمه تنتظره .

قالت : « حسنا ، أيها الشاب ، أنت حاذق جدا ، اليس كذلك ؟  
لقد أخذتني على غرة بالفصل المسرحي الذي مثلته هذا الصباح .  
وأريدك أن تعرف أن حتى الشيطان يمكنه أن يستشهد بالكتاب المقدس  
لتحقيق غرضه . وأنت لست الوحيد الذي يستطيع أن يفعل هذا .  
أنصت الى هذا ..

« ولا تشهد زورا » .

« بحبك أباك وامك ، تطول أيامك على الارض » .

« نشيء الطفل على الطريق الذي يجب أن يسلكه ، وعندما يكبر  
لن ينصرف عنه ؟ » .

صمتت . مالت فوق الطاولة التي كانت خلفها ، والتقطت ثلاثة  
أسواط قطعت حديثا من شجرة الخوخ وملتوية بشكل حاد . كان  
بإمكان الصبي أن يشم رائحتها النتنة الكريهة . وعندما فتحت فمها  
لتتكلم ، انضم اليها الصبي وتكلما بتناغم ، « العصا لمن عصى . »

قالت أمه ، « هذا صحيح . وأيضا » ان الله لا ينخدع ، وامك  
لم تعد مخدوعة . اخلع هذا السروال ! »

قبل بلوغه الرابعة عشرة بشهر واحد ، تلقى الصبي آخر حلقة له .  
وفجأة قرر ألا يبكي أو يتراقص . وعندما كانت الاسواط الحادة  
تمزق فخذه وساقيه العريانيين ، لم يكن يملك إلا أن يجفل . لم  
يبك أو يقفز في الهواء ، على أية حال . وقف معتدل القائمة وظل  
يتلقى الضربات على لحمه العاري ، وهو يتظاهر بأنه في مكان آخر  
وان هذا لم يكن يحدث له حقيقة . وقد أكد أمد التعذيب المقدمة  
المنطقية التي اعتنقها طوال حياته أنه كلما تزايد صياح المرء وكلما  
تزايد جموح تراقصه كلما قصرت فترة الجلد . فقد ظن أنها لن  
تكف أبدا .

وعندما انتهى الأمر أخيرا وتركته أمه المجهدة بوجهها المحتقن يرتدى



سرواله ، تفحص الصبي شبكة آثار الضرب الحمراء المضقورة التي كانت تلدغ مثل نحل كثير وتبدو مثل مجسوسة من ديدان الأرض التقطت عشواتيا . شعر بأنه هاديء ونظيف ، قد غفر له أتمه وتحرر من الخطيئة .

قال بصوت عال ، « وددت لو أنني استرددت الثمانية دولارات » ثم أضاف وهو صامت ، أنا لم أقصد ذلك حقا ، يا أبانا الرحيم الذي في السماء . اغفر لخادمك المتواضع . فقد قضى يوما صعبا .

عندما استؤنفت الدراسة في تلك السنة ، كان طالبا في الصف قبل الأخير ، وهو وضع أعلى بكثير في التدرج الهرمي المدرسي الى درجة أن تكيفه مع أهميته الجديدة استغرق عدة أيام . في اليوم الاول في حصة اللغة الانجليزية ، طلبت المدرسة منهم أن يكتبوا موضوعا عن شيء فعلوه في ذلك الصيف . لم يستطع الصبى أن يتذكر حدثا واحدا غير عادي بما يكفي لان يكون مثيرا لاهتمام أبناء البلدة ذوى الذوق الرفيع . فكر لمدة خمس دقائق ثم كتب تقريرا ملفقا تماما عن رحلة مدرسة الاحد الى الينابيع الهندية .

لم يجد صعوبة في ادراج مواد دراسته في الجدول . وعلى الرغم من أنه كان ما يزال أصغر صبى حجما في المدرسة ، فانه لاحظ بارتياح أن معظم الطلبة الجدد وبعض طلبة السنة الثانية كانوا يعاملونه باحترام . كان الصبية الجدد يرفعون أيديهم وينادون باسمه عندما يلتقون به في القاعة ، وخطر له أنهم اذا كانوا يشبهون شيئا في العالم فقد كانوا مثل أطفال يريدون أن يجذبوا الانتباه اليهم . تذكر الانزعاج الخجول الذى كان قد خبره قبل سنتين وكان ودودا في أجاباته . وكان عادة ما يشعر بالود والجزع تجاه الطلبة الذين كانوا يبدوون شديدي الوجل والريفة . كان هذا يشعره بارتياح .

بل انه شعر بارتياح أكبر حين جاءته واحدة من فتيات البلدة في صفه لتخبره أنها كانت بحاجة الى مساعدته . كانت هى وفتاة اخرى والصبى هم الطلبة الوحيدون في فصل اللاتينى للسنة الثالثة . كان السيد جيل قد أسر الى هذه الفتاة بالذات ، التى تصادف أنها كانت من أكبر عائلة في البلدة وعضوا في كنيسة ، انه كان سيلغى لاهينى السنة الثالثة من المنهج . وأشار الى أن عددا صغيرا فقط من الطلاب سوف يفيدون منه وأن مدرسة اللاتينية الجديدة كانت غير راغبة في أن تبذل جهدا مع مجموعة صغيرة الى هذا الحد . كانت فتاة المدينة هذه مازالت تدعى بيتى لو الصغيرة ، حتى ان

دوائر الصف العاشر الناضجة والمحنكة نسبيا . كانت نفس الفتاة التي بللت الارضية في صف السيدة كولبير الرابع ، وكانت قد تمكنت من أن تستغل صدمة الطفولة تلك بمهارة فائقة بارعة . فقد كان كل ماتحتاج أن تفعله حين تواجه أزمة في المدرسة أن تتنفس بعمق ، وأن تغمض عينيها ، وأن تشرع في الارتجاف . كان هذا كفيلا بأن يجتذب انتفاضة فورية من صديقات مخلصات ، وفي ظرف دقائق كانت ترافق بجزع الى خارج الفصل وترسل الى البيت بقية اليوم . وقد لاحظ الصبي ان هذه التوبات كانت تحدث عادة في المدرسة الثانوية اثناء الامتحانات التحريرية . ولم تكن بيتي لو الصغيرة تصاب مطلقا بنوبة الا بعد ان تكون الاسئلة كلها قد كتبت على السبورة . ومرارا كانت تمتحن فيما بعد ، بل ان بعض المدرسين الاعمق تورطا كانوا يسلمونها لها في منزلها حتى تستطيع أن تعاني في خلوة مخدعها .

وعلى الرغم من رقة جهازها العصبي وتلك الصدمات الدورية التي كانت تنتابها ، فانها كانت تتمكن بشكل ثابت من الحصول على تقديرات طيبة . وقد تكيف زملاؤها بنجاح عبر السنين مع اعتبارها مخلوقة مختلفة تستحق اعتبارا غير عادي . فلم يظهر احد اية غيرة مما يشي به الامتياز الخاص عادة ، على الرغم من أن الصبي كان يتساءل من وقت لآخر عما اذا كان من الممكن أن تكون حياتها مختلفة لو أن مبادئها كان يمكن الاعتماد عليها أكثر في الصف الرابع .

كانت مسجلة في فصل اللاتيني للسنة الثالثة لانها كانت تريد الالتحاق بكلية سوفي نيوكوم عند تخرجها ، وقد نما الى علمها أن اللاتيني كان أحد المتطلبات . كان الطلبة الثلاثة قد اشتروا مسبقا كتب قواعد اللغة ومختارات من شيشرون وكانوا قد قطعوا شوطا في الترجمات في اليوم الثالث عندما اختار السيد جيل بيتي لو الصغيرة ليعلن عن نواياه . فقد استوقفها بحذر في القاعة وهي في طريقها الى غرفة الاستراحة .

وعلى الرغم من أنها تنفست بعمق ، واثمضت عينيها ، بل انها ارتجفت قليلا ، فان فنونها لم تكن مجدبة . تارجع السيد جيل من قدم الى أخرى ، وجلجل مفاتيحه ، واسقط طقم أسنانه السفلى في حين راح ينظر بشبات الى نقطة فوق رأسها بقدمين . وما أن انتهى من كلامه ، حتى تراجع الى مكتبه ، وأغلق الباب ، ورن جرس

## الاستراحة ..

أخذت بيتى لو الصغيرة الى درجة أنها اتجهت مباشرة الى الصبى وهو يشب على أطراف أصابع قدميه ليخرج كتبه من الخزانة . أخذ هو أيضا . لم يستطع أن يتذكر أنه رآها أبدا وحدها من قبل ، وكان واثقا تماما أنها لم تخاطبه من قبل مطلقا فى عدم وجود آخرين . فقد كان يصاحبها عادة فتاتان او ثلاث فتيات أخريات على الاقل . وكان معنى هذا أنها لم تكن تكثرث .

والآن ، بينما كانت تخاطب الصبى مباشرة بصوت به اهتزاز أجش ، والكلمات تخرج منها في دقات لاهثة ، استقر رأيه على أنها كانت جذابة للغاية .

قال ، « يابيتى لو الصغيرة ، لاتنزعجى ، لاتضطربى ولا تنزعجى » وقاوم حافزا الى أن يربت على رأسها .

وفكر ، « اليوم هو الجمعة . وهذا يمنحنا وقتا طويلا . على أن اكلم أبى وأن أقنعه بأن يضعنا على جدول الاعمال ، وسوف نمثل امام لجنة التعليم يوم الثلاثاء القادم » .

رددت بيتى لو الصغيرة فى ذعر ، « نذهب الى لجنة التعليم ؟ لا أستطيع أن أفعل هذا . كنت أموت خوفا . »

وعدها الصبى ، « لن تكونى مضطرة لان تقولى كلمة . سوف يتولى الباكون الكلام . نحن نحتاج الى أكبر عدد يمكننا الحصول عليه ، رغم ذلك . هل تحسبين أنك تستطيعين اقناع آنى روث ووينيت بدراسة اللاتينى لمدة سنة أخرى ؟ اعرف ان فيرجينيا سوف تذهب معنا ، وسوف يبدو خمسة أفضل من ثلاثة . »

تهدج صوت بيتى لو الصغيرة ، « أوه ، لا ادرى . لقد قالت آنى روث قبل بداية الدراسة انها لم تكن حتى ستفكر فى دراسة اللاتينى مرة ثانية . وقالت انها لا تستطيع أن تنسى حتى الان « أنا احب ، أنت تحب ، هو يحب ، من السنة الاولى وان كل بلاد الفال مقسمة الى ثلاثة اجزاء ، من السنة الثانية . وقالت انها لا تريد أية مادة من هذا النوع أن تتراكم فى ذهنها بقية عمرها بل انها لا تريد حتى أن تتكلم بشأن دراستها سنة ثالثة . »

قال الصبى ، « سوف تذهب معنا اذا سألتها . وهى ليست مضطرة بالضبط الى أن تقول انها ستدرس اللاتينى للسنة الثالثة هى نفسها ، تستطيع ان تقول فقط انها تود أن تراه يدرس . . واذا نظرنا



الى الامر بهذا الشكل ، فأننى اراهن أنك تستطيعين اقناع لينارد بالذهاب معنا هو ايضا . فهو يحبك . »  
طقطقت الفتاة ، « اووه - وى . ان كل هذا يجعلنى أصاب بالدوار تماما . »

نصحها الصبى ، « لا تضطربى ، يابيتى لو الصغيرة . عليك فقط ان تفتاحى أصدقاءك وسوف اتكلم انا مع أبى . وأخبريهم الا يقولوا أى شىء عن هذا . فنحن لا نريد ان يصل الامر الى السيد جيل قبل ان نذهب . »

انشجت الفتاة ، « يا الهى ، انا لم أفكر فى ذلك . انا بالتأكيد لا أود ان أجرح مشاعر السيد جيل . فهو لطيف جدا . هل تظن أنه سينزعج ... »

« الآن ، يابيتى لو الصغيرة ، متى رأيت السيد جيل منزعجا أبدا ؟ انه فقط ينفذ قاعدة ما تسلمها من لجنة التعليم . ربما لا يريدنا ان نزعج لجنة التعليم بمشكلاتنا الصغيرة ، هذا كل ما فى الامر . ألا تريدن الذهاب الى سوفى نيوكوم ؟ »

همست بيتى لو الصغيرة ، « أوه ، طبعاً ، نعم . لا اعتقد اننى أستطيع ان أواجه والداى اذا لم التحق بسوفى . لهذا جئت اليك فى المقام الاول . فقد التقت أُمى بشخص ما فى أتلانتا ذهبت ابنته الى تلك المدرسة ، وهى مصممة على ان اذهب . »

وعندما افترقا وكان الصبى يسير الى أسفل القاعة راح يفكر ، الآن ، لماذا لم يقل لى السيد جيل أى شىء عن هذا ؟ واذا فكرت فى الامر ، فأننى أعتقد ان السيد جيل لم يخاطبني حتى منذ بدأت الدراسة . وقد استقر رأيى على ان اظل بمنأى عنه ، ولكن هل تظن انه يحاول ان يتجاهلنى ؟ سرعان ماسوف نكتشف ، ذلك التيسر العجوز !

وفى يوم الاحد حين شرح الموقف لابيه ، قوبل اول الامر بانفجار . « ذلك الحمار العجوز الاعجف ! كان ينبغي ان أضغط فى الربيع الماضى حتى اتخلص منه ! لست فى حاجة الى المثل أمام اللجنة . فانا أستطيع ان اعالج هذا الامر الصغير بأمر تنفيذى من المشرف على مدارس المقاطعة . »

نظر الى الصبى متأملا . « انتظر لحظة ، على أى حال . تقول ان هناك ستة منكم يريدون الحضور الى اجتماع اللجنة ؟ وواحدة منهم

هى ابنة بارتو براكستون ؟ « ضاقت عيناه . » ربما كان هذا نفس حصان طروادة الذى أحتاج اليه . تعالوا كلكم الى اجتماع اللجنة . تعالوا مبكرا ، وسوف تكون فى انتظاركم . » وضرب على كتف الصبى « لا تنزعج . سوف يستقر الامر على مايرام . »

وحين غادر الغرفة ، داخل الصبى شعور تأمرى لزيد ، وللحظة فكر فى السيد جيل وشعر بما يشبه الاسف له . ثم هز كتفيه وتمتم ، « استدعوا دكتور ريدواين . فقد فعلها بنفسه بالتأكيد . »

وفى يوم الثلاثاء التالى ، بينما كان يسير باتجاه البلدة مع رفاقه الخمسة ، استرجع رحلته فى العام السابق وتذكر توقفه للصلاة . خطر له ، ليست هناك حاجة الى ذلك هذا العام . أنا لست حتى مصيبا . فمع وجود أبى الى جانبى ليست هناك حاجة الى ازعاج الرب بلائىنى السنة الثالثة . نستطيع معالجة الامر .

لقى نظرة على بيتى لو ، وعلى جانبيها اثنتان من صديقاتها . وكلهن يثرثرن بشكل مفعم بالحوية مع الاثارة التى يحدثها عمل شىء جديد وجريء . خطر له ان اباها لابد ان يكون مهما بشكل متميز . انها ليست أطول منى بكثير . اراهن انها لا تتعدى خمسة أقدام مطلقا . ومن المؤكد ان لديها نهدين جميلين . اننى لانسأل أين تقع سوفى نيوكم .

عندما دخلوا دار القضاء القديم الذى تتردد فيه الاصدااء ، أصبحت جراءة مهمتهم حقيقة ، وخفضوا أصواتهم الى همسات وساروا على أطراف أصابع أقدامهم . ومن الواضح أن وجودهم كان متوقعا ، وصافح الصبى رئيس الجلسة فقط هذه المرة . ارند مرة اخرى الى أمان الشكليات وهو يقدم كلا من رفاقه الطلبة . استبقى بيتى لو الصغيرة لتكون الاخيرة . وحرص على أن يكون صوته بلا تعبير وهو يقول ، « أخيرا وليس آخرا ، ومن المؤكد انها تحظى بكل اعجاب الأنسة اليزابيث لويز براكستون . »

وعلى الرغم من أن كل أعضاء اللجنة ابتسموا ، فانه كان من الواضح أن السيد جوش يبالغ فى الابتسام . وتكلف رئيس الجلسة الابتسام تقريبا وهو يدفع رأسه الاسدى الى الامام من فوق ياقة قميصه التى كانت بلا ربطه عنق ورفرف بأصابعه الغليظة التى شققها المحراث بتلويحة مرحة خجولة . احمر وجه بيتى لو الصغيرة ولكن لم يبد عليها انها كانت ترى التقدير فى غير محله .

« أيها السادة ، نشكركم على هذا الاستقبال ، ونود أن تعرفوا أننا نحن الطلبة نقدر المهمة الرائعة التي تؤديونها لنا باعتباركم أعضاء لجنة التعليم . ونحن نعلم أن كلا منكم يتخلى عن عمله الشخصي ليأتي الى البلدة مرة في كل شهر ليتأكد من أن مدرستنا الرائعة تعمل على الوجه الاكمل في كل شهر وأنا نحصل على افضل تعليم ممكن . »

وَضَمَت . كان من الراضح أنه استحوذ على اهتمامهم . « ونحن نكره أن نأخذ وقتكم بعيدا عن أى عمل له قيمته ، لكن هذه المجموعة من الطلبة تحتاج عونكم . فقد أخبر السيد جيل واحدة من مجموعتنا أن لايتنى السنة الثالثة سوف يتوقف لأنه ليس هناك عدد كاف من الطلبة مسجل لدراسته . وكلنا هنا في هذه الغرفة نود أن نواصل تعليمنا في الكلية عندما ننهي دراستنا الثانوية في العام القادم . وسوف يجعل عام آخر من دراسة اللاتيني الأمر أسهل بالنسبة لنا جميعا . »

وواصل قائلا ، بعد أن قرر بسرعة الا يشير الى المدرسة من قريب أو بعيد ، « فلا بد لي من خلفية لاتينية لدراسة الطب ، واحدى طالباتنا لن تتمكن حتى من الالتحاق بالكلية التي تريدها بدون حد أدنى من دراسة اللاتيني لمدة ثلاث سنوات . يابيتى لو الصغيرة ، هل لك أن تخبرى هؤلاء السادة عن أى مدرسة تريدن الالتحاق بها ؟ » سألها ببراعة ، وهو يتراجع ويدنر رأسه .

احتقن وجه الفتاة بأعرق حمرة خجل رآها في حياته . رفعت رأسها بشجاعة ، وألقت نظرة متوسلة على رئيس الجلسة ، وبصوتها الصغير المطلق تطوعت بأن تقول : « ان أمي تريدني ان اذهب الى مدرسة في نيو أورليانز يطلق عليها سوفى نيوكوم ، وبورتر على حق فهم يتطلبون ثلاث سنوات من دراسة اللاتيني شرطا للالتحاق . » أغمضت عينيها ، وجذبت نفسا عميقا ، وارتجفت قليلا . تحركت آنى روث ووينيت لصقها لحمايتها . ونهض رئيس الجلسة .

« أنا لا اعرف شيئا عن بقيتكم يارجال ، لكنني تعبت تماما من السماع عن هذه الفوضى الجدولية كل خريف . وكنت أظن أننا سوينا هذا في العام الماضي . واعتقد أننا يجب أن نخبر جيل العجوز أن يدرس تلك المادة طالما كان هناك ولد واحد أو بنت واحدة هناك

يريد أن يدرسها . هل يمكننى أن احصل على موافقة بشأن تنفيذ ذلك الاقتراح ؟ »

وفى وقت وجيز كان الطلبة يتجهون أسفل درج دار القضاء ومعهم وثيقة مكتوبة بالأذن فى حوزتهم . التفتت آنى روث بفضب عارم الى الصبى ، « أظن انك قلت لها أنها لم يكن عليها أن تنطق بكلمة : »

« صحيح ، ولكن بدا لى أن ذلك كان الشيء الذى ينبغى فعله فى ذلك الوقت . ألم يفعل فعله ؟ لقد كانت بيتى لو الصغيرة رائعة حقاً . وقد أدت عملها على وجه طيب ، وكانت أفضل منى بكثير . كان على أن أتوسل لمدة نصف ساعة أخرى . يا بيتى لو الصغيرة ، اعتقد أننا مدينون لك بالشكر . وآسف اذا كنت قد أخرجتك . »

أجابت الفتاة ، وهى تميل الى الامام بين آنى روث ووينيث اللتين كانتا تحفان بهما لتخاطبه ، « هذا على ما يرام . لم يكن الامر سيئاً الى هذا الحد ، وفى النهاية فقد كنت تفعل هذا لأننى طلبت ذلك منك . أشكرك . »

رفع رجل سرواله اليسرى الى أعلى . شعر ان المحكمة قد وافقت على كلامه . « لا داعى لأن تشكرينى ، فلا شكر على واجب . هل تريدن اعطاء هذه الورقة للسيد جيل . »

صرخت بيتى لو الصغيرة ، وهى تتشبث بذراع واقية على كل جانب منها ، « يا للسماوات ، لا ! لو كان على أن افعل هذا لمت تماماً ! انا لا اريده حتى أن يعرف أننى مثلت أمام اللجنة . ألا تعطيه أنت الورقة ؟ أرجوك ؟ »

وجد السيد جيل يستند الى باب مكتبه وقت تغيير الفصول . « كيف حالك ، ياسيد جيل . لا اعتقد اننى خاطبتك هذا العام حتى الآن ، فقد كنت مشغولاً للغاية . واعرف انك كنت كذلك ، أيضاً . » ألقى عليه السيد جيل نظرة قصيرة خاطفة ولم يتكلم . وببطء وثقة ظهر طقم الاسنان السفلى .

قال الصبى لنفسه ، اعتقد انه اكل بيضا مقلبا هذا الصباح . واصل حديثه بصوت عال ، « هذا خطاب من لجنة التعليم طلب منى أن أسلمه اليك ، ياسيد جيل . »



كانت الاستجابة سريعة ومرضية . اختطف الرجل ، بزمجرة ،  
الورقة المعروضة عليه وقراها بسرعة .

وصاح ، وهو لا يحس بالطلبة الذين كانوا يمرقون أمامه ، « من  
فوق رأسي ومن خلف ظهري مرة ثانية ، هه ؟ سوف ياتي  
يوم تخطيء فيه ، وعندما تفعل ذلك ساكون في انتظارك . لا تنسى  
هذا . »

« لماذا ، ياسيد جيل ، لم يفكر احد منا في الذهاب من خلف  
ظهرك . فالخبر الذي وصلني هو أن المدرسة لا تريد ذلك الفصل  
الصغير . وقد ظننا أن هذا سوف يسهل عليك الامر . ألا ترى ؟ »  
وبدا يتراجع الى الخلف . « وبالإضافة الى ذلك ، كنت أظن أنك  
تعرف أن بيتي لو الصغيرة كانت تريد الالتحاق بسوفي نيوكوم . »  
واتخذ خطوة أمام طالبين من طلبة الصف النهائي يسرعان الى فصلهما  
جرفاه معهما منتصرا الى أسفل القاعة .

وتهلل ، صباح الخير ، يا أبانا الذي في السماء . لقد ضربنا  
الاعداء حلقة طيبة . أشكرك من أعماق قلبي ، واستمر ممسكا بي في  
يدك ، يارب .

وبعد ذلك بأسبوعين ، تسلمت بيتي لو الصغيرة قائمة من سوفي  
نيوكوم واكتشفت أن اللاتيني لم يكن من متطلبات التخرج في النهاية .  
وفي صباح اليوم التالي ، بعد خمس دقائق من الارتجاف ، أرسلت  
الى البيت لتقضى بقية اليوم وسمح لها بأن تحذف فصل اللاتيني  
للسنة الثالثة في محاولة لتخفيف بعض عبء عملها . وقضى الصبي  
وفيرجينيا بقية العام يتقاسمان اهتمام مدرسة ساخطة . وحين دراح  
يجهد نفسه خلال أمسيات طويلة ، يترجم بطهر خطبا مملة لشيثرون  
مغرور ومضجر ، كان لدى الصبي وقت يحسد فيه بيتي لو الصغيرة  
ويتأمل تورط المرء مع القدر . كان لديه من البصيرة ما يكفي الا يسميه  
ارادة الله ومن الرجولة ما يكفي الا يطلب عون الله .

حتى تلك اللحظة ، كانت أمه قادرة على مساعدته عندما كانت تصادفه فقرة لاتينية تصعب ترجمتها ، لكنها الآن أخبرته أنه قد تجاوز حدود امكانياتها . كانت قد درست اللاتينية لمدة سنتين فقط عندما كانت في المدرسة ولم تكن تشعر أنها مؤهلة للتعامل مع شيشرون . كانت مخلوقة غير عادية . فبعد أن كانت تعمل بجهد طيلة الصباح تطبخ وتنظف لاسرتها وتقضى فترات بعد الظهر في الكنيسة وفي أنشطة مدنية ، كانت دائما متاحة لمساعدته بابتهاج على أداء واجباته المنزلية في الامسيات . كانت تستطيع مساعدته في كل شيء تقريبا . كانت كفاءا في اللغة الانجليزية ، واللاتينية ، والجبر ، والهندسة ، والهجاء . كانت تعرف اقصر الطرق التي لم يكن المدرسون يعرفونها أو يهتمون بذكرها . كان أكثر الدروس قيمة تقوم بتعليمها ، على أية حال ، هو درس الصبر .

كان الصبي يميل الى التعجل في أداء واجباته المحددة له ، وكانت أية مشكلة رياضية أو جبرية لا يستطيع أن يحلها في أول محاولة تدفعه الى احتياج احباطي . وعندما كان يحدث هذا كانت الام تترك الاخوات الصغيرات في هدوء مع واجباتهم البيانية أو الهجائية وتأتي لتنقله . وكان تناول مشكلة صعبة وإيجاد الصيغة الصحيحة لحلها تحديا ممتعا بالنسبة لها ، وقد تمكنت خلال الليالي الطويلة من الوصاية أن تنقل هذا الموقف الى ابنها . أصبح الامر مباراة أكثر منه عملا ، وطوال حياته كان يستطيع أن يسمع ضحكته المبتهجة وصيحتها المستثارة ، « تلك هي ! » وهي توازن بانتصار معسادة مستحيلة .

في الشتاء ، كان الاطفال يجتمعون في عرفة الطعام ، وهي واحدة من غرفتين بهما تدفئة في المنزل ، ليؤدوا واجباتهم المدرسية . لم يكن هناك اختيار . كان هذا مايفعله المرء ، وكان يعتبر أحد أعمال الحياة الروتينية الضرورية - كان لكل طفل جانب من طاولة الطعام الدائرية كمساحة للعمل ، وكانوا يدرسون معا في حين كانت الام

تزق أو تحيك حتى يحتاج أحد الى مساعدة .  
لم تكن تراجع الواجبات المحددة الفردية ، ولا تستفسر اذا كان كل العمل قد أنجز . كان الافتراض الذى لا يفصح عنه أن كل واحد كان يعمل حتى لا يعود هناك عمل وان أحدا من الاطفال لم يكن يفكر مطلقا فى أن يحذف أى واجب مدرسى . غرست فيهم احساسا بالواجب والضمير بحيث لم يذهب واحد منهم الى المدرسة مطلقا بدون واجب مدرسى لم يعد ، أو جاء بتقرير عن كتاب متأخر . كان الروتين راسخا باحكام فى تكوين الصبى الى درجة أنه لسنوات كان يعتبر العائلات ينقصها شيء اذا كان لديهم طسالة طعام مربعة .

وبشكل مغش ، فى الماضى ، كان بإمكانه أن يتذكر أباه فى البيت فى المساء . كان هذا منذ وقت طويل جدا ، على أية حال ، الى درجة أنه لم يكن لديه صورة واضحة عنه . وعلى مر السنين تعود على غياب أبيه . والحقيقة أنه كانت هناك فترات طويلة من الزمن كان الاطفال يرونه فيها فى عطلات نهاية الاسبوع فقط . كانوا يآوون الى الفراش قبل أن يعود الى البيت ويلهبون الى المدرسة قبل أن يغادر السرير . وكان الصبى يعلم من مقابلاته معه من آن لآخر أن أنفاس أبيه كانت تفوح برائحة الويسكى فى الليل ، وعرف من استراق السمع فى الليل ومن التلميحات فى المدرسة أن الملاكات والنساء كن جزءا من أنشطته الليلية .

غير أن شيئا من هذا لم يكن موضع نقاش فى البيت ، وكانت الام تشجع الاحترام المطلق للأب وتضرب به مثلا . لم تكن سلطته موضع مناقشة مطلقا ، وكانت القرارات الهامة تؤجل وتترك لتدبيره وحكمته . كانت كلمة « مدمن كحول » لفظا لم يسمع به مطلقا فى المقاطعة ، ولم تكن تسمية « سكير » تلائم سيدا ساعرا من سادة الحرب . كان يقوم بجولاته فى ثياب بيضاء ناصعة كل صباح ليؤدى وظيفته بكفاءة بارعة حتى غروب الشمس .

ولسنوات طويلة كان الطفل يتطلع الى أمه من أجل التوجيه والسند . كانت هناك رفقة المهمات المشتركة وصحبة أوقات خاصة عندما يكونان وحدهما . كان اظهر حبه لها هو مجمل احساسه بالامن . وكان يحب الصباح الباكر من بدايات حياته فى المزرعة . كان يسارع الى اشعال النار فى المدفأة ، وحلب الإبقار ، وسحب

الخشيب ، واحداث ضجة فى الدخول الى المطبخ الكهفى والخروج منه فى حين كانت هى تتحرك بسلاسة وهدوء خلال الاعداد للافطار ، كان حبهما لاحدهما الآخر قيمة مطلقة من قيم الحياة ، لا تحتاج الى تأكيد . كان يتقبلها على علاتها تماما مثلما كان يتقبل الشمس فى السماء . وكان يعلم غريزيا المتطلبات الاساسية لاستحسانها وكان على استعداد ان يموت خجلا قبل ان ينتهكها .

كان وعيه بابيه فى الخلفية على الدوام . وقد كان دائما نصف خائف منه . فمن جده وعمته كان قد سمع قصصا كثيرة جدا عن نيل ابيه حين كان طفلا ، وصبيا ، وشابا ناضجا الى حد ان أصبحت صورته بطولية وملكية . وقد اشرق فى عقله بالتدريج انه كان من المتوقع منه ان ينضج بحيث يصبح نسخة طبق الاصل من هذا المخلوق الذى كان اعظم المخلوقات . كانت ضخامة الامل المنشود تملأه رهبة ، لكنه نادرا ما كان يبدو صعب المنال . وقد قرر فى وقت مبكر ان التحول كان معجزة دينية ، يأتيها يهوه شهم جزاء محبة من اجل سنين من الخدمة المخلصة . وعندما كان يرتكب الخطيئة ، كان يضرع فورا وتلقائيا من اجل العفو القديس ويعزى نفسه باسترجاع مسيح شاؤول بالزيت بصفته ملكا على اليهود ، ذلك المسيح الذى لم يكن متوقعا او مستحقا .

وبحلول نهاية الصف السابع ، أصبح يدرك وهو يشعر بالذنب انه كان يخجل من رؤيته مع امه على رءوس الاشهاد . فحين كانت توجد كان يشعر بنفسه معرضا لعيون اقرانه الفضولية ويتخيل ان خلوته كانت تنتهك . لم يذكر هذا الاحساس بالخجل لاحد وكان يمضى بعيدا فى انكار وجوده حتى لنفسه . وفى المقابل ، كان يحب ان يرى مع ابيه ، وهو يمشى على استحياء وباحترام فى ظل العظمة الذكورية . ولم يغير شىء من هذا اى شىء فى البيت .

والآن ، وهو فى الصف العاشر ، أصبح وأعيا بمدى مشاعره تجاه امه أصبحت قبيلات قبل النوم واجبا يسود فى اعماقه ان يتخلص منه ، واصبح حائقا على التعليمات والتوجيهات التى كانت تصدر عنها . كان لديه من الذكاء ومن الشعور القوى بحب البقاء مايكفى لان يخفيه ، ولكنه بينه وبين نفسه بدأ يفكر ، وددت لو انها تركتني وشأني .

تاق الى ابيه . فقد كان دائما يطمع فى استحسانه ، لكنه الان



كان يتوق الى الاستحواذ على انتباهه . كان يسمع له من آن لآخر ان يذهب معه الى البلدة في طفولته في عصر ايام الاحد . وكان يذكر تلك الرحلات بصفاتها تجارب باهرة تتضمن الجلوس باحتشام على مقعد عال بدون مساند في الصيدلية ، يأكل الآيس كريم ويشاهد اباه المرح الاجتماعي . وكانت « سيدة اللحظة اللطيفة » تحاول عادة ان تعانقه وأن تقرأ له قصة ، وهو فن كان هو فيه ، دون أن تعلم ، اكفا منها .

بل انه كان يستمتع أكثر بالرحلات النادرة الى مكتب أبيه في دار القضاء القديم المتعاهد الرأس الذي تتردد فيه الاصدقاء . كان كومب سكرتير الاب ، وكان يغادر باطراد ليأتى بزجاجة كوكاكولا او ليباشر بعض أعمال البريد حينما كان الاب يصطحب الصبي معه . وبينهما كان الاب يتحدث في الهاتف ، وهو حدث غير اعتيادي في حد ذاته ، او يتناقش في السياسة مع ملازم مافي مكتبه ، كان الصبي حرا في ان يستكشف . كان بإمكانه ان يختلس النظر ، دون وجل ، الى خزائن أرشيف كومب ، وان يتصفح المجلات التي كان يخزنها في أكشام انيقة في الركن ، او ان يقترب حتى من قدس الاقداس ، المكتب الذي كان اعلاه يدور على مفصلات . ولو استطاع ان يدخل في هذا المكتب ، لكان بإمكانه ان يسحب كل ذلك العدد الوفير من أدراجه بحثا عن كنوز مخبئة . كان مقتنعا انه كان هناك سر ثمين في ذلك المكتب ، لان كومب كان دائما يفلقه ويضع المفتاح في جيبه ، اذا تصادف انه تلقى تحذيرا مبكرا بمجيئه .

في هذه المناسبات ، على أية حال ، لم يحظ حقا برفقة والده . كان في الحقيقة معنيا بالغنائم التي كان يمكنه ان يحصل عليها لكونه ابن السيد بورتر الصغير ، وكان يميل بالفعل الى تجنب انتباهه الشخصية البارزة المثيرة للرغبة التي انجبت ، ذلك الانتباه المباشر المقلق . والآن ، في حين كان يجاهد الروابط التي تشده الى أمه ، تملكته رغبة وأمية ان يكون ضمن عالم أبيه . فلابد انه كانت هناك نواح في الحياة أكثر إثارة من حلب الابقار والذهاب الى مدرسة الاحد .

كان يعلم انه لم يكن جديرا بذلك ، لكنه كان يتطلع الى كسب انتباه أبيه ، الذي كان يكن له احتراما واعجابا وخوفا أكثر من أي شخص آخر في العالم . وقد كسب انتباه الرجل عن طريق كتابة

مذكرات . بدأ بفقرة باللاتينية لم يكن قادرا على ترجمتها ، نسسخها على صفحة من ورق المذكرات مع طلب أن يقرأها له والده . وترك هذه الرسالة موسدة تحت طبق الطعام الذي كانت أمه تضعه باحساس بالواجب أعلى الموقد كل ليلة . وفي الصباح التالي كان بانتظاره ترجمة دقيقة مع جملة مضافة حول أوجه الفموض في حالة المفعول به غير المباشر . وبدأ يترك مذكرات لآبيه مرتين أو ثلاثا في الأسبوع . وتجرأ ، وقد شجعتة الردود ، على التخلي عن مشكلات ملفقة ليسأل أسئلة بسيطة ومباشرة . ومالم يكن أبوه قد استهلك كمية من الكحول أكثر من المعتاد ، كان يتلقى أجابة مكتوبة في صباح اليوم التالي ، كان يقرأها مستشارا قبل أن يحلب وقبل أن تهبط أمه الى الطابق السفلى .

و ذات مرة كتب ، « أبى العزيز ، هل تستطيع ان آتى معك لصيد الطيور يوم السبت القادم ؟ » وبجراة وقعه ، « مع حبى ، سامبو . » وعند قراءة الإجابة في صباح اليوم التالي ، كان يستطيع ان يسمع هيبة الجمل المخمورة ويدرك ان آباه كان قد عاد للبيت قبل ان يصل الى حالة سكره الجامحة الفخيمة .

« ولدى العزيز ، يمكنك ان تأتى للصيد معى يوم السبت . وسوف يسعدنى ان اشاطرك صحبتك . دع أمك توقظنى مبكرا . » وشكر لا يصدق كان التوقيع ، « مع حبى ، أبوك . » ورغم التأديب الذى ناله من درس القواعد ، فانه تهلل للتقبل الذى كانت المذكرة تنطوى عليه احتفظ بها لفترة طويلة . كانت تشير ذكريات عن الصيد فى يوم السبت التالى ، عندما انطلق الاثنان وحدهما عبر الحقول التى كان يغطيها الصقيع خلف كلبين لصيد الطيور اللذين سرعان ما كبحا ابتهاجهما الشديد بالرحلة وشرعا يتجولان بكفاءة بحثا عن الحجل .

لم يكن هناك أى تبادل حديث له مغزاه فى ذلك اليوم . والحقيقة ان معظم الاتصال بينهما كان حول الصيد . فقد أبديا ملاحظة بصوت عال عن اكتشافهما لروث سمان وردى خلفته سماعات حاضنة . وبإشارة من يده فقط نصحه الاب بالاقتراب خلسة عندما حدد الكلبان المكان . تبدد التوتر المتصاعد فى تفجر طيران الحاضنات المفجلة ، وصدمة انفجارات بنادق الخرطوش ، وطققة كشف الكلبين للموقع . وتبعث صيخة الرجل ، « راقب تلك الطيور

المفردة ، ياسامبو ، « طقطقت الهادئة البلعومية ، وكانت جملة  
« التقط الاموات ، التقط الاموات من هناك اقول . جملة مفعمة  
بالانجاز الذي يبعث على الرضا .

لاحظ الصبي متعجبا كيف كانت الاصابع القوية تستخلص الطيور  
الميتة برقة من فم الكلب الذي اكتشف الطرائد ، وهي تملس بدون  
وعى الريش المهوش في اتجاهه الصحيح قبل ان تضع الاجسام  
الصغيرة المجددة برفق في الجيب الخلفي لعطف الصيد . وعندئذ  
كان عليه ان يصفق الكلبين ويدللهما ويرسلهما وقد تدلت السننتهما  
في اثر الطيور المفردة .

وكان على الرجل الطويل الساقين بحذائه ذي الرقبة الطويلة ان  
يحمل الصبي مرتين خلال تشابكات الاغصان الشائكة ، وان يرفعه  
مرة عبر جدول اعرض من ان يستطيع القفز فوقه . غير ان الصبي  
تمكن من ان يجاريه وحده ، وهو يخوض برجولة خلال وقع كوكل  
بارتفاع رأسه او وهو يستحث خطاه لتوائم خطوة ابيه . عسافت  
نفسه السردين والبسكويت الهش الذي اخرجاه من العلب لتناول  
الغداء لكنه تظاهر بأنه يستمتع بهما .

اخفا كل طلقة صوبها نحو طير في ذلك اليوم وادرك أنه كان متوترا  
لانه كان يخشى ان يبدو مضحكا للصيد القوي الذي كان يصحبه .  
ورغم ذلك فقد استمتع باليوم . وعندما عادا في الثالثة ، كان  
مرهقا الى حد انه ابتهج عندما اغتسل ابوه وذهب الى البلدة ، تاركا  
اياهم يستقر في حياته مرة اخرى .

وبعد ذلك يبضع ليال كتب صفحة ونصف بعنوان ، « ماتعلمته  
منك عن صيد السمان ، « ودسه تحت طبق عشاء ابيه . وفي اليوم  
التالي قرا . « مع طالب كهذا ، لا يمكن ان يفشل مدرس ، واود ان  
اضيف الى قائمتك ، اياك ان تطلق النار ابدا على حاضنة بيض وهي  
على الارض ، « وقد كتبت على عجل اسفل الصفحة بخط  
مخمور .

شعر بالاثار مثل كلب الصيد الليموني اللون وهو يتلقى الامر  
باستعارة الطرائد بشكل طيب ، وعلى طول الطريق الى حظيرة  
الابقار كان يشعر كما لو كان يهز ذيله . انتظر يوما ثم كتب ، « هل  
يمكنني ان ابقى بعد المبرسة يوم الجمعة وأركب معك عند العودة

للبيت فى تلك الليلة ؟ » كانت الإجابة مقتضبة . كانت تقول ، « بكل تأكيد . »

لم يستطع أن يخفى اثارته وهو يخبر أمه ذلك الصباح . وأضاف باحساس بأهميته ، « واحسب أنه يحسن بك أن تتركى لى طبقا . »

أجابته أمه وهو يتجه الى الخارج ، « يسعدنى أن افعل ذاك . » ثم نادى عليه بصوت ناعم ، « سامبو . »

أطل برأسه ثانية من عند الباب ، « سيدتى ؟ » « أنا مسرورة أن أراك أنت وأباك تقتربان من احكما الآخر ، أعلم أنك كنت تكتب له مذكرات بالليل . ربما كان هذا استجابة لصلاتك . أستمتع بوقتك الليلة ، ولكن تذكر من أنت . »

قال بشىء من عدم الارتياح ، « أجل ياسيدتى . » وعندما استدار كلاهما ، توقف لحظة وسمع أمه تقول بنبرة متعجبة ، « وهى لا تدرك أن هناك من يسمعها ، » وسيقودهم طفل صغير ؟

مشى بهدوء عبر الشرفة . ما الذى كانت تعنيه بذلك على الإطلاق؟ فكر . يارب ، من المؤكد أن لك كثيرا من الناس يخاطبونك ، اليس كذلك ؟

وعصر ذلك اليوم بعد المدرسة ، مشى بتشاكل وهو يحمل على ذراعيه حملا من الكتب ، ودفع باب الصيدلية على استحياء . كان اناء الصودا خلف منضدة البيع ، ورجل حليق كان يرتدى دائما قبعة صوفية رمادية قد جذبها فوق جبهته ، حافتها مشحمة وملتوية من جذبه لها بين أبهامه وسبابته . وكانت وجنتاه « غائرتين على الدوام لأنه لم يكن يلبس طقم أسنانه ، وكان فكاه فى حركة دائبة لأنه كان يعضغ التبغ . كان أيضا ميكانيكى سيارات جيد ، وهى ماثرة كانت أظافر أصابعه تشهد لها . وكان نوعا من المفامرة أن تطلب منه أن يعد لك مخروطا من الآيس كريم .

سأله الصبى بأدب ، « أين أبى ؟ » فكر المخلوق المضحك الشكل لحظة ، وأدار رأسه ، وبصق سيلا عنبرى اللون على الأرضية ، وجذب قبعته ، وأجاب ، « أظن أنه مايزال فى مكتبه فقد جاء العجوز روت ويتلوك الى هنا منذ قليل يبحث عنه ، واظن أنه مشى فى ذلك الاتجاه . فعندما يفادر السيد كومب كل يوم فإنه يعود عادة الى مكتبه لمدة ساعتين على الأقل . وأبوك لا يكاد يصل الى هنا مطلقا



قبل الساعة الرابعة أو الرابعة والنصف عصر كل يوم . وانا ارسل اليه دائما الى هناك كل من يأتى الى هنا باحثا عنه . واظن انك ستجده هناك . »

عبر الصبى الطريق الترابى العريض الى دار القضاء . كان عليه أن يدفع بكتفه الباب الخارجى العالى الذى كان مغلقا ضسدد برد الشتاء . كانت القاعة طويلة للغاية وضخمة للغاية الى حد أنه تخيل أنها كان لها طقس خاص بها . كانت على الاقل أكثر برودة فى الداخل عنها فى الخارج ، وكانت هناك ريح اعنف تهب . وكان السجين الذى لا يحمل اسما والمكلف بالعمل حارسا للمبنى منحنيا فوق برميل من مركب للمسح أسفل الدرج .

حياه الصبى بنفس طيبة وهو يقلد أباه تقليدا واعيا ، « كيف حالك ، أيها الرجل الكبير . » وصمت قليلا فى انتظار اجابة لكنه لم يتلق اية اجابة . مشى باحساس بأهميته الى باب المكتب وطرقه . صافحه أبوه ، وقدمه الى السيد روث ويتلوك ، وقال ، « سوف ادعك تأخذ راحتك هنا على مكتبى . تستطيع أن تؤدى واجبك المدرسى أو ما تشاء ، ولكن اذا لم يكن لديك مانع ، فانى أستمحك عذرا لبعض الوقت فلدى أنا والسيد روث بعض الاعمال المدرسية الهامة لنناقشها . هاك ، على أن أفتح المكتب لك ، أنا لا أعلم لم أغلقه كومب على الاطلاق قبل أن يغادر . »

انزل أعلا المكتب للصبى محدثا قعقة قبل أن ينضم الى السيد روث أمام نار الفحم التى كانت تحدث أصوات فرقة على مقضب المدفأة . مال كلا الرجلين فى مقعديهما المعتسدين بقاعدتيهما المصنوعتين من الخيزران . كان الاب يدخن سيجارة تلو سيجارة ، والسيد روث يعضغ التبغ ويميل الى الامام من أن لاخر ليبصق بدقة وفحيح فى النار . توازن الصبى على مقعد الاب الدوار وبأصابع قدميه تكادان تلامسان الارضية ومرفقيه مستندان الى المكتب ، امال المكتب الى الامام على لوالبه القوية . فتح كتبه ، وشرع يؤدى واجبه المدرسى .

سمع أباه يقول ، « روث ، كما كنت أقول ، اننى اعتمد عليك فى الصيف القادم عندما أرشح نفسى ثانية . ربما لا أواجه معارضة هذه المرة ، لكننى أومن دائما بدخول معركة الانتخابات وانا خائف ، ومن المؤكد اننى أريدك أن تعرف أنت وأهلك اننى أقدر وقوفكم

الى جانبى من قبل ومن المؤكد اننى اريدكم ان تصوتوا لصالحى مرة  
أخرى . »

« يا الهى ، ياسيد بورتر ، ليس لك أى عذر فى أن تقلق ، انا  
لم أسمع شيئا عن أى مرشح سوى ربما تومى لوكريمر . لم أسمع  
نفسا ينطق بشيء عن أى شخص آخر مطلقا . وقد كان أهلها دائما  
من أنصار بابكوك المتشددين الى درجة أن العجوز مارسينجيل  
نفسه ربما لكذلك أنت اذا كانت هى الوحيدة المرشحة ضدك . واذا  
وقف الى جانبك ، فأنت تعرف أن السيد بوب نيوكوم سوف يفعل  
نفس الشيء ، لانه مارسينجيل حتى التخاع ، وجونى براوننج دائما  
فى صفك ، فاذا كان آل مارسينجيل ، وآل نيوكوم ، وآل ويتلون ،  
وجونى كلهم فى صفك ، فعندئذ عليهم فقط أن ينسوا ناحية  
وينشب . »

صمت وبصق ثم أضاف ، « وبالطبع قد يكلفك هذا قليلا ، ولكن  
ليس بالقدر المعتاد . بعض التلويحات الدائمة لبعض النسوة ،  
وكأسا من الشراب هنا وهناك ، ولكن لن تدفع مالا كثيرا . أنت تعرف  
أين تنفقه . ولست بك حاجة الى حتى أخبرك عن هذا . » نهض ،  
وتخلص من مضغة التبغ بأن قذفها فى كفه ، وقذف بها على النار .  
« أظن اننى يجب على أن أمضى ، يابورتر . فقد وعدت زوجتى أن  
أتبها بأشياء من المتجر . اذا توافرت لديك فرصة لسائق حافلة  
جديد ، فمن المؤكد اننى سوف أكون شاكرا لك اذا تذكرت جونيور .  
فهو فى حاجة ماسة اليها . »

أجابه الاب : « حسنا ، ياروث ، الأمر كما قلت لك . اننا ليس  
لدينا مال نحن أنفسنا ، ولكن اذا سمحت لنا الولاية بسائق جديد ،  
فاعتبر ابنك قد استؤجر . فلن أنساك ، وانا أقدر لكم جميعا حقا  
أنكم تذكروننى عند الاقتراع . »

تصافحا ، ومر الزائر بجوار المكتب ، قال ، « الى اللقاء ، أيها  
الرفيق الصغير . ادرس هذه الكتب واكتسب ذكاء . والدك يقول  
أنك ستصبح طبيبا عندما تكبر . أسرع بالعودة إلينا واعتن بأهل  
الريف . » وشعث شعر الصبى بيد محبة بشكل خشن وقهقهه  
متلظفا .

أجابه الصبى ، « أجل ياسيدى ، ياسيد ووث ، من المؤكد اننى  
سافعل ذلك . سعدت بلقائك . » حاول ألا ينكمش حين أدرك أن

اليدين التي كانت على رأسه كانت اليدين التي احتوت مؤخرها خشونة التبغ .

جلس خلال بضع جلسات عمل أخرى ، وأنهى واجبه المدرسي ، وشرع يتصفح مجلة ليبرتي . عاد أبوه بعد أن ودع زائراً خارج الباب قال والساعة فوقهما في البرج تدق نغمة واحدة مدوية ارتحلت بدبذبة هادرة على طول المسافة خلالهما وخلال الأرضية الخشبية تحتتهما إلى أعماق الأرض ، « حسنا ، أنها الرابعة والنصف . دعنا نمضي عبر الشارع ونرى ما يدور . »

دس مسدسه في جيب معطفه ومال حاملا المفتاح الضخم الذي بطوى والذي زودته به المقاطعة ليغلق باب المكتب . كان السجين يجزر قدميه في القاعة وهو في طريقه إلى اللقاء الذي كان سيعود به إلى مجموعة المساجين المقيدين ليقتضي ليلته .

قال الأب : « مساء الخير ، أيها الرجل الكبير . »  
أجاب الرجل بخضوع وهو يبتسم ابتسامة عريضة ، « مساء الخير عليك ياسيد بورتر . هل هذا ولدك الصغير . ظننته كذلك حين مر بي منذ لحظة . انه يشبهك بالتأكيد ، ياسيد بورتر ، وسوف يكون مثلك تماما عندما يكبر أجل ياسيدي ، انه صبي رائع ، بكل تأكيد . »

ناوله الأب ربع دولار . « اشتر بعض التبغ لعطلة نهاية الاسبوع ، أيها الرجل الكبير . واعمل حسابك أن تحضر لي دلو فحم جديد . قد لا أصل إلى هنا إلا في وقت متأخر غدا ، لكنني سأفتح لك الباب حالما أصل البلدة لتشعل لي نارا . »

« أجل ياسيدي ، ياسيد بورتر ، أجل ياسيدي . سوف أكون في أنتظارك دعيني على لحظة وصولك . أشكرك ياسيدي . »  
أسر الصبي إلى أبيه وهما يهبطان الدرج ، « يا الهي ، يا أبي انه لم يحفل حتى بالحديث إلى عندما دخلت . أظن أنه وجل مع الاغراب . »

قال الأب ، « دعنا نمضي إلى الصيدلية ، فقد طلبت من صبي أن يأتي ليعلمك البلياردو . ظننت أنك ربما استمتعت بذلك . »  
أجاب الصبي ببطء ، « أجل ياسيدي ، هذا يبدو ممتعا . » وشعر أنه كان في وضع دفاعي .

كان الصبي المعلم ويدعى دنتون جونز ينتظر ، مستندا إلى خزان

الصودان بعرفقيه وقدم واحدة . ومن شففيه كانت تتدلى سسيجارة  
أنيقة في تكلف جعل عينيه يحولان . كان دنتون جونز ، أكبر من الصبي  
بعام ، ومتخلفا عنه في المدرسة بسنتين ، وبعيد الشقة عنه في موقفه .  
كان أصغر ستة أخوة « تربوا جميعا في الشارع » .

وحريصا على ألا يجد أباه قبل أن يكون دنتون جونز قد انصرف  
إلى بيته ، توصل إلى الحصول على كيس بسكويات بالمسل من الجرة  
الزجاجية التي كان لها فتحة في جانبها وحليب منفوخ .

راقب باهتمام بينما كان عامل خزان الصودا يصب الحليب من  
أبريق سعة جالون ، يضيف مغرفة من الآيس كريم ، ومقدارا ضئيلا  
من الفانيليا ، ثم يرج المزيج بقوة إلى درجة أن وجنتيه بلحيتهما  
النامية اهتزتا . وبينما كان المزيج ذو الرغوة ينصب في كوب زجاجي  
أكد الصبي لنفسه أن ظفرا واحدا من الأظافر السوداء الحواف لم  
ينزلق فيه في أية لحظة من اللحظات . حمل بسكويته وكوبه إلى  
ركن خال وتظاهر بأنه لا يرى دنتون وهو يلوح له بذرعه وينصرف .

ولم يمض وقت طويل حتى خرج أبوه وانضم إلى المجموعة الواقفة  
عند خزان الصودا ، وهو يثرثر بسهولة وسلاسة مع كل من كان  
يجيء . وفي مرة التقت عينه بعين الصبي وفهم بسرعة بعينه غير  
الحشد . شعر الصبي على الفور بالأمان ولكنه كان مسرورا أنه كان  
صغيرا إلى هذا الحد حتى لا يلاحظه أي واحد آخر في الغرفة .

وفيما بعد ، لم يكن بإمكانه أن يتذكر متى انضم هاركورت ماثيوز  
إلى المجموعة بالضبط . كان عدم الالتفات إلى دخول شخص ما هائل  
الحجم بهذا الشكل يتطلب بالضرورة تركيزا حادا على شيء آخر .  
كان هاركورت ستة أقدام وبوصتين طولا ، ويزن مايزيد عن ثلاثمائة  
رطل ، ويبدو بدينا إلى حد لا يصدق . وكانت أصابعه تبرز مثل  
حلمات على ضرع بقرة متمدد ، وحتى أنفه كان منتفخا . وبالفعل كان  
مظهره يخفي عضلات قوية وقوة هائلة .

ولما كان طفلا وحيدا ، فقد أسموه باسم جد أمه ، وكانت كل  
السيدات في البلدة ينادونه باسم « هاركورت » . وكان كل ماعداهن  
ينادونه باسم « بول » . ولما كان أصغر من أبيه بعشر سنوات كان  
على الصبي أن يناديه باسم « السيدبول » لو أنه وافته فرصة مخاطبته .  
لكن العملاق لم يهتم قط بملاحظة وجود أي أطفال في البلدة فيما



هذا صبية آل جونز . كان يستخدمهم فى مهمات متعددة . وعلى الرغم من أن أية مهمة من جانبه كانت لها صفة شائنة بشكل يشير التشويق ، فإنه كان بخيلا فيما يدفعه ، ولم يكن الاخوة جونز يزكونه بحماسة . والحقيقة أن الصبى لم يكن يستطيع أن يتذكر أى شىء به اطراء من بعيد أو قريب قاله أى شخص فى بروكستون عن بول ماثيوز .

كانت السيدات يرينه خشنا وسوقيا . وكان الرجال يحتملون وجوده لكنهم كانوا يشيرون الى أعماله التجارية المختلفة باحتقار . لم يكن أحد يثق به ، وكان هو بدوره لا يثق فى أحد . وإذا كان يشعر بأى اعجاب لرجل آخر ، فإنه كان يخفيه بنجاح تام خلف التظاهر بالتهكم الذى لا يخلو من ازدراء .

كان فى ذلك الوقت يدير مصنعا لنشر الاخشاب ، وهو مشروع كان يعتمد على عمال اليومية من بين مجموعة الزوج التى تدمن الشراب وتعيش فى فقر مدقع فى أرجاء المدينة ، والتى كانت لا يمكن الاعتماد عليها الى درجة أن أى مزارع لم يكن يفكر فى أن يثق بها فى جنى محصول القطن . فى كل صباح كان يجمع الافراد الذين كانوا غير ثملين الى درجة تسمح لهم بالعمل ، ويسوقهم الى حيث كانت آلاته تقع فى المقاطعة . كان آل جونز يتكلمون برهبة مفعمة بالاعجاب عن موقفه المستبد تجاه مستخدميه .

كان يشير اليهم علانية وبصوت عال بصفتهم « الزوجات العساء » سواء على مسمع منهم أو كتحية مباشرة ، وكانت معاملته الجثمانية لهم تعكس نفس قسوة القلب . كان يرج ، ويدفع ، ويركل وهو يؤنبهم بنفاد صبر عن أى تقاعس فى اطاعة الامر ، وكانت أية بادرة اعتراض من جانب المتلقى تنزل به ضربات صاعقة من قبضتيه الهائلتين أو حتى تهجما محظما للجمجمة بعرق خشب يبلغ سمكه بوصتين فى أربع بوصات .

وكان بول يتمتع بشهية أسطورية للطعام مثلما كان يتمتع بشهية للعنف . كان جون أديسون بوين يحب أن يتناول قدح قهوة اضافيا فى مقهى بزبايك كل صباح ، وقد قال ان بول كان يأتى دائما ليطلب اثنتى عشرة بيضة مقلية . عندئذ كان يتناول رقيقا ، ويقطع أعلاه ، ويحدث به تجويفا بنصل مطواته ، ويطلب من بز أن يضع البيضاء الساخنة فيه ، ويحشو التجويف بقطعة الخبز التى اقتطعها ، ويتجه الى المنشرة . كانت هذه الشطيرة ، التى كان يتلها بجالون من

اللبن المخضوض وجبة غدائه . كان من السهل على الصبي أن يعتقد أن هذا كان مجرد وجبة خفيفة في منتصف الصباح . كان بول أضخم مخلوق رآه خارج حظيرة المواشى . كان كرشه هائل الحجم وبارزا الى حد أنه لم يكن في العالم كله سروال يضمه . ولم يكن بالامكان أن يغطي أى قميص هذا الكرش الهائل بشكل كاف ، فكانت سرتة دائما واضحة للعيان ، فجوة كهفية بلا قرار فيما يبدو تصاب بالفواق بشكل مبتدل حينما كان بول يضحك أو يسعل .

وفي تلك الليلة لاحظ الصبي أن السرة كان تختفى تحت حلة الاتحاد المشدودة بأحكام التي كان بول يرتديها في الشتاء ، ولكن كان هناك ما يزال مثلث قميص مفتوح يحدد موقعها . استند الى خزان الصودا ، وهو يرشف سيجارة أنيقة ، ويتسم ابتسامة عريضة بلهاء كما لو كان يظن نفسه أكثر أفراد المجموعة شعبية . سمعه الصبي يخاطب أباه قائلا ، « بورتر ، لقد رأيت المدرسة الجديدة التي استأجرتها عندما كنت أمر بجوار المدرسة هذا الصباح كائت هناك تدرب فتيات فريق كرة السلة . اعنى أنك كنت على بينة مما كنت تفعله عندما استأجرتها . فهي حلوة حقا . »

أجابه والد الصبي بنبرة رسمية محددة في صوته ، « اشكرك ، يا هاركورت . انها شابة رقيقة للغاية . »

قال بول باصرار ، « آه ، هه . أقول لك اننى أود أن أخلع سروال الالعب من على مؤخرتها الصغيرة الجذابة وأدعب ذلك اللحم الطيب الذى يحتويه . »

تحرك الاب مثل قطة . قبض على مقدمة قميص هاركورت ، ورج الجسد الضخم الى الامام ، وصفعه بقسوة صفعة كان لها دوى طلقة رصاص . شهق الصبي بلا حراك فى دهشة حين ذاب الجمهور الذى كان يتحلق بطاولة البلياردو . وجار أبوه ، « ليصب الله لعنة الجحيم الابدى على روحك التعسة ! احتفظ بلسان مهذب فى رأسك الوقح ! »

وصفع بول مرة ثانية بنفس قسوة الصفعة الاولى . تعثر العملاق وأطلق خوارا جديرا بثور السيد ويتاكر . حاول أن يمسك بالاب . وفى هذه المرة سد الاب لكمة ساحقة من قبضته الى أنف بول الضخم وفمه مباشرة . انبثق الدم والعملاق يسقط على ظهره . جار وهو يخرج مطوآته من جيبه ، « سوف أقتلك ! » لكنه

لم يتوصل الى فتحها .

أختطف الاب ، بسرعة الكهرباء ، عصا بلياردو ، وطوحها مثل عصا البيسبول ، وبضربة متينة مدوية فتح جرحا فوق اذن بول اليسرى . وبيبطة ركع بول على ركبتيه ، وقبض لفترة قصيرة على طاولة البلياردو ليستند اليها ، وتدحرج ببطء الى الارضية مستسلما . على كره . خيم على الفرفة صمت . مال الاب فوق الرجل الساقط ، الذي كان صدره الهائل يعلو ويهبط بايقاع شخري . « اياك ان تلفظ بكلمة اخري ابدا عن واحدة من مدرساتي الى آخر يوم في حياتك ، هل تسمعي ؟ »

ارتعش الجفن الدامي ارتعاشة كان من الواضح ان الاب تقبلها نلى انها موافقة على شروطه . ركل المديعة عبر الصيدلية والتفت الى حامل خزان الصودا بشعر وجهه الخشن ، « استدع الطبيب ليعالجه . اخبره اننى سأتكفل بالنفقات . والان بعد اذتكم ياسادة . اعتقد اننى سأعود للبيت . هيا ، ياسامبو . »

استغرق الامر ثلاثة اميال على الطريق حتى يستعيد ابوه تنفسه الطبيعى . جلس الصبى صامتا ، يحرق من خلال حاجب الريح ، وقلبه مايزال سريع النبضات . هاجمه خوف ، وخرج ، واذلال ، بل حتى ابتهاج . راح يفكر فى كل ما راي اباه يفعله فى هذا اليوم .

قال لنفسه باستسلام حزين ، لن افلح ابدا . وراى رأس هاركورت ماثيوز الدامية مستلقية على الارضية . وأضاف قائلا ، لا اريد ان افلح .

كان يود ان يصلى ، لكن رائحة التبغ القوية الممتزجة بالويسكى التى كانت تنبعث من أبيه حالت دون استدعاء العلى القدير الى داخل السيارة . شعر ان هذا كان سيبدو كما لو كان يشى بأبيه ، لان الرب كان لابد سيلاحظ الويسكى .

قاطع الاب افكاره قائلا ، « سامبو ، هناك بعض الاشياء على الرجل ان يقاتل من اجلها اذا كان رجلا حقا ، وسمعة امرأة عهد بها الى رعايته واحد منها . »

اجابه الصبى ، « اجل ياسيدى . »  
« تلك المدرسة صغيرة بالقدر الذى يكفى لان تكون ابنتى ، ولم يكن بإمكانى ان ادع طعنا مثل ذلك يحدث فى مكان عام ويلقى به حشرة مثل ذلك الهاركورت ماثيوز المقزز يمضى دون عقاب . انت

تفهم ذلك ، اليس كذلك ؟ »

اجابه الصبى ، « بلى ياسيدى ، » وهو ينظر من خلال حاجب الريح ويتمنى لو أن السيارة لم تكن تتأرجح بهذا الشكل الشاذ بين الحفر .

« والآن ، علينا أن نوفر على حريمنا فى البيت القلق والالم الذى ليس له داع ، ألا ترى ذلك ؟ »

اجابه الصبى باحساس بالواجب ، « آوه ، بلى ، ياسيدى . »  
« حسنا ، دعنا لا نذكر هذا الحدث التافه الخاص بهاركورت ماثيوز لهن . فسوف يزعجهن فقط ، ونستطيع أن نحفظ بهذا سرا صغيرا بيننا ، ألا ترى ذلك ؟ »

« آوه ، بلى ، ياسيدى . اظننى أرى بقرة بول آرنولد أمامنا فى الحفرة ، يا أبى . ربما يحسن بنا أن نقلل السرعة بعض الشيء . »

فكر فى سريرته الذى كان ينتظره فى البيت بحنين اليه . ومهما كانت الملاءات باردة ، كان يريد أن يزحف بداخله وأن يجذب الاغطية فوق رأسه . لم يكن يريد أن يرى تلك الصيدلية مطلقا مرة أخرى ، هكذا قرر . كان عالم أبيه مخيفا بشكل واضح . لم يكن يستطيع بالتأكيد أن يعود الى أمه . تطلع الى أعلى من خلال حاجب الريح فى السماء المظلمة .

وقال ضارعا : آوه ، أين انتمى ؟

\*\*\*

توقفت كتابته للمذكرات . وعلى الرغم من أن أبيه لم يلمح الى ذلك مطلقا وأن الصبى لم يسمع الموضوع يطرق فى استراقه الليلي للسمع فقد شعر بشدة أن أباه كان يستنكره وأنه كان خائب الظن فيه كإبن . امتعض بمرازة من مقارنته ، فى عيني أبيه ، بأمثال دنتون جونز . كان جونز نقيض كل ماتربى على اعتباره مثيرا للأعجاب فمجرد الطريقة التى كان يستخدم بها اسم الرب كانت كافية لأن تجعل الصبى يرفضه بازدراء . وإذا كان أبوه يريد أن يكون مثل دنتون ، فكل ما عليه إذن هو أن يخيب آمال أبيه .

راح يغذى الجرح الذى كان بداخله حتى أصبح حزنا راسخا . وأصبح عنيدا . انسحب من الميدان ، وهو يرفض أن يتنافس من



اجل الوصول الى احترام ابيه .

فكر مرارا في الامسية التي قضاها في اليلدة . تفاضى عن التفاعل البارع في تناول الامور مع السيد روث ويتلوك . ففي نهايه الامر ، كان الرجال من كل الانواع يصرفون اعمالهم بقانون المصلحة المشتركة ، وكان على رجل السياسة أن ينجح في الانتخابات . وسرعان مانسى المواجهة المخرجة مع هاركورت ماثيوز واصبح يعتبر اباه فارسا شهما يدافع عن عذراء جميلة بانزال عقاب عادل بوغد كافر . لكنه لم يستطع ان يتعد عن عواطفه بما يكفى لان يغفر لاييه دنتون جونز .

وذات مرة علقت أمه ببراءة شديدة قائلة له ، « لا أعتقد أنني رأيت مؤخرا أية مذكرات تركتها لأبيك . »

أجابها مراوغا ، « لا ياسيدتى ، فلم أصادف أية متاعب مع شيشرون في الاسابيع القليلة الماضية . »

شعر بضغط غير معلن في جملة أمه التقريرية البسيطة ، وبدا يشعر بالذنب بشكل متزايد حول عدم كتابته الى ابيه . وبعد ذلك بليلتين احتال على كتابة رسالة متكلفة ، وفكر عدة دقائق ، ووقعها في النهاية ، « مع حبي . »

وفي صباح اليوم التالى وجد المذكرة لم تمس تحت طبق الطعام ، الذى لم يمسه أحد ، وبهزة كتف افترض أن الاب كان مخمورا في الامسية السابقة الى حد أنه أهمل الأكل . وعندما خطا الى خارج البيت في الفجر البارد ، على أية حال ، رأى أن السيارة لم تكن في الفناء وأدرك أن اباه لم يكن قد عاد بعد . وعندما عاد من حلب الإبقار كان النهار قد طلع ، وكان الفراغ الصارخ حيث كان يجب أن تكون السيارة هناك .

حمل دلاء الحليب الى داخل المطبخ وانتزع يديه الباردتين المحمرتين من مقابض الدلاء . كانت أمه تقف عند خزانة المطبخ ، وقد رفعت أكمامها الى مرفقيها ، وهى تعجن بيديها البيضاء القوية عجينة بسكويت فى صينية الخبز الباردة كانت قد أخرجت من كتلة خشب حور واحدة وقشرتها أجيال من الاستخدام حتى أصبحت فى خفة وزن الريشة .

فى الركن الى جوار الصندوق الخشبي كان يقف « ذلك التشابى بورتر اللعين » وقد مد يديه يلتمس الدفء من حول أنبوب الموقد . لم يكن الصبى يحبه ، لم يكن أحد ، فى الحقيقة ، يحبه . كان

ذلك التشاربى بورتر اللعين واحدا ممن كتب عليهم أن يعبروا الحياة ويحتملهم الآخرون بصعوبة . وقد كان الصبى حاضرا دون أن يلاحظ أحد وجوده فى محادثة بين أبيه وجده .

كان الأب قد قال معلنا ، « أبى ، اظننا قد ابتلينا بهذا التشارلى بورتر اللعين مرة أخرى . فقد طردته هذه الزوجة الجديدة لتوه ، وطرده العجوز بوب ماسك ، وليس لديه مكان يذهب إليه . »  
واجابه الجد الأشيب ، « حسنا ، يابنى ، تلك هى القصة القديمة . ذلك اللعين تشارلى بورتر لا يمكنه البقاء فى أى مكان لفترة طويلة وفى آخر مرة أحضرته هنا تسنل قبل أن اتمكن من قتله . »

واصل أبوه الحديث قائلا ، « أعرف ذلك ، يا أبى . لهذا كنت أريد أن أتأكد أنك لا تمنع أن اعطيه عملا . أنا لا أحبه مثلك تماما - والحقيقة ، اننى اضطررت الى جلده مرتين فى السنوات الخمس الماضية - لكن أباه كان واحدا من عبيدنا . وقد سمعتك أنت وامى تتكلمان عن مدى ولاءه العجوز أندرو فى الاوقات العصيبة ، واذكره أيضا . وأكره أن أدير ظهرى لولده ، حتى لو كان ذلك اللعين تشارلى بورتر . »

تنهد الجد ، « حسنا ، ليس هناك شيء آخر يمكنك أن تفعله ، يابنى ، وكلانا يعرف ذلك . وسوف يطارده بعض الانفار الآخرون فى أقل من خمسة أسابيع . وسوف أحاول أن أتركه وشأنه . وأنا لا أدري بالضبط ماهو الامر ، لكن هناك شيئا حول هذا الاسود يجعل من العسير عليك أن ترفع يديك عنه . »

وكان الصبى قد راقب بفضول وحكمة ذلك اللعين تشارلى بورتر منذ وصوله قبل ستة أسابيع تقريبا . كان كل ماحوله يثير الضيق . كان يسير على كعبيه حتى أنه كان يبدو كما لو كان يخطال ، ويطوح بذراعيه ومرفقيه مشيان كما لو كان يستمع إلى موسيقى . وكان يسير وقد مال برأسه فى فضول الى جانب ، لكن كتفيه وعنقه كانت معتدلة ومنتصبة بشكل متصلب . وكانت له نصف ابتسامة صغيرة دائمة لا يمكن أن تصفها الا بأنها متنازلة ، وكان يخاطب الزوج الآخرين بنبرات تحمل معنى الرعاية تنسب اليهم جهلا مطبقا واليه حكمة متعالية . وحتى حين كان بعض الانفار الآخرون يهددونه أو يرجعونهم بالحجارة ، وقد استفزوا الى مافوق طاقتهم

على الاحتمال ، كان ذلك اللعين تشارلى بورتير يقىء عليهم ابتسامة صغيرة متسامحة لم تكن تترك ذرة شك فى انه كان يشعر انه فوق هذا الساوك الصبيانى الغوغائى .

كانت تنبعث منه هالة قوية لاتخطئها العين من تقديره لذاته الى درجة انه لم يكن هناك مجال أو حاجة الى اهتمام أى شخص آخر . وكان يؤدى أعماله فى المزرعة بسيماء المتفضل كما لو كان ينحنى ليهدىء من ثائرة طفل غير عاقل . ولو انه كان قد تعلم القراءة والكتابة على الاطلاق ، لكان سلطة فى مدينة مامن مدن الشمال . وفى بيئته الحالية ، كان مجرد بقائه على قيد الحياة تقديرا لعمل قدميه الرشيقتين ولاحساسه الفريزى بمدى التحمل الانسانى . وقد سمع الصبى دارنل وسنترال وفريمان يجاهرون فى مناسبات منفصلة بقولهم ، « ذات يوم سوف يقتل شخص ما ذلك اللعين تشارلى بورتير » .

حين وضع الصبى دلاء حليبه فى ذلك الصباح ، أدرك انه كان هناك خطأ ما . فعندما نطق بتحيته القلبية المعتادة لأمه ، اجابته فقط برأس محنى وبتمتمة من مقطع واحد . وعندما ألقى نظرة أكثر انتباها ، رأى دمة تنزلق من أنفها فى عجينة البسكويت التى كانت تعجنها . كانت أمه تبكى .

وبجزع شرع فى الاتجاه نحوها ثم تذكر ذلك اللعين تشارلى بورتير الذى استكان خلف موقد المطبخ وقد أدار عينيه ، رافضا أن تلتقى عيناه بعيني الصبى . كان هناك قانون غير مكتوب لكنه صارم يرسم بالآى يظهر أحد عواطفه أمام الخدم . فلم يكن مناسبا لهم أن يعرفوا أية تفصيلات حميمة عن ازيمات العائلة فى المقام الاول ، وثانيا لانهم قد ينهمكون فى القيل والقال فيما بينهم . وعرف فى التو انه كان من المستحسن بالنسبة لذلك اللعين تشارلى بورتير الا يعرف حتى أن أمه كانت تبكى . فلم يكن فى هذا انتهاك لهيبة أمه فحسب ، بل كانت العائلة كلها لتبدو فى وضع غير سار .

عرف انه لو اقترب من أمه فانه كان من الممكن أن تنفجر باكية بصوت عال ، وكان واثقا انه فى حالة ما اذا فعلت هذا فانه أيضا كان سوف يسترخى باكيا . وبينما كان واقفا فى هذا المأزق ، تعيسا لا يستقر على قرار ، اندفع الجد الاشيب داخلا المطبخ . قال بصوت مزارع صباحى ، « هالوا ، فيرا . اعنى أن الجو بارد

بالخارج . ان مقياس الحرارة الخاص بى يشير الى اثنتين وثلاثين درجة . هل لديك بعض القهوة جاهزة ؟ »

توقف صوته عندما بلغ منتصف المطبخ وأدرك ان زوجة ابنه لم تجبه . حلق فيها طويلا بما يكفى لان يرى دمعة متساقطة تختفى فى الدقيق الجاف فى صينية البسكويت . التفت بسرعة الى الركن الذى يقع خلف الموقد . وجار ، « ما الذى تفعله رابضا فوق ذلك الموقد الدافئ فى حين ان هناك عملا يجب ان ينجز ؟ »

أدار ذلك اللعين تشارلى بورتر عينيه باتجاه السقف ، وقد مالت رأسه بشكل طروب جانبا ، وهو منتصب القامة مثل ديك رومى ، وعلى وجهه اىحاء طفيف بابتسامة صغيرة متسامحة . قال الجد متحديا ، « اللعنة ، أجبنى حين أخاطبك ، ياطرقا اسود من أطراف ابليس ! » .

وبخفة لا تتمشى مع عمره وثب الى الامام ، واختطف عصا من خشب الموقد من الصندوق ، وسدد الى الرجل ضربة متينة فى أعلى رأسه . وفى ومضة البرق كان ذلك اللعين تشارلى بورتر يحبو على أطرافه الاربعية بسرعة حول الموقد ليتجنب الجد الغاضب . فتح له الصبى باب المطبخ وتبعه الى الشرفة الخلفية . وعندما نهض الزنجى ليطلق ساقيه للريح ، سد الصبى عليه الطريق وقبض على ذراعه .

« قف مكانك ، ياتشارلى ، ودعنى ارى مدى اصابتك . » كان شعره مقصوصا قصا قصيرا حتى انه كان السهل فحصى الجرح . قال مؤكدا ، « لا بأس ، ياتشارلى . انك تنزف ، لكنه ليس جرحا قاتلا . ولن تحتاج الى أى غرز . اضغط عليه بهذه الخرقة ، وكف عن هذا البكاء . »

ولول الرجل الدامى ، « كيف يتأتى ان يشب السيد جيم على بذلك الشكل ، ياسامبو ؟ انه نكد بلا سبب . الآن على ان أجد مسكنا آخر لاقامتى . لقد أصبحت أخشى البقاء هنا بعد ذلك . انه يتصرف كما لو كنت مسئولا عن بكاء أمك . فأنا لا حيلة لى بأن السيد بورتر قضى الليلة بطولها فى البسلة ، ولم يعد حتى الآن . وليست هناك حاجة الى ضرب زنجى لمجرد ان الرئيس قضى الليلة خارج البيت . »

صاح الصبى بصوت جاد ، « أغلق فمك ! أنت لا تقدرى عم تتكلم ! »



استدار وعاد الى المطبخ ، وقد خلا الآن الام ، التي كانت تفرد قطع البسكويت باصرار وتضعها في الوعاء الذي مسمم بالدهن . طوق خصرها بكلتا ذراعيه ، ومال برأسه على ذراعها العليا .

همس وهو يحتضنها ، « آسف يا أمي . »  
قالت بصوت مرتعش وعينين مفرورقتين ، « أوه ، يا بني . ماذا يمكن أن أفعل بدونك ؟ أنت تعني الكثير بالنسبة لي . »  
قبلت قمة رأسه وقد احتفظت بيديها اللتين غطاهما الدقيق بعيدا عن رأسه .

قال الصبي بضراوة وهو يتراجع الى الخلف من العناق ، « انني أشعر بالاسى من أجلك ، يا أمي . لا ينبغي أن يعساملك بهذا الشكل . »

دفعت الام بكتفيها الى الخلف ورفعت رأسها ، « لا تثرني لي ، يا بني . فانا أكثر امرأة محظوظة في العالم . ولن يعطى كثيرا ، سوف يطلب منه الكثير ، ولقد وهبني الله الكثير . »

أصبح صوتها اقوى وأضافت قائلة ، « لا تجعل اى شيء يدفعك الى انتقاد أبيك . هناك آية في جريمتي تقول ، « اذا جرئت مس الجنود والتمسوك ، فكيف تبارى الجياد ؟ فاذا كانوا يتعبونك على الارض حيث تعيش آمنا ، فما الذي يصير اليه حالك حين يفيض نهر الاردن ؟ » ونحن لسنا بعائلة من الجنود بادىء ذي بدء ، وعليك أن تركض مع الفرسان سواء كنت ترغب في هذا دائما ام لا ، ولكن ماتزال هذه هي الارض التي نعيش عليها آمنين .

« أنا آسفة اذا كنت قد سمحت لك أن تضسبطنى وانا أبكى . املا الصندوق الخشبي ، وتحقق من تشارلى . فقد بدأ الوقت يتأخر . »

وحين غادر المطبخ ، تقلقه الولاعات المنقسمة وبصدره غصّة ، فكر الصبي باكتئاب أنه لم يكن يبالي في هذه اللحظة بالذات أن يصبح الجيل الثالث حتى يجلد ذلك اللعين تشارلى بورتر .

وفي ذلك اليوم في المدرسة ، جاء دنتون جونز خلفه في فترة الاستراحة ولكزه بمرقه ، « هل تعلم ما فعله أبوك ليلة البارحة ؟ هل أخبرك بشيء عنه ؟ »

تحرك الصبى بعيدا عنه خلف قناع من الانشغال واللامبالاه . « لقد آويت الى سريري قبل أن يأتى ليلة البارحة ، ولم تتح لى فرصة الحديث معه هذا الصباح . »

تطوع دنتون بأن يقول بصوته الاجش ، « حسنا ، دعنى أخبرك عما حدث . كان أبوك واقفا أمام منصدة البيع وقد ارتدى معطفه استعدادا للذهاب لانه كان قد وعد الانسة أيفلين أن يوصلها الى بيتها بسيارته لان الوقت كان متأخرا وكان المطر قد بدأ يتساقط قليلا . على أية حال ، كانت هى تلتقط صررها من خلف آلة الكرة الزنبركية حين دخل تولىسون اينمان الى الصيدلية بصحبة زنجى آخر وامرأة زنجية .

اتجه الى أبيك وقال ، « ياسيد بورتر ، هذا هو السيد فلان ، لم اسمع الاسم جيدا - من اتلانتا . وقد أحضر احدى المشرفات على مدرساتك الى هنا لتلتقى بك . » ومد زنجى اتلانتا هذا يده وقال ، « ياسيد أوزبورن ، انا سعيد بلقائك . أقدم لك الانسة مارجريت رينبو من ادارة تعليم الولاية .

« وأبوك سريع مثل قطة . اختطف قفازيه وظل يضعف ذلك الزنجى الملعون قبل ان يدرك ما الذى كان يضربه . ضربه ثلاث مرات تقريبا وركله خارج الباب الامامى ثم استدار وقال ، « أين ابن العاهرة الاسود الذى يقدم لى مثل هذه الصحبة المجيدة الليلة ؟ »

صمت دنتون لالتقاط أنفاسه ثم واصل حديثه قائلا باحساس بأهميته ، فى حين كان الصبى فى خزيه يصفى بقلب يدق ووجنتين ملتهبتين .

صمت قائلا : « اذا كنت تتكلم عن تولىسون اينمان ، ياسيد بورتر ، فهو يعدو فى الطريق . أخرج أبوك مسدسه من جيبه وصاح ، قف ، والا أطلقت النار ، لكن هذا جعل تولىسون يجرى أسرع . واصطدم بتلك البقعة الخشنة فى الرصيف أمام محل بايك وتعثر . كان يحمل لفة اطباق كان قد اشتراها لزوجته ، وعندما تعثر انزلقت وقبض عليها بين ساقيه وأمسك بها ولتنزل على اللعنة وأنا واقف هنا اذا لم يكن أبوك قد أطلق النار عليها فمزقها اربا تلك الاطباق الملعونة من بين ساقى تولىسون رغم البعد ورغم الظلمة الكثيفة .

« تفجرت تلك الأطباق اللعينة في الحال ، ولم يخطيء تولىسون في خطوة قط . اعنى انه انعطف عنسد ذلك الركن وهو لا يلقي الى شيء . وسرت أنا وابوك الى أعلى الشارع وركلنا الزجاج في الحفرة ، وأعطاني بعض النقود وقال : « أسرع الى متجر بتمان واشتر له طبقا آخر من الأطباق . وخذها الى بيته وقل له اننى لم اكن اقصد ان اكسر أطباقه . وأعطاني دولارا لعينا كاملا لأعمل هذا . »

امتلا الصبى بالحنق لان هذا الصبى الآخر كان يعرف عن أبيه أكثر مما كان يعرف هو ، وأحس بالخزي لان أباه قد فعل مرة أخرى شيئا سوف يجعل البلدة كلها تلفظ من خلف ظهر العائلة . كان دنتون ينظر في حلم وقتى الى أفق مابعد . وبتهيدة طويلة التفت الى الصبى وقال ، « أتمنى لو كان لى أب كهذا . »

حافظ الصبى على ثبات صوته ، وقد أفزعته تضمينات هذا الكشف ، وأجاب بذلك المزيج من البراءة والغرور قائلا ، « ماهذا الذى تقوله أمك يادنتون ؟ أنظر أى يد تمتلىء أولا . على أن أذهب الى الفصل . »

أسرع مبتعدا قبل أن يتمكن رفيقه ربيب الشوارع من أن يشرع فى تأمل مصير الأنسة أيفلين . شعر أن قلبه كان يمتلىء بأشياء لا يمكنه أن يخبر بها أحدا .

فى شهر فبراير ، عندما كانت الايام تصبح اطول وادفا وكان بالامكان سماع الضفادع الصغيرة على طول الجداول وقت العصر ، كان من آن لآخر يذهب مع سالى فيتزجيرالد الى البيت حتى يذاكرا معا . كان طريق الحافلة يمر بجوار بيت سالى ، وكان من الممتع ان ترتحل على الطرقات الريفية وانت تكاد تختنق فى اطفال من كل الاعمار من الصف الخامس حتى الحادى عشر . وعندما كانت الحافلة تتوقف عند بيت آل فيتزجيرالد ، كان اطفال كثيرون يبرزون من الباب واحدا بعد الاخر حتى تخيل الصبى خنزيرة ضخمة برتقالية اللون تلد مجموعة من الخنازير المتحمسين .

كان بيت آل فيتزجيرالد صندوقا خشبيا حقيرا من اربع غرف ، يقوم على اعمدة مصنوعة من الصخور المحلية بارتفاع قامة رجل . كان له شرفة امامية ذات سقف معدنى ودرجات خشبية شديدة الانحدار تؤدى اليها . كان قد طلى باللون الابيض منذ امد بعيد الى حد انه كان قد رق الآن وشحب الى لون رمادى فضى . وكان هناك ممر امامى رملى تحدده رءوس طوب احمر مفروز بشكل مائل ، وشجرة ماجنوليا عتيقة ضخمة ترتفع فوق الممر وتكاد تظل الشرفة . كان الفناء قد كنس الى ان صار نظيفا وعاريا الى درجة ان سطحه الصارم لم تكن تقطعه حتى ورقة ماجنوليا تساقطت . وكان داخل البيت اكثر نظافة وعاريا بالمثل تقريبا .

كان الصبى وسالى يجلسان الى طاولة المطبخ ، وقد استندا بمر فقيهما على المشمع المنشق ، ويؤديان واجبهما المدرسى . كانت الواح الارضية العارية تثير دائما عجب الصبى . كانت تفوح بشدة برائحة صابون اليزول الذى صنع فى البيت وقد ابيض لونها بفعل الحك المتكرر الى درجة انها كانت بيضاء تقريبا وكانت شظاياها ناعمة مرنة . لم يكن وجه سالى هنا جزئيا مثلما كان فى المدرسة ، لكنه كان ما يزال حزينا بدرجة طفيفة ، وكانت تعطى التعليمات لاشقيائها وشقيقاتها بصوت خافت رقيق يذكر الصبى بيمامة فى عشاها .



كان يحب أن يجعلها تضحك ، وكان من الممتع أن يمتعها بحكاية غريبة تجعلها تطوح برأسها الى الخلف وتقرقر بنعومة بابتهاج محكوم .  
كان كلاهما يستمتع بالذاكرة معا في تلك العاصري قبل أن تأتي ام الصبي لتوصله الى البيت في الوقت المحدد للحلب . كانت سالى تتمتع بعقلية طيبة لكنها كانت مهملة في تعلم بديهيات ونظريات هندسة السطوح المستوية وكان الصبي يشعر بأنه مهم وهو يدرّبها لا على فهم هذا النظام الرياضى ولكن على الاستمتاع به . وحين كانت ثقتها تتزايد كانت عينها تبرقان عندما تتوصل الى حل مشكلة ، وكان استمتاعها بانجازها أمرا معديا . اقترح أن تأتي الى بيته لتدرس من أجل الاختبار الشهرى ، مشيرا الى أن أمه كان بإمكانها بكل سهولة أن توصلها الى بيتها تماما مثلما كانت تأتي لاحتضاره .

وعندما وصلا الى بيت الصبي عصر ذلك اليوم ، انطلقا فى حفل عريضة مدرسية . استوليا على مائدة الطعام المستديرة وحدهما ، وكانت سالى قد توصلت قبل أن ينتهى العصر الى حل كل مسألة هندسية عالجوها خلال الاسابيع الستة الماضية . كانت مثالية فيما يتعلق بخطها ونظافة ورقتها . وكان الصبي يشاكسها .

« سالى ، بحق القديس بطرس ، انك تتصرفين كما لو كنت ستحامين تلك المسائل معك للحصول على تقدير . وقد كتبت فقط على جانب واحد من الورقة . وباعتبار تكاليف الاشياء ، هذا امر مخز من جانبك تماما . »

« أعرف ، يا بورتير الصغير . أشعر حقا أنني مبذرة ، لكنك ليست لديك أدنى فكرة كم هو ممتع أن أستطيع أن أحل هذه العضلات فى حين كنت منذ شهر مضى أكرهها مثلما أكره الشيطان . وان أجعلها تبدو نوعا من الرسم أو شيئا من هذا القبيل على صفحة واحدة من ألورق يجعلنى أشعر بارتياح . »

وبعد أن مضت فى السيارة مع أمه ، لاحظ الصبي أنها قد نسيت أن تحمل معها المسائل التى قضت فيها عصر اليوم كله . أدرك أنها قد عرفت الموضوع بكفاءة تامة الى درجة أنها لم تكن فى حاجة الى استعراض صفحات العمل تلك ، ولكنه بفكرة متكاسلة أنها قد تحتاج الى ظهورها التى لم تستخدمها كمسودات فيما بعد ، دسها فى دفتره .

وفى اليوم التالى ، حين كتب الامتحان على السبورة ، راح الصبي

يعمل بسرعة وهدوء . كانت هناك عشر مسائل ، وعن طريق الكتابة على وجهى الورقة ، انتهى الى ورقة امتحان من ثلاث صفحات طواها ، والصق عليها اسمه ، ووضعها جانبا على حافة درجه . أخرج كتاب تاريخ ليبدو منهمكا ، وقضى بقية الساعة ينظر الى رفاقه من الطلبة . كان الامتحان ذلك النوع من التدريب الذى يجده الطالب المستعد أسهل من أن يكون متحديا أو يؤدي الى الاحساس بتفوق الذات ، وكان الصبى قد شعر بالملل الى حد ما .

نظر عبر الغرفة الى سالى فيتزجيرالد . كانت تجلس وقد مالت برأسها ، وشعرها يتهدل حول وجهها ويكاد يلمس الدرج ، وهى مستفرقة فى عملها الى حد أنها بدت كما لو كانت غافلة عما حولها . وكانت بيتى لو الصغيرة تعض على قلمها اولا ثم على أظافرها لكنها كانت تبدو هادئة الى حد ما فى هذا اليوم . وفى مؤخرة الفصل كان جيكونب تيرنسبيد وسيبورن هدلستون يخاولان النظر الى أوراق أحدهما الآخر ، وهو تدريب على اللاحدوى ، حيث أن الواحد منهما كان يعرف عن الموضوع أقل القليل تماما مثل الآخر . وكانت مائى ماى سيمبسون تعبت بشعرها ، وينونا ماكيلوانى تعبت بلادنها ، وأوليفر بتسيل ينظف أنفه باصبعه .

كان فى مجمله مشهد فصل عادى مألوف فى وقت اختبار ، كل شىء فيه محكم وكل واحد مشغول بهدوء . تأمل المدرس . كان السيد هيرشيل هابارد قد تخرج فى جامعة جورجيا منذ عام واحد فقط . كان طوله ستة أقدام وبوصتين وله ردفان كان الصبى يرى أنهما يبدوان مثل برمبل يرتكز بالعرض على طوالتين خشبيتين . وكان شعره أسود قاحما الى درجة أن ذقنه الحليقة كانت تبدو متباينة بشكل حاد مع جلده الأبيض الى درجة غير عادية . كان يستخدم دهان شعر بوفرة ويحمل فى جيب قميصه مشطا يستخدمه من آن لآخر وعلائية فى تمشيط تسريحة شعره المنحوتة . وكانت شفتاه سميكتين بشكل غير عادى بالنسبة لرجل أبيض وحمراوين بشكل غير اعتيادى بالنسبة لرجل . وكانت له أسنان صغيرة قصيرة كأنها اوتاد تتخللها ثغرات ، وعندما كان يتنفس كان الهواء يصدر صوتا صغيرا من خلال الشعرات الكثيفة بأنفه .

كان يؤدي عملا مزدوجا كمدرّب لكرة السلة ومدرس رياضيات . لم يكن يتقاضى أى أجر إضافى عن الجهود الإضافى بل كان يتقاضى

نفس الثمانين دولارا شهريا شأن كل المدرسين الآخرين ، وكسان سعيدا للغاية بأن له وظيفة . لم يكن في ذكاء ثلث الفصل تقريبا ، لكنه كان يفوقهم هيبة واحتراما للذات . كانت الفتيات يرونه وسيما وكان يتلطف موافقا بسيماء من كان يتنازل .

كان الاولاد في فريق كرة السلة يرون فيه ابن امه ويدورون حوله في حلقات اثناء التدريب . كانوا حريصين على اخفاء آرائهم ، على أية حال ، وعلى اطاعة اوامره على الفور ، اذ كان يتمتع بمزاج ناري ويميل الى العقاب اكثر مما يميل الى الاقناع . وكان الصبي ، وهو يخشاه قليلا ، يحرص على ان يحافظ على سلوكه في درس الهندسة وان يتظاهر باحترام لم يكن يمكنه تماما .

لاحظ الآن ، باهتمام عرضي ، ان لابد ان الوقت قد حان تقريبا لدق الجرس ، لان استعراض الدمى كان قد بدأ . كان هذا تسليية خاصة لم يكن يشارك فيها احدا . فقد لاحظ انه قبل تسليم اوراق الامتحان مباشرة كانت فتاة مترددة تنسل بخطوة جانبية من مقعدها ، وتخطر في مشيتها الى هبارد العجوز صاحب الشفتين بلون الكبدة ، وتتمتم بسؤال في اذنه . وكان هذا يشجع الاخريات بحيث كان هناك تيار ثابت من الضارعات . وكان الصبي يتساءل ما اذا كان السيد هبارد غيبا الى درجة ان يظن ان هؤلاء الفتيات لم يكن قد انتهين من حل مسائل الهندسة ، او انه كان مغرورا الى درجة الا يلاحظ ان احدا من الصبية لم يكن يقترب ابدا من مكتبه بسؤال . شق صوت الجرس السكون وانفجرت الحجرة بنشاط غير منظم . والطلبة يسلمون الاوراق ، ويختطفون الكتب ، ويجاهدون في ارتداء ستراتهم ، ويثرثرون وهم في طريقهم الى البهو استعدادا لدرسهم التالي . مالت سالى فيتزجيرالد واعتصرت ذراع الصبي وهو يسير .

« كنت أعرف كل واحدة من هذه المسائل - وقد حصلت على مائة في ذلك الاختبار ! » وضحكت ضحكة خافتة ناعمة مبتهجة « بفضل مذاكرتك معي . كان ذلك اول امتحان في الرياضيات اجلس فيه على الاطلاق واجدة متعة . اعنى انها كانت متعة ان اكتبه كله . عرفت عندما رايت الاسئلة على السبورة اننى كنت أعرف كل جزء فيه . كان متعة ! »

كانت عيناها تلمعان . وقال الصبي لنفسه ، ان سالى جذابة حقا

حين تكون سعيدة ! « أعرف ماتعنيه ، ياسالى . سوف يكون هذا شعورك من الآن فصاعدا . فأنت طالبة رياضيات جيدة ، كان كل ماتحتاجين اليه هو قليل من الثقة بنفسك . »

« مازلت أود ان أشكرك ، يابورتر الصغير . فسوف يجلب لى هذا اول تقدير حصلت عليه فى بطاقة تقريرى فى الرياضة منذ جئت الى بروتنتون . أراك فيما بعد . »

وحين مضت الى أسفل البهو ، قال الصبى لنفسه انه لم يشاهدها من قبل مطلقا معتدلة الكتفين ورأسها مرفوع الى أعلى .

ويوم الجمعة حين وزعت بطاقات التقرير فى نهاية اليوم ، نظر الصبى أولا الى تقديره فى السلوك . كان قد بذل مجهودا واعيا هذا العام ليحسن سلوكه ، بعد ان قرر لتوه ان كون الواحد رعبا مقدسا كان سلوكا صبيانيا . ولاحظ برضى انه حصل على تقدير « ا » طيب صلب هذا الشهر ، لم يكن هناك داع للمبالغة فى التظاهر بالفضيلة . وبحكم العادة عد علامات + خلف صف تقديرات « ا » ، وفقد اهتمامه بطاقة التقرير ، ووضعها داخل كتاب . كان يجب ان يوقعه احد الابوين قبل يوم الاثنين . وفى طريقه الى خزائنه فى الممر المؤدى الى البهو ، مر بسالى ، وقد تهدلت فوق حملها من الكتب على ساعدها ، محنية الكتفين مطاطئة الرأس .

« أهلا ، ياسالى . هل يروق لك تقدير « ا » ذلك ؟ » وبعد ثلاث خطوات لاحظ عدم ردها . نظر خلفه . كانت سالى مستندة الى الحائط وقد أدارت رأسها جانبا . كانت تبكى ، وكانت تفعل هذا فى صمت ودون ان يلاحظها أحد مثلما كانت تفعل كل شيء .

« أى شيء فى العالم دهاك ، ياسالى ؟ لا أستطيع ان اقف واتفرج عليك وانت تبكين . »

وبصمت ، ناولته بطاقة تقريرها . قفزت عيناه الى خانة الرياضيات خارج هذه الخانة كان هناك صف متماسك من تقديرات « ب » حتى النهاية . وكان قيد هذا الشهر « ر » صارخا ، أسود واكثر جراءة من كل القيود المدونة الاخرى . وبعد الصدمة الأولية راح يؤكد لها بسرعة ، « كفى عن البكاء ، ياسالى . هذا خطأ ما . لابد انه خلط بين بطاقتك وبين بطاقة سيبورن هولستون أو شخص ما آخر . اذهبى به الى السيد هبارد وسوف يصلحه . »

بدأت سالى تنشج ، « لقد فعلت ذلك بالفعل . هل تعرف ماذا



قال ؟ قال - أوه ، لا أستطيع ان أخبرك ، قال ... » حشت فمها  
بمنديل متكور وتهاكت بشكل أكثر تراخيا على الحائط .  
« تمالكى نفسك ، ياسالى . اى شىء فى العالم قاله لك ؟ »  
سألها الصبى .

انت سالى ، « قال اننى كنت أغش ! ذلك هو ما قاله . قال اننى  
غششت فى الامتحان النهائى . قال انه كان يعرف لاننى كتبت كل  
مسألة على صفحة مستقلة . قال اننى كنت قد قمت بحل كل تلك  
المسائل مسبقا وانسللت بها الى الامتحان . وقال انه لم يرنى افعل  
ذلك لكنه كان يعلم اننى قد فعلت . »

« لماذا ، هذا سخف . فقد قمنا بحل كثير من المسائل معا فى  
عصر اليوم السابق . هل أخبرته بهذا ؟ هل أخبرته اننى كنت أشاكسك  
حول التبذير فى الورق ؟ هل قلت له انك كنت تعرفين هذا الامتحان  
عن ظهر قلب ؟ »

أنشجت سالى ، « لم أخبره بأى شىء . خشيت أن أشرع فى  
البكاء ، ولم أكن أريده أن يرانى . أوه ، يابورتر الصغير ، ماذا  
اصنع ؟ لا أستطيع أن ارى هذا لابى . أوه ، اننى أريد فقط ان التف  
حول نفسى وأموت . يبدو أن كل شىء غير مجد . »

« أغلقى فمك ، ياسالى فيتزجيرالد . لا تتكلمى هكذا ، هسل  
تسمعيننى ؟ أنت مضطربة فقط ! أعطنى بطاقة التقرير هذه . تمخطى  
وانتظرينى هنا بالضبط . سوف أعود فى ظرف دقيقة . سوف أذهب  
لمقابلة السيد هبارد . »

وعندما ألقت بطاقة التقرير من بين أصابعها التى لم تقاوم ،  
أضافت قائلة ، « لقد أعطانى تقدير « ر » فى السلوك أيضا ، يابورتر  
الصغير . لم أقل أى شىء له عن هذا . وقد آلمنى هذا أسوأ من أى  
شىء . »

« لا تقلقى ! ليست هناك مشكلة ! سوف أعود حالا . »  
كان مستشارا وغاضبا ، قد تمكن منه هدفه الى حد أنه نسى نفسه  
تماما . لم يخطر له مطلقا أن يكون خائفا أو حتى خجولا . وعندما  
أسرع داخلا غرفة السيد هبارد ، كانت بيتى أو الصغيرة تغادرها ،  
تصحبها اثنتان من سيدات بلاطها . اصطدم بهن برفق دون أن يتكلم  
ودنا من المدرس ذى الشفتين الحمراءوين ، الذى كان مائلا الى الخلف  
على الرجلين الخلفيتين لكرسى معتدل خلف مكتبه ، ويداه ممدودتان فى

تثاؤب يدل عن الرضى عن الذات ..

« ياسيد هبارد ، يسعدنى أن أجذك قبل أن تتحرك الحافلات . »  
بدأ الصبى حديثه منفعلا . « لقد حدث شيء رهيب ! ان سسالى  
فيتزجيرالد فى البهو وقد انخرطت فى البكاء لانك ظننت انها تفش فى  
اختبار الهندسة ، و ... »

قاطعه المدرس قائلا ، « انا لا أظن ذلك ، انا أعرفه . لقد نسخت  
كل مسألة مسبقا وقامت بتسليمها فقط على أنها اختبارها . والا  
فلأى سبب كتبت كل واحدة على ورقة منفصلة والايام عصصيبة  
فى حالتها الراهنة ؟ لقد سلمت عشر صفحات لعشرة أمثلة ! كم  
سلمت أنت فى امتحانك ؟ انها تستطيع أن تبكى من الآن فصاعدا ، اذا  
كانت تظن اننى ذلك المففل الكبير ! وفوق هذا ، فقد كانت تحصل على  
تقديرات «ب» فى كل المواد قبل ذلك ، ثم ينتهى بها الامر الى امتحان  
نهائى كامل ؟ لا تقل لى انها لم تكن تفش . »

« ولكن هذا بالضبط ما أقوله لك ، ياسيد هبارد ! المسألة  
اننا كنا ندرس معا - واطننى اننى كنت أقوم بتدريسها قليلا - على  
اية حال ، فجأة تعلقت بالرياضيات وأحببتها . وأنت تعلم ان ذلك  
من الممكن ان يحدث لك ، أليس كذلك ؟ كانت تعرف كل مسألة فى  
ذلك الكتاب وعيناها مغمضتان . كانت فخورة بذلك ، كانت شخصا  
مختلفا .

« وفى ليلة الامتحان ، عندما كنا ندرس معا ، كانت تفعل نفس  
ما تقوله عن الصفحات المستقلة ، وكنت أشاكسها بهذا الخصوص ،  
تماما كما تقول ، مثل ، كيف يمكن أن تكونى مبذرة فى الورق ، وقالت  
انها كانت تشعر بارتياح لانها تعلمت الهندسة أخيرا وانه كان شيئا  
ممتعا ان تحلها بهذا الشكل . بل اننى احتفظت بأوراق العمل لها حتى  
تستخدم ظهرها فيما بعد ... »

وتملكه الهام . « انتظر دقيقة . لماذا لم افكر فى هذا من قبل ؟  
لدى تلك الاوراق هنا تماما فى مكان ما . سوف أربها لك . »  
فتش فى دفتره وأخرج الثلاثين صفحة التى كانت تعمل عليها ،  
والتي كان قد احتفظ بها لسالى . كانت مجمدة شيئا ما حول الحواف  
لكنها كانت مع ذلك تتألق بالصحة . دفع بها فى يدي السيد  
هبارد .

« وعلاوة على ذلك ، ياسيد هبارد ، أنت فقط لا تعرف سسالى

مثلاً نعرفها جميعاً ، انها لا يمكن ان تفعل أى شىء غير أمين . انها  
لتموت قبل ان تغش . »

كان المدرس يتصفح رزمة الاوراق ، ويتمعن فى كل صفحة بعناية  
رفع رأسه ، « حسناً ، يبدو أننى قد أتيت خطأ ما هنا . » اعترف  
اخيراً . « فلم تمر على حالة مثل هذه قبل الآن مطلقاً . اخبر سالى  
أننى سأرفع تقديرها ، وسوف ننسى الموضوع كله . »

« نعم ، ياسيدى . كنت أعلم أنك ستفعل هذا . وقد أخبرت  
سالى مقدماً أنك ما أن تفهم ، حتى تفعل هذا بالضبط . أنت رائع ،  
يا سيد هبارد ! شك بطاقة تقريرها . » وقدم له الوثيقة  
المسيئة .

قال المدرس وهو لا يريد أن يورط نفسه ، « الآن ، حسناً ،  
سيكون على أن أغير التقدير فى دفتر سجلاتى أولاً . أخبرها أن تأخذ  
هذه معها الى البيت وأن تقابلنى يوم الاثنين . »

اعترض الصبى قائلاً ، « أوه ، انها لا تستطيع أن تفعل ذلك ، ياسيد  
هبارد . فسوف تموت لو أن أى واحد من أهلها رآه . هيا غير التقدير  
الآن على البطاقة واحضر دفتر سجلاتك فيما بعد . أظن أن ذلك  
سيكون أفضل بكثير . » كانت فكرة ملاحقة العدالة مستحوذة عليه  
الى درجة أن السيد هبارد كان مهتما بهذا أيضاً .

قال الرجل ، « حسناً ، ناولنى اياه . سوف أغيره الى «ب» .  
ولن يظهر حتى فى البطاقة . ذلك هو ما تحصل عليه عادة . »  
« أوه ، ياسيد هبارد ، لا يمكنك أن تفعل هذا . فقد حصلت على  
مائة فى ذلك الاختبار وذلك يمنحها « ا » على بطاقة التقدير تلك .  
وبممكنك أن تغير « ر » الى « ا » بنفس السهولة دون أن تبدو كما لو  
كانت قد عبت بها . »

قال المدرس بعد فترة وجيزة وهو يغير الحرف ، « حسناً ، سوف  
نفعل ذلك . أظنك على حق . هاك . » وأعاد التقرير الى  
الصبى .

« ولكن ، ياسيد هبارد عليك أن تغير تقدير السلوك أيضاً . فاذا  
لم تكن تغش فانها لا تستحق تقديراً سيئاً فى السلوك . »  
وفى هذه المرة اختطف السيد هبارد البطاقة . وأدرك الصبى  
أنه كان متغاضياً عن علامات الخطر وأنه كان يقف قريباً من انفجار  
مزاجى بشكل يندر بالخطر .

قال مسترضيا ، « أنت رجل طيب ومراع لحقوق الآخرين حقا .  
فليس بإمكان الكثيرين أن يكونوا مدرسين جيدين مثلك وأيضا متفهمين  
للتألم . »

أجاب السيد هبارد ، وقد هدا جزئيا ، « حسنا ، اننى احاول .  
هالك ، لقد رفعتك الى «ح» . هل يرضيك هذا ؟ »

« أوه ، أجل ياسيدى ، ياسيد هبارد ، أجل ياسيدى . أظن أن  
«ج» تقدير طيب فى السلوك ! أشكرك شكرا جزيلا . لقد كنت  
عظيما . » أسرع الى سالى ، التى كانت قد جففت عينيها المنتفختين  
لكنها كانت الآن قد أصابها الطواق .

أعلن بكرة انتصار ، « هالك ، ياسالى . سوف تشعرين أنك  
أفضل الآن . قلت لك الا تقلقى . كان كل ماعلى أن أشرح الامر  
للسيد هبارد . وقد قلت لك أنه لامر سىء أن تبدرى فى الورق على  
هذه التحف الفنية . »

حكى سالى منديلها المتكور المبلل تحت أنفها ، وفتحت بطاقة  
التقدير ، وقالت بنعومة ، « انظر الى تلك الـ « ا » فى الهندسة !  
أنا لا ألومه لتعجبه من هذا . أنا نفسى لا أستطيع التغلب على هذا  
الشعور . »

وفجأة أطلقت صيحة جديدة .

سألها الصبى ، « ما الخبر الآن ؟ »

صاحت ، « أوه ، انظر الى تلك الـ «ج» فى السلوك . أنا لا أستطيع  
أن أعود الى البيت بذلك ! »

« بحق القديس بيت ، ياسالى ، عم تتكلمين ؟ لقد حملت الى  
المنزل « ر » فى السلوك فى كثير من الاحيان . وذلك التقدير ليس  
له اعتبار على سجلك الدائم أو أى شىء آخر من هذا القبيل . انسى  
الموضوع . »

« لا أستطيع ! فلم أحصل مطلقا على أى شىء أقل من « ا » فى  
السلوك ! وعلاوة على ذلك ، يابورتر الصغير ، ألا ترى ؟ لقد كان  
السبب الوحيد لاعطائه « ر » لى فى السلوك هو أنه ظن أننى كنت  
أغش . حسنا ، اذا لم أكن ، فمن المؤكد اننى أستحق « ا » . ومن  
المؤكد والاكيد اننى لم أفعل أى شىء آخر . سوف أذهب للقائه بنفسى  
حول هذا الموضوع . »

قاطعها الصبى ، « انتظرى لحظة ، ياسالى . تذكر وضع فك



السيد هبارد والنظرة التي كانت في عينيه من دقائق مضت . « يحسن بك أن تدعيني أعود لأراه . فربما أكون قد استثرتة قليلا ، وأكره أن يصب ما بنفسه عليك . »

تناول البطاقة عائدا الى غرفة السيد هبارد . كان من الواضح أن ذلك السيد كان يللم حاجياته لهذا اليوم . سأله بشكل باتر ، « ماذا تريد الآن ؟ » .

قال الصبي باحترام ، « حسنا ، ياسيد هبارد ، لدينا مشكلة صغيرة هنا لم يفكر فيها أبنا . فسألى لم تحصل مطلقا على أى شيء سوى « أ » فى السلوك من قبل ، وقد قالت أن السبب الوحيد الذى حصلت من أجله على « ر » هو أنها جعلتك تظن أنها كانت تفش ، وحيث أن الأمر ليس كذلك فينبغى أن تحصل على « أ » فى السلوك الآن . أنا لم افكر فى الأمر بهذا الشكل » وضحك بعصبية ، « وقد أخبرتها أننى كنت متأكد أنك لم تفعل . » وأمام تحديق المدرس الأسود الثابت ، تملل قليلا لكنه أضاف باصرار ، « لقد قات لها أننى كنت متأكدا أنك ستفهم . ولن يستغرق الأمر منك سوى ثانية لتغيره . وهى على حق ، كما تعلم ، » وترك البطاقة تنزلق من فوق أعلى مكتبه .

لم ينظر المدرس حتى الى البطاقة . سأله ، « ماذا تعنى هذه الفتاة بالنسبة لك ؟ من المؤكد أنك تحشر نفسك فى أمور الآخرين ! هل هى قريبتك أو صديقتك أو شيء من هذا القبيل . » « أو ، لا ، ياسيدى ، انها مجرد صديقة ، زميلة دراسة ، وفتاة مرت بأوقات عصيبة ، تعرف . أعنى أنها خجولة ولا تستطيع أن تتكلم بالنيابة عن نفسها ، اذا كنت تعرف ما أعنيه . »

قال المدرس ووجهه يحمر ، « أعرف أننى سئمت محاولتك تعليمى كيف أدير عملى » وارتجف صوته قليلا ، « هذه الـ « ج » ستبقى ، كما هى تماما ، وليس هناك ما تستطيع أنت أو هى أيضا أن تفعله لتغيره انها تستحق « ح » لأنها استغفلتنى ، اذا لم تكن قد فعلت شيئا آخر ، ناهيك عن كل هذه الفوضى التى تقوم أنت بها حول هذا الموضوع . هاك ، أعد هذه البطاقة إليها ، ولا تذكره لى مرة أخرى . »

نحى الصبي كل الحذر جانبا . « ياسيد هبارد ، أنت لاسمكك أن تفعل ذلك ، » قال متحديا : « ليس هذا منطقيا وليس هذا عادلا ،

ولن يبقى التقدير . »

قال المدرس المحمر الوجه المرتجف بصوت مستشار ، « سوف نرى ذلك . » وأمسك الصبى من أذنه ، ورفعته عن الأرض وشرع يجذبه عبر الغرفة . وأعلن « سوف ندع السيد جيل يسوى هذا الأمر . لقد أخبرنى عنك ، وأظن أنك ستكتشف أنك قد تماديت كثيرا هذه المرة . »

لم يكن بإمكان الصبى أن يقرر ما إذا كان يابه بالالم أو بالاهانة أكثر وقد اندفع السيد هبارد الى أسفل البهو وهو يلوى الأذن بأحكام بمسكة لا هوادة فيها . كانت سالى هى الطالبة الوحيدة الباقية فى البهو ، وتمكن الصبى من القاء بطاقة التقدير عند قدميها وهما يندفعان بجوارها .

وإذا كان السيد هبارد حتى رآها ، فلم يأت بما يدل على ذلك واندفع كلاهما الى داخل مكتب السيد جيل بصوت جر أقدام وضجة مدوية جعلت المدير ينهض واقفا ، وقد انطبقت أسنانه بأحكام فى رد فعل طارئ .

راح ينغم صوته بنبرة رضى متصاعدة ، « حسنا ، حسنا ، حسنا . »

« أخبرنى عما يجرى . ياسيد هبارد . » وفرك يديه معا بصوت جلدى جاف .

وبدا المدرس يتكلم ، وهو يتنفس بصعوبة ، « حسنا ، ياسيد جيل . هذا الدكى الصغير يحاول أن يعلمنى كيف أقوم بالتدريس فى المدرسة ، وأضع تقديرات للأوراق ، وأؤذب طالبا ، وليس أيها بأقل قدر ممكن من شأنه . فقد ظننت أننى ضبظت هذه الفتاة تفش ، فرسبتها ، وغيّرت تقديرها الراسب بعد أن شفع لها هذا الصبى ، ولكن عندئذ كانت لديه الجراءة أن يوبخنى لأننى أنزلت تقديرها فى السلوك وتحدانى بالفعل حتى يخبرنى ما أستطيع وما لا أستطيع أن أفعله . ولا يمكننى أن أدعه يفلت باملاء أوامره على . »

كرر المدير قوله : « حسنا ، حسنا ، حسنا . لقد نلته أخيرا . عصيان مكشوف . هذا يتطلب عقابا . وسوف يسعدنى أن أقوم به نيابة عنك ، ياسيد هبارد ، حيث أنك ربما ماتزال نائرا . أغلق الباب . »

وشرع يخلع سترته . وأمره بحزم وهو يتناول لوحا خشبيا من

على الحائط ، « مل فوق هذا الكرسي . »  
تطلع الصبي فيما حوله بياس . لم يكن هناك سبيل الى الاندفاع  
حول السيد هبارد والجري الى أسفل البهو الى الحرية . كان الرعب  
المذل الذي تجنبه عشر سنوات قد أدركه فجأة الى درجة أنه لم يكن  
لديه وقت للتفكير فيه . كان على وشك أن ينال « علة » في المدرسة .  
واتخذ قرارا بأنه مهما حدث ، وسواء عاش أم مات ، فإنه لن يبكي  
بصوت عال . واجه السيد جيل ، في محاولة أخيرة للخلاص في  
اللحظة الأخيرة ، قال ، « أنك ترتكب خطأ خطيرا . »  
قبض عليه من كتفه ، وأدير ، ودفع بخشونة الى الوضع المطلوب .  
وراح السيد جيل يهدر ، « أنت الذي ارتكبت الخطأ - أخطاء كثيرة !  
اقبض على ذراعي ذلك المقعد واياك أن تتحرك ، والا فسأجعل السيد  
هبارد يمسك بك . »  
جذب اللوح الخشبي الى الخلف وأطلقه . ظن الصبي أن  
ديناميتا قد تفجر في سرواله . كانت صدمة الضربة هائلة الى درجة  
أنه كان يستطيع بالكاد أن يحافظ على مواظبة قدميه . وكان الألم مبرحا  
الى درجة أنه ظن أنه سيصرخ عاليا على الرغم من قراره .  
فكر في يهوه ، رب الجنود وملك الممالك . ساعدني ، يارب ، في  
ساعة حاجتي الملحة ؛ وحتى لو قتله أعداؤه ، ساعد أنت خادمك  
المتواضع على ألا يبكي . وصلى ، ساعدني يارب .  
وبينما كانت الضربات تنهال ، كرر الصلاة مرة بعد مرة . لم يكن  
قد شعر مطلقا بهذا الألم . كان كل عصب فيه يستحثه أن يصرخ  
ويرقس ، أن يستدير ويحاول الجري . ومن مكان ما استقر في صدره  
غضب بارد كمصباح هاد وركز على لسان النار الخفاق . شعر بطعم  
حلاوة فجأة في فمه وأدرك أنه قد عض وجنتيه حتى سالتا بالدم .  
ورغم ذلك ، لم يصدر صوتا . وأخيرا سمع السيد هبارد يقول ،  
« ياسيد جيل أظن أنه يستحسن أن تتوقف . اعتقد أن هذا هو كل  
ما يستطيع أن يتحملة ، من كان يظن أنه صارم الى هذا الحد . »  
سقط ذراع السيد جيل ببطء الى جانبه . قال للصبي من بين  
أنفاسه العميقة المتهدجة ، « استدر واجلس ، ولكن اياك أن تتحرك  
لست واثقا أنك تلت كفايتك . »  
وعندما جلس الصبي ، أدهشه أن يجد أنه لم يكن بإمكانه أن يشعر  
بالكرسي بردفيه المخدرين ، على الرغم من أن المنطقة كلها كانت تبدو

مشتعلة . احتفظ بذقنه على صدره ، سمع السيد جيل يقول ،  
كما لو لم يكن هو في الغرفة ، « والان ، ياهبارد ، أخبرني كل  
شيء من البداية حتى أحصل على تقرير واف . وقد نسمع من هذا  
فيما بعد ، كما تعلم ، نحن بحاجة الى أن تكون معا . فانا مثلك . من  
كان يظن أن هذا الوغد الصغير يمكنه أن يتحمل ؟ »

أصفى الصبي باذعان الى التقرير ورأى أنه كان دقيقا في جوهره ،  
على الرغم من أنه كان مسهبا في تفسير لماذا ظن السيد هبارد أن  
سالى كانت تغش في المقام الاول وفضا بشكل سافر في سرد غضب  
السيد هبارد للمواجهة التي تمت حول التقدير من ناحية السلوك .  
وعندما أشرف المدرس على النهاية ، أصبح الصوت أقل وثوقا وانتهى  
اخيرا بنبرة سؤال تقريبا .

كان السيد جيل قد شرع يتأرجح على قدميه ويجلجل بمفاتيحه ،  
وعلى الرغم من أن الصبي لم يرفع رأسه ، فإنه كان واثقا من أنه  
كان الان يتطلع خارج النوافذ وينزلق بطقم أسنانه السفلى على لسانه .  
وبعد لحظة صمت طويلة ، تكلم المدير ، ونبرة صوته منهكة وحاسمة .  
« يا الهى ، ياهبارد ، أنه على حق . فاذا كانت لديه أوراق العمل هذه  
كدليل ، فليس هناك شك في أن الفتاة لم تكن تغش . واذا لم تكن  
تغش ، فينبغى عليك أن تغير تقدير السلوك .

« انها لاشيء ، ولكن هذا الثرثار هنا قادر على نشر الخبر في طول  
البلدة وعرضها ، غير التقدير الى ا . » واستدار الى الصبي وتكلم  
بنبرة مصالحة قدر امكانه . « حسنا ، حسنا ، حسنا . يبدو أننا  
ارتكبنا خطأ صغيرا هنا . ولعلنا تسرعنا قليلا في التصرف . وأظن  
أننا مدينون لك باعتذار . تستطيع أن تذهب الان اذا كنت تريد . »  
لم يستطع الصبي أن يصدق أنه كان يسمع بشكل صحيح . نهض  
ورفع عينيه . كان السيد جيل ينظر الى بقعة بعيدة على ارتفاع  
قدمين فوق رأسه والى اليمين قليلا . واصل كلامه قائلا ، « أظن أنك  
ستبلغ أباك بهذا . ولا أستطيع أن أمنعك من فعل هذا . ولكن تأكد  
من أن تخبره اننى قدمت اعتذارى . »

شرع الصبي يتكلم ، واكتشف مخرجاً ان صوته كان يتهدج ،  
« ياسيد جيل » وصفى حنجرتة ، وبلغ ريقه ، وبدأ ثانية بنبرة أكثر  
ثباتا ، « ياسيد جيل ، انا لن أخبر أبى . فسوف أدعك أنت تخبره  
بذلك قبل أن تأوى الى فراشك الليلة . واذا لم يكن قد عرف



بالامر عندما استيقظ غدا ، فسوف اخبر لجنة التعليم . «  
ووسط الصمت الذى تلى ذلك ، مشى الى الباب . شعر انه  
كان يبلغ ستة اقدم طولا وانه دنىء مثل ثعبان جائع . رفع عينيه الى  
المدير وانتظر حتى تتحرك عيناه الى بؤرة النظر . وبشعور بالانتصار ،  
فح قائلا ، « انت ايها الضراط المعجوز ! » واستدار دون خوف . وفي  
البهو الخاوى احنى راسه ، « اشكرك ، يا ابانا السماوى العظيم .  
كانت تلك منحة حقيقية غير متوقعة ، لكن خادمك المتواضع يشكرك  
الى ابعد حد لانك لم تدعه يبكى . لك كل التبجيل والمجد والشكر .  
آمين . »

كان يعرف تماما ان كومب النافذ الصبر قد تركه حين لم يكن على  
الدرج بعد المدرسة مباشرة . شرع فى السير فى طريق البيت ، وهو  
يهز كتفيه باستسلام ، ويأمل ان يصل الى هناك فى الوقت المحدد  
لحلب الابقار قبل حلول الظلام . التقطه السيد وولتر بوفورد واوصله  
الى منزلان هارب ، وكان الصبى واعيا بشكل مؤلم وهو يحاول  
الجلوس انه قد عوقب بوحشية . كان الشعور بالمشى افضل من  
الشعور بالجلوس .

تمكن من حلب الابقار لكنه كان بالكاد يستطيع ان يحتمل ان يجلس  
على رذفيه لاتمام هذا الاجراء . تجنب أسئلة أمه وأخواته عن سبب  
تاخيرته ، وتمتم بشكل غامض عن اجتماع لمناظرة . عانى اثناء الصلوات  
العائلية ثم أعلن انه كان سيقرا فى السرير . وكانت حقيقة الامر انه  
كانت لديه هواجس حول اكتشاف والديه لامر الضرب .

كان يعرف انه كان على حق فى الدفاع عن سالى ، لكن غضبه  
واحساسه بالاستشهاد كانا يفسحان المجال للخوف من احتمال تحقق  
تهديد العائلة بان اى جلد فى المدرسة سيتبعه جلد فى البيت . لم  
يكن واثقا الآن كيف يكون رد فعل والديه . وكان يعلم انه لم يكن فى  
حال تجعله يتخاطر بجلد آخر .

وبرفق انزل سرواله ، ووقف امام المراة ، وفتح حلة الاتحاد من  
الخلف . وبالنظر من فوق كتفه روع بمشهد رذفيه المتورمتين  
السوداوتين الذى رآه . لا عجب انه كان يستطيع ان يشعر بشبضة  
كل دقة قلب فى مقعده . ورغم ان المنظر أزعجه ، فانه كان يشعر  
ابضا انه بر فى عين نفسه وانه قد ظلم فى قضية نبيلة . حاول ان  
يفكر فى شهيد ما قابل للمقارنة به يمكنه ان يتوحد معه ، لكن موضع

جروحه خذله . وتمتم عاليا بياس ، « أنت لا تحسب أن أى شخص مات على الإطلاق لأنه ضرب على مؤخرته ولا شيء سوى هذا ، اليس كذلك ؟ » رجع وعاد الى طفولته فى صلاته وهو يصعدا بحرارة « الآن أرقد لانام ... »

كان مايزال مستيقظا فيما بعد حين أشعل الضوء . كان راقدا على بطنه ، أدار رأسه ليرى شخصا طويل القامة واقفا فوقه . سأله أبوه بصوت منخفض ، « سامبو ، هل أنت بخير ؟ »

« أجل ، ياسيدى ، يا أبى ، أنا بخير . »

وأخبره أبوه ، « جاء العجوز جيل الى الصيدلية ليرانى الليلة . وقد تحدثنا طويلا . أخبرنى بكل ماحدث عصر اليوم . وقال انه قدم لك اعتذاره عن الحادث كله وأنه كان يخشى انه ضربك بشدة . »

« ولاننى أعرفه ، كنت أعرف انه اذا كان قد اعتذر لاي شخص عن أى شيء فان امامنا أمرا خطيرا ، لكننى كنت هادئا . وعندما انتهى من كلامه ، أخبرته أن امامه ثلاث خطط عمل محتملة يمكننا أن نناقشها . ان بإمكانه أن يستقيل كتابة الليلة ، ان بإمكانى أن أثير الامر امام لجنة تعليم الولاية ، والا كان بإمكانى ان اقطع رقبتة اللعينة ، وقد اختار الخطة الاولى ، ولن يكون فى المدرسة يوم الاثنين . دعنى ألقى عليك نظرة . »

جذب الاغطية الى الخلف وبرقة فصل ما بين الملابس الداخلية . وسمع الصبى فحيح الشهقة واشتم رائحة الويسكى الحلوة الحمضية وهو يمتص داخل الجسم . وعندما وضع أبوه أصبعها يكاد يكون ملاطفا على ردف متورم نابض ، حاول الصبى بصعوبة ألا ينكمش . وحط صمت طويل . وأخيرا سأل الاب بنبرة تعجب ، واحترام تقريبا ، « لماذا فعلت هذا ، يابنى ؟ »

فكر الصبى لحظة طويلة ، وأجاب ، « هناك بعض الأشياء ينبغى على الرجل أن يقاتل من أجلها ، يا أبى . كان الامر ينطوى على سمعة امرأة . »

مال الاب وأمسك بكتف نحيل بيد قوية . تشبث به فترة طويلة دون أن تتراخى قبضته . لم ينطق بكلمة . وأخيرا أطفأ الرجل النور وانصرف . رقد الصبى ساكنا جدا وتفكر طويلا . انهمرت دموع ثقيلة من عينيه فى سيل يطهره ، وبكى حتى راح فى النوم .

فى ذلك الربيع ذهب الى حفل الاستقبال الذى كان يقيمه الطلبة الجدد والقدامى . . من الناحية النظرية ، كان هذا حفل وداع للطلبة القدامى يقيمه طلبة المدرسة الجدد احتفالا بهذه المناسبة ، والحقيقة انه كان المناسبة الاجتماعية الوحيدة التى تحدث ليلا اثناء العام الدراسى كله ، وكان الجميع يشعرون بالاثارة حوله . فبادىء ذى بدء ، كان حفلا رسميا .

كان طلبة الصف يدركون من الكلمة عدة دلالات غامضة لان الفتيات كن يترنمن بها بتأكيد واحترام خاصين ويبدو انهن كن يستخدمنها فى اجتماعات الصف اكثر مما كان ضروريا . وفى كل عام كان احد الطلبة يرفع يده ويسأل عن المقصود بكلمة رسمى . وكان هذا يحدث دائما ضحكا مكتوما بين الفتيات وفيضا من الحديث غير متصل بالموضوع يربك كل ذكر فى الحجرة تقريبا .

وما ان كان الطلبة يتأكدون من انها كانت تعنى ملابس سسهره بالنسبة للفتيات وحلل يوم الاحد بالنسبة للفتيان ، لم يكن واحد منهم يعتقد ان هذا كان كل مافى الامر . فلم يكن امر بهذه البساطة يثير حديثا نسائيا كثيرا بهذا الشكل .

قرر الصبى ان يحضر هذه المناسبة الاجتماعية الباهرة ، وقرر ان يحضرها بشكل مترف . ولما كان ماهرا فى نظام التشريفات العائلية فقد فاتح امه طالبا الاذن بالذهاب .  
اجابته : « اطلب من ابيك . »

كانت مذكرته تلك الليلة تقول : « هل يمكننى ان اذهب الى حفل استقبال الطلبة القدامى والطلبة الجدد ؟ »  
كان الرد الابوى الذى وجدته فى صباح اليوم التالى : « يمكنك الذهاب بالتأكيد . »

تبع هذا على الفور بـ ، « هل يمكننى ان اضرب موعدا ؟ »

كانت الاجابة على هذه المذكرة وردية نوعا ما وكان من الواضح انها كتبت بعد جرعة اكبر من الكحول . « اننى اجد رغبتك فى صحبه الجنس اللطيف ملائمة وفى حينها . وانا لا آذن لك فقط ، بل امنحك بركاتى . »

الح الصبى على الامر . كانت مذكرته تلك الليلة تدريبا فى الخداع . كانت تقول ، « شكرا ، يا ابي ، انت رجل عظيم واكثر الاباء تفهما فى العالم . لدى موعد مع جلاديس ووكر . ان لها اسنانا مضسحكة ، وشعرا أشقر ، وعينين زرقاوين . وهى جميلة حقا من الجاب . امها تحبك لها ثوبا قرنفليا . وقد طلبت لها باقة من زهور القرنفل وقد كلفنى خمسين سنتا لثلاث زهرات ، لكننى قررت ان اتباهى ، هل يمكننى ان استعير سيارتك ؟ »

كان يعلم تماما ان هذا الطلب سيرفض . كان مجرد التحريك الابتدائى . لم تحمل الاجابة التى تلقاها اية دهشة .

« ولدى العزيز ، بالطبع انا اعرف جلاديس ووكر . ابوها رئيس عمال القطاع . وهى شابة جميلة وابعث اليك بتهائلى . واختيارك للزهور يدل على ذوق طيب . اذا كنت بحاجة الى مزيد من النقود ، فعليك ان تبلغنى فقط . لا استطيع ان اعيرك سيارتى ، لاننى ساستعملها . ذلك المساء . تستطيع امك ان تصطحبك فى سيارتها ، لا اظن ان مهارتك تتكافأ بعد مع متطلبات القيادة الليلية . اثق فى انك تفهم . »

وبعناية تمعن فى اجابته : « ابي العزيز ، لقد سبق لى ان قادت السيارة مرة فى الليل ، وسار كل شىء على مايرام . لن يكون هناك صبية آخرون تحضرهم امهاتهم الى الحفل الراقص . سوف ارى جلاديس غدا وفى الموعد لعلها لا تكون فكرة سيئة جدا عنى ، ولعل الصبية الآخريين لا يضحكون طويلا . اعلم ان كون الواحد ايا مهمة صعبة ، وانا لا اناقش رأيك . لعل السبب فى انى اجد صعوبة فى الفهم هو اننى لم اصبح ابا بعد . وبهذا المعدل ، ربما لا اكون واحدا ابدا . مع حبى ، سامبو . »

وراجيا الا يكون قد تمادى كثيرا ، دس المذكرة تحت طبق الطعام . استيقظ مبكرا بشكل غير عادى صباح اليوم التالى . اقترب من موقد



الطبخ البارد بسرعة وهو لاهث الانتفاس . كان طبق الطعام قد اكل نصفه فقط . ولم تكن هناك ورقة ظاهرة تحته . غاص قلب الصبي ، وظن انه قد اغضب الاب بسبب وقاحته . وعندما استدار بهزة كتف ، نظر خلال الباب المفتوح . لمح ورقة كاملة على طاولة الطعام ، قد اسندت في مكانها بملاحة جدته الكبرى .

اختطفها بلهفة وقرا ، « سامبو ، اللعنة ! يمكنك ان تستعير سيارة أمك . أدرك تماما أنك قدت ذات مرة بالليل ، تحت ظروف أكثر لطفا من هذه الظروف . لا يمكنك القيادة وحدك الى هذا الحفل ، لكنني سوف اطلب من ويس ان يوصلك . هذا أفضل ما يمكنني ان افعله . مع حبي ، أبوك المكافح . ملحوظة ، اذا كانت الابوة الوليدة مشكلة بالنسبة لك ، فسوف يسعدني ان ارشدك الى تجنبها . ملحوظة أخرى ، اذا قررت في أى وقت الا تكون طبيبا ، فرأى أنك يمكنك ان تكون محاميا طيبا للغاية . »

استدار الصبي مبتهجا الى القاموس الكبير الذى كان فى الركن ، وقد تذكر نصيح جده له بأن نصف رغيف أفضل من لا شيء . بحث عن كلمتى « لطفا » و « وليدة » ، وهو يهز رأسه استحسانا وفهما لاضافة كلمتين جديدتين الى مفرداته اللغوية . قال بصوت عال ، وهو يسرع حافى القدمين خلال صباح الربيع الباكر الى حظيرة الإبقار ، « لنكن صرخاء ، يافتى ، ان لك رجلا ذكيا حقا فى شخص أليك . » وفى ذلك الصباح نفسه بحث عن ويس بينما كان ذاك الرجل المتين العضلات يقوم بتطبيق بقله واعلنه باحساس بالاهمية ، « ويس ، اخبرنى السيد بورتر ان اقول لك أنك ستقوم بتوصيلنى الى حفل استقبال الطلبة القدامى والطلبة الجدد فى نهاية هذا الشهر . » بيد خبيرة ربط ويس رقابية البغل وعدل طوقه . « وما هذا ؟ » « هذا أضخم حفل فى العام الدراسى ، وأنت لا يمكنك حتى ان تذهب اليه حتى تصل الى الصف العاشر » قال الصبي مفسرا . « سوف يكون بالليل وسوف يستمر أكثر من ساعتين وربما لا نصل الى البيت قبل الحادية عشرة . وهو يقام فى بيت السيد تشارلى رينولدز فى البلدة ، والسيد بورتر لن يسمح لى بقيادة السيارة بنفسه ، ولذلك قال ان بإمكانك ان توصلنى . أنت لا تمنع ، اليس كذلك ؟ » « بلى ، لا مانع لدى . فى أى ليلة يكون ؟ » « فى الخامس والعشرين من أبريل . يوم الجمعة . »

قال ويس وهو يرفع قبعته المصنوعة من القش ويهرش تحتها  
باصبعه متحققا ، « لنر سيكون هذا قبل يومين من رابع يوم أحد في  
الشهر . آه ، أستطيع أن أتذكر ذلك ، ويسعدنى أن أقوم بهذا .  
على أن أذهب الى الحقل قبل أن يشرع السيد جيم فى الصباح .  
هيا ، ياورى . »

وعندما انصرف ، قال الصبى لنفسه ، آه ، وسوف يكون أول يوم  
جمعة بعد الأحد الثالث الذى يلى البدر الرابع أيضا ، لكنه ما يزال  
الخامس والعشرين من ابريل . لم يكن قد استطاع أن يصل الى تفسير  
الاساس العقلانى للطريقة المعقدة التى كان السود الريفيون يحسبون  
بها التواريخ ويحافظون بها على تقويمات مواعيدهم ، لكنه كان أكثر  
أدبا من أن يستهجنها فى وجودهم .

وفى المدرسة كان حريصا على أن يبدو لامباليا عندما أعلن أنه كان  
سيذهب الى الحقل فى سيارة . كان متأكدا أن الخبر كان قد انتشر ،  
وبعد انتهاء المدرسة عصر ذلك اليوم ، أسرع الى الحقل حيث كان  
ويس يحدد خطوط القطن . كان البغل سعيدا لتوقفه والتقاط  
أنفاسه لفترة . « ويس ، حيث أنك سوف تقود السيارة ليلة  
الاستقبال ، فقد قررت أن نجعل منك سائقا حقيقيا أصيلا . إذا  
كنت لا تمانع ؟ »

« حسنا ، هذا يتوقف . ما الذى تتكلم عنه ؟ »  
« آوه ، ما يبدو عليه حقيقة . بالطبع أنت تخطط مسبقا للحصول على  
قميص أبيض وربطة عنق سوداء مع تلك الحلة السوداء التى كنت  
ترتديها فى جنازة جيسى بورتير فى العام الماضى . »  
أجاب ويس ، « تلك حلة أخى وهو يقيم هناك فى هامبتون الان  
فى مزرعة السيد اسرائيل ليندler . أظن أننى يمكننى أن آتى بها يوم  
القادم . »

« جميل . سوف أجد لك قبعة ترتديها معها . كنت أتمنى لو أننا  
كان لدينا بعض تلك الأحذية اللامعة ذات الرقبة العالية التى رأيتها  
فى الصور أو بعض تلك السراويل التى تبرز من الجانبين ، ولكن هذه  
سوف تؤدي الفرض منها . سوف تبدو رائعا . تأكد من غسل عربة  
الأنسة فيرا غسلا جيدا من أجلنى . »

استند ويس على المحراث وأوما بالموافقة لكنه لم يقل شيئا .  
قرر الصبى أن يتأكد من تعاونه . « ويس ، لدى قليل من مال

البطيخ باق ، وسوف أعطيك ثلاثة دولارات تلك الليلة لانه لطف منك ان تساعدنى . »

« صحيح ؟ هذا احسن خير سمعته فى هذا الخصوص حتى الان . انت لست مضطرا الى ان تفعل ذلك لان السيد بورتر اخبرنى . اننى سأوصلك ، لكن ثق اننى ممتن جدا . أستطيع ان استخدم النقود . »

« أنا أريدك ان تفعل هذا ، ياويس ، والان ، الشئ الاخر الذى اريدك ان تفعله هو ان تتصرف كسائق . »

سأل بقبول ، « حسنا ، ياسامبو . وكيف يفعلون ذلك ؟ »  
« أوه ، أنت تعرف ، فى كل مرة توقف فيها السيارة ، تنزل وتفتح الباب لى وتقف هناك وتمسك الباب حتى أنزل واحضر فتاتى ، ثم تغلق الباب فى حين تميل حافة قبعتك باصبعك وعندما ترائى عائدا الى السيارة ، افتح الباب وامسك به حتى ادخل . مثل هذه الاشياء . انت تعرف . وتستطيع ان تفعل ذلك . »

« أستطيع . اشك فى هذا . قد يختلط على الامر . من المؤكد انه يبدو لى كما لو كان به الكثير من القفز داخلا وخارجا . »  
وعده الصبى ، « لا ، سوف تؤديه بشكل طيب . سوف ترى . وسوف نتدرب تلك الليلة ونحن فى طريقنا الى البلدة . وفى كل مرة ادخل فيها فى السيارة ، سوف أعطيك تعليمات عن أين تذهب . تلك هى الطريقة التى يؤدونها فى الكتب التى أقرأها فى تلك القصص التى كتبها ب . ج وود هاوس فى مجلة « بريد مساء السبت » . تساءل الرجل المحير ، « ماذا تقول ؟ كنت أظن هذا الشئ كان يوم الجمعة . »

قال الصبى مسرعا ، « هو كذلك . لا تلق بالا الى ما أقول . كنت أفكر بصوت عال . اظننى عصبيا بعض الشئ بشأن هذا الموضوع . تعرف ، هناك شئ واحد آخر ، رغم هذا . ربما أقرر أن أناديك باسم برادلى فى تلك الليلة بدلا من ويس . ان له رنيننا أفخم ، وهذه مناسبة رسمية . أنت لا تمانع ، اليس كذلك ؟ لا أريدك ان تسيء الفهم . »

« لا ، أنا لا أبالى ، تستطيع ان تنادىنى بأسوأ من ذلك بكثير لقاء ثلاث دولارات . يحسن بك أن تنصرف وتدعنى أجعل هذا البغسل يدور . » استدار ليقبض على مقابض المحراث ، ولف الحبلين حول

رسفيه ، وأبدى ملاحظة ، « لابد ان هذا سوف يكون حفلا يستحق المشاهدة . هيا ، ياورى . »

قضى الصبي بقية الوقت قبل حفل الاستقبال ، وهو غارق فى الحب . فبعد أن بذل شجاعة بالغة بأن تجرأ حتى على أن يطلب موعدا من فتاة ، كان عليه أن يتماسك بشكل دائم ليتجنب الذعر من توقع الموعد . أضفى على جلاديس كل الصفات النبيلة التى تتمتع بها البطلات اللاتى يسكن الكتب التى قراها الى درجة انها كانت هى من يجب أن يفزع لو أنها أمكنها أن ترى ما بداخل رأسه .

ابتكر فتاة تحظى بكل الفضائل وبلا شئ من أخطاء جوليت ، وبورشيا ، ورونيا ، والملكة جوينيفر . أقنع نفسه أن هذه البنت من بنات خياله ، هذه الانثى الاسطورية ، كانت متجسمة فى جلاديس ووكر ، فقد كان لديها فى النهاية عينان زرقاوان وشعر أشقر . كان غموض هذه القصة الرومانسية وجمالها أرق من أن يعبر عنهما . وبدلا من ذلك ، راح يتنهد كثيرا .

كان يبحث عنها فى المدرسة ليتبادل معها أحاديث عابرة تافهة ويحمل إليها بشكل متقطع كتذكارات غصنا من أغصان الازاليا الصحراوية او شجيرة جميلة . كانت تبرز غمازتيها وتبتسم وتشكره بصوت حلو عذب ، فترسله فى شطحات خيال أكثر جموحا عن ذي قبل . وبحلول الخامس والعشرين من إبريل كان قد أقنع نفسه أن هذه كانت قصة حب حياته ، وأنه كان مفتونا بشكل غامر بهذه المخلوقة الرائعة ، وانها كانت فتاته وبالتالى تنتمى ، جسدا وروحا ونفسا ، اليه . فزع فزعا شديدا .

وعصر يوم حفل الاستقبال ، ألقى بكتبه فى الشرفة الخلفية واسترع الى الخارج ليفتش على سيارة أمه الشيفروليه السوداء . كانت تلمع من المبرد حتى الصندوق الخلفى ، وقد غسلت لتوها ، وبدأت نظيفة بشكل مؤثر . وحين فتح الباب الخلفى ليتفحص تنجيد المقعد الخلفى بحثا عن أى ذرة غبار ، استدعى رؤيا له ولجلاديس وهما يركبان فى سعادة سيارة مترفة يقودها سائق . كان مهذبا وناعما ، يميل من آن لآخر ليتقاسم معها ملحة بارعة وتكافئه بجلجلة ضحكات فضية والوهج الرقيق على طول رقبتها .

وعندما استراحت اليه أكثر مد يده وتناول يدها ، وهو يربت



عليها بحنان حين وصلا الى حفل استقبال الطلبة القدامى والجدد .  
ابتسم بتساهل حين احمر وجهها ، وأرخت عينيها . وسحبت يدها  
ببطء وحزم . فقد كانت فى النهاية فتاة لطيفة ، ومن المحتمل انه  
كان دنيويا أكثر من اللازم قليلا بالنسبة لها .

عاد الى الواقع . كانت السيارة تبدو جيدة ، لكنها لم تكن مترفة  
فكر لحظة وأسرع الى داخل البيت . عاد بحفنة كبيرة من دبابيس  
الرسم ومنشفة شاطئ ذات خطوط زاهية ، ومضى يعمل . وفى وقت  
قصير يثير الدهشة كان قد ثبتت المنشفة عبر سقف السيارة  
الى منتصف ارتفاعها الداخلى . جذبها باحكام ، وثبت الطرف الآخر  
باحكام فى اعلى المقعد الامامى المنجد وتراجع الى الخلف مزهوا  
ليشاهد عمل يديه .

كان المقعد الخلفى الآن ركنا منعزلا ، خاصا ومنفصلا . قطع بعض  
الوردات من على النبات الذى يعترش جانب المرآب ، وصنع منها مع  
شجر القرانيا الانجليزى باقة ، ثبتها فى خلف المقعد الامامى ، ورأى  
ان السيارة الان كانت أفخم وأكثر شىء عرومانسية رآه على الإطلاق .  
اقسم فى صمت أنه لم يكن هناك أى شىء يمكنه أن يكون عناء أكثر  
من اللازم بالنسبة لجلاديس . لم يكن بإمكانه ، بالطبع ، أن يرى من  
خلال المنشفة ، ولكن بالتالى لم يكن ويس يستطيع أن يرى المقعد  
الخلفى . قال لنفسه من يدري : ربما أمسكت بكلتا يديها .

عندما استحم وارتدى ملابسه ، وضع دهان شعر أضافيا ومشط  
شعره الى أسفل غير أنه مهما حك يديه قدر الامكان لم يكن يستطيع  
أن يزيل رائحة الحليب والابقار منها . وبعد التجريب ، قرر أن  
يديه كانتا بلا رائحة على بعد ثمان عشرة بوصة من أنفه واكد لنفسه  
أن هذا لا يجب أن يشكل عائقا اجتماعيا .

وعد نفسه قائلا ، عندما أصبح طبيبا ، لن أقوم بجلب الابقار أبدا .  
لقد سئمت أن تكون رائحتى هكذا . أسرع الى الطابق السفلى ليرى ان  
كان ويس قد وصل .

كان ويس يستند بتكاسل على حاجز الاصطدام الامامى للسيارة ،  
متألقا فى حلة أخيه الجنائزية ، وقميص ابيض ، وربطة عنق سوداء .  
كان من الواضح أنه حك نفسه الى حد أنه كان يصر نظافة . وكان ينفث  
دخان سيجارة بول ديرام لف يد ، ويرتدى قبعة صوفية ذات  
مربعات على الجزء الخلفى من رأسه .

« كيف حالك ، ياسامبو . هل أوشكت على الاستعداد للذهاب ؟  
هو - و ، انك تبدو أنيقا . وشعرك يبدو حسنا ، أيضا . استطيع  
أن أشمه من هنا . أى شيء تحمله فى ذلك الصندوق ؟ »

« انه باقة ورد لوعدى - أنت تعرف ، بعض زهور اشتريتها من  
المتجر لتثبتها على ثوبها . أنت أيضا تبدو أنيقا ، ياويس . شدد  
قامتك وادفع كتفيك الى الخلف ، ودعنى ألقى نظرة عليك . ان حلة  
جورج تناسبك تماما ، وانت تبدو رائعا للغاية ، لكن تلك القبعة  
لن تنفع . انها غير رسمية للغاية . انتظر لحظة . امسك لى هذه  
الباقة ، وسوف أعود حالا . »

أسرع الى غرفة المعيشة ، التى كانت منعزلة ومنفصلة عن بقية  
البيت . ورافضا أن يفكر فيما وراء حاجته الآنية ، تقدم من الحمالة  
التى كان أبوه قد صممها وثبتها على الحائط لتحمل كل تذكارات  
العائلة العسكرية . كان سيف الجد الأكبر الذى استخدمه فى الحرب  
الاهلية معلقا هناك ، ومسدس فىرى من قوات الحملة الامريكية ،  
وخوذة ضابط بروسى ، وعدة تذكارات أخرى من ١٩١٨ . مد يده  
عاليا وأخذ القبعة الرسمية التى كان أبوه يرتديها بصفته نقيباً فى  
سلاح المشاة فى الحرب العالمية . رأى أنها قد تكون البند المطلوب  
تماما لاستكمال بزة ويس ، بقمته المنتفخة ، وأعلىها المسطح ،  
ومقدمتها الجلدية اللامعة ، انسل بها الى الفناء الخلفى . قال آمرا ،  
« هاك ، جرب هذه . »

ارتكزت القبعة على قمة أذنى ويس تماما ، وقد غطت عينيه .  
وكانت قمة رأسه تشكل نتوءا محددا فى القمة المسطحة . قال الصبى  
بفرع ، « لن تصلح هذه على الإطلاق . »

أخذ بعض شرائط من ورق الجرائد ، وبطن الاثنان جانب القبعة  
الداخلى حتى استقرت عند المستوى المناسب على رأس السائق  
الجديد . قال الصبى ، « هذا بديع ، » وهو يبدى إعجابه بالنتاج  
النهائى . « يبدو بالطبع أنك لو أدت رأسك فان القبعة ستظل ثابتة ،  
لهذا كن حريصا . ولونها بطبيعة الحال كاكى ، وحلتك سوداء ،  
لكننا لا يمكننا الحصول على كل شيء . سوف يكون ضوء النهار  
مايزال موجودا عندما نصل الى هناك لكن الظلام سيحل قبل أن نفادر  
ولن يكون اللون مهما الى ذلك الحد .

« أعتقد أنك تبدو رائعا ، ياويس . والآن لا تنسى ، سوف أدعوك

برادلى . وتأكد من فتح الباب لى . وحاول أن تتذكر أن تلمس حافة قبعتك بأصبعين عندما أنزل . لا بتحية حقيقية ، ولكن مجرد نوع من ايماءة احترام عرضية . هكذا . ولكن احصرص على الا تطيح بالقبعة . ولا تدخن ، ياويس ، فى السيارة او امام اى من المشتركين فى الحفل . سوف يكون عليك أن تنتظر وتدخن فى فترة الاستراحة . وسوف أحاول أن أجلب لك بعض المرطبات . احسب أننا جاهزان للذهاب ، ولكننا سنكون مبكرين . »

قال ويس ، « انتظر لحظة ، ياسامبو . أنت على وشك أن تشوشنى . فانا لم اكن أعلم مطلقاً ان هناك هذا الكثير فيما يتعلق بالقيادة من قبل . وسوف يكون الامر سيئاً بما فيه الكفاية مع وجود هذه المنشقة تتدلى هنا وأنا لا أستطيع أن ارى من النافذة ، ولاى شىء تخطط بما فعلته هنا فى الخلف على اى حال ؟ ثم تقول اننى لا أستطيع التدخين الا فى الاستراحة وأنا لا اعرف حتى متى يكون ذلك ، لكننى اعلم ان هذه هى قبعة السيد بورتر ، وأنا مرتعب من انه سيسلخ رأسى اذا ضبطنى بها . واعتقد أنك تماديت كثيراً . »  
راح الصبى يهدئه ، « أنصت ، ياويس ، لقد أخبرنى أبى انه على استعداد لان يفعل اى شىء ليساعدنى فى هذا الموعد . سوف يعلم أنك لم تدخل الى غرفة المعيشة وتحصل على تلك القبعة . سوف يعلم اننى فعلت هذا . وسوف يعلم اننى طلبت منك ان ترتديها . لقد كان نقيباً ، وهو لن ينزل العقاب بعسكرى لانه فعل ما امره ملازم أن يفعله ، لذلك كف عن القلق .

« هاك ، خذ هذه هى الدولارات الثلاثة التى وعدتك بها . والآن لقد دفعت لك مقدماً . وهذا يبرم عقداً ولا تستطيع أن تخلف وعدك لانك اذا فعلت فإن القانون ينالك . والآن ، هيا بنا . »  
أجاب ويس ، « آه - هه ، » وهو يطوى الورقات النقدية الثلاث بعناية ويضعها فى جيبه . « كل ذلك ممكن هكذا ، لكننى اغامر بالفرص المتاحة لى امام القانون فى اى يوم قبل أن اغضب أباك . اركب ودعنا نذهب . »

« اركب ، ولا شىء . افتح الباب لى ، والمس قبعتك ، ثم دعنا نَمْضِى . »

وحين استقر فى ركن المقعد الخلفى وادار ويس محرك السيارة ، قال آمراً من خلال المنشقة الفاصلة ، « الى القرية ، يابرادلى . »

وعند وصوله الى بيت رئيس عمال القطاع ، كاد الصبي أن ينسى ويشب من السيارة وحده . استعاد نفسه ، وذكر ويس بفطرسية ، « برادلى ، الباب . »

أجابه السائق من خلال الحاجز القماشى ، « ماذا تقول ؟ » . تملقه الصبي صابرا ، بثقة واعتزاز ، « أو ، ويس ، تذكر . من المفروض أن تنزل وتفتح الباب لى . قف معتدل القامة وطويلا حين تفعل ذلك ، لأنك تبدو أنيقا حقا الليلة . وافعل نفس الشيء عندما ترانى قادما باتجاه السيارة مع الفتاة . هذا هو الشيء الحقيقى ، والان ، ياويس . أرجوك ألا تنسى ثانية . »

« آه - هه ، لن أنسى . فقط كنت نسيت ، لن أنسى ثايسية ، ياسامبو ، لقد قال أبوك أن علينا أن نمر على الصيدلية فى طريقنا الى هذا الحفل . ولن أنسى هذا ايضا . لم يحدث مطلقا أن كنت فى مثل هذا الحال من قبل . هل تحسب أنه يحسن بنا أن نذهب الى البلدة ونراه الان . »

أجابه الصبي ، « لا ، لقد تأخر بنا الوقت الان . وانا واثق أن آل ووكر يعرفون اننا هنا الان . ظننت اننى رايت شخصا يطل من خلال نافذة فى غرفة الطعام ، وسوف يبدو الأمر غريبا اذا تراجعنا من ممر السيارات الان . » واضاف وهو ينظر الى قبعة ابيه على رأس السائق ، « وعلاوة على هذا ، اعتقد أنه من الافضل أن تكون جلاديس معنا الان . وانا واثق أن أبى يريد أن يلتقى بها . استعد الان وافتح الباب . »

وعندما نزل من السيارة واوما بتنازل لأسائقه ، كان واثقا انه رأى خفقة ستار فى نافذة حجرة الاستقبال . ومع هذا ، فبعد أن طرق الباب كان لديه وقت لجذب سترته الى اسفل ، وتحسس ربطة عنقه ، وتمرير يده على شعره ، وتلميع مقدمة كل حذاء على خلف رجله الاخرى . وما أن فتح الباب ، كان يقوم بفحص فتحة سرواله ليتأكد انها كانت مزورة باحكام ، واهتز فجأة انتباها الى درجة أن صندوق الباقة قفز من تحت ذراعه مثل شيء حى واندفع الى قبضة أم جلاديس . تمتمت السيدة ، « يا الهى ، ألا تدخل وتجلس ؟ »

لطف من ارتياك الصبي اورتياحه لان السيدة ووكر هى التى فتحت الباب لا زوجها . كان للسيد ووكر صوت خشن مدو وطريقة حارة



مبالغ فيها ترهب أى واحد ، لكن زوجته لم يسمعها أحد مطلقا ترفع صوتها . والحقيقة أنها كانت تتكلم بتمتمات باللغة النعومة فقط ، وأحيانا لم تكن حتى تكمل جملتها .

كانت طويلة القامة ونحيلة لكنها لم تكن شديدة النحول مطلقا . على العكس ، كانت تبدو كما لو لم يكن بها عظمة واحدة فى جسمها وعندما تمشى كانت تنزلق الى الامام ، وعندما تجلس كانت تدوب فى مقعدها ، وقد ضغطت ساقها الى أحدهما الآخر وطوتها عند الركبتين ، وهى تتداعى جانبا مثل شريطين ملتصقين من فطائر حلوة . وكانت رقبتها تميل دائما الى الناحية المقابلة لركبتها بما يعطى الانطباع بأن رأسها كان زهرة كبيرة للغاية متوازنة بشكل مقلق على ساق هشة جدا .

كانت أسنانها عريضة وكبيرة ، وكانت شفتاها منطقتين بالكاد عليها حتى أنها كانت تأتى بحركات تذوق صغيرة صامتة بشفتيها ولسانها بشكل متكرر . وكانت عيناها بنفس اللون الأزرق الباهت مثل عيني ابنتها لكنهما أكثر بروزا وتميلان الى أسفل عند ركنيهما الخارجيين . وكانت جفونها ثقيلة الى درجة أنها كانت نصف مرتخية، وكان هذا بالإضافة الى ميل عينيها ذاتهما الى أسفل يعطيها مظهرا ملولا متحررا من الوهم بشكل دائم وهو مارآه الصبي أمرا رشيقا . كانت تذكره فى الحقيقية بالارستقراطية الانجليزية التى نزل بها الفقر ، وتخيل أنها ربما كانت النسل الأمريكى لايرل انجليزى نسي من زمن طويل .

تمتت وهى تموج صندوق الباقة باتجاه كرسى بحركة رخوة ، « جلاديس لم تنته تماما من ارتداء ملابسها . سوف تخرج فى مجرد بضع .. اجلس وثرثر معى حتى تكون هى ... لن يستغرق الامر طويلا .. كيف حال أبويك ؟ » .

« بخير ، أشكرك ، ياسيدتى . » اكتشف أنه اذا جلس على حافة الكرسى المنجد ، فان قدميه تلامسان الارضية وكان هذا يبدو أفضل من أن يريح ظهره الى الخلف، وساقاه بارزتان الى الامام مباشرة . جلس صامتا لحظة وراح يراقب خلسة تذوقها لمادة ماغير معروفة . ومن تعبير وجهها قرر أن تلك المادة لم تكن لطيفة . قال لنفسه ، لا بد أنها متللفة .

تجاسر وقال ، « ياسيدة ووكر ، متى تريدان أنت والسيد ووكر

أن تعود جلاديس الى البيت ؟ »

امالت عينيها المرتختين باتجاهه ، وهي تبدو منفصلة ومهتمة فقط بشكل طفيف ، « لماذا ، لا أدري ... أظن .. حينما .. متى ينتهى الحفل ؟ »

« حسنا ، الحفل ينتهى فى الساعة الحادية عشرة ، وسوف أبذل أقصى جهدى أن أوصل جلاديس الى البيت فى الحادية عشرة وخمس دقائق . هل هذا على مايرام ؟ »

نظرت اليه بشكل أكثر مباشرة ، « نعم ، طبعاً ، أظن ان هذا على مايرام . متى ينتظر أن تعود الفتيات الاخريات الى بيوتهن ؟ »  
« لا أدري ، ياسيدة ووكر ، لكننى لا أريدك أن تقلقى على جلاديس سوف أعتنى بها تماما . »

تمتمت السيدة ووكر ، « أنا واثقة انك ستفعل . »  
« أعنى ، اننى أعرف انكم جميعاً ربما كنتم مدققين للغاية فيما يتعلق بها ، حيث أنها طفلة وحيدة وما الى هذا » وواصل الصبى كلامه بجدية « وأريدك أن تعلمى أنها آمنة معى . »  
همست السيدة ووكر تقريباً ، « أنا واثقة من ذلك ، » وتطلعت حولها بحثاً عن مكان تودع فيه صندوق باقة الزهور .  
« أعنى أن هذا هو أول موعد لى وما الى ذلك ، وأريدك أن تعرفى اننى أحترم ابنتك والنساء جميعاً فى هذا الخصوص ، اذا كنت تعرفين ما أعنيه . »

قالت السيدة ووكر ، وهي تواصل تدريباتها فى التذوق ، « أنا واثقة انك ... أنا لست قلقة مطلقاً على جلاديس . »  
فكر الصبى فى فريكلز ولادى بنتى جين ستراتون بورتر ، وقرر أن هذه كانت مادة طيبة سليمة لتهدئة قلق أم منزوعة ، « حسناً ، ما أعنيه حقاً ، ياسيدة ووكر ، هو اننى أريد أن أؤكد لك وللسيد ووكر اننى طاهر كيوم ولدت ، وأنا واثق أن جلاديس هكذا أيضاً ، وسوف أعود بكليتنا على هذه الحال ، لذا لا تقلقى . هل تعرفين ما أعنيه ؟ »

نهضت السيدة ووكر ، « ياإلهى ... أين .. دعنى اتحقق من .. جلاديس ! » نادى بأعلى صوت سمعها الصبى تستخدمه ، « تعالى الى هنا ، هل تسمعين ؟ لقد أبقيت هذا الصبى ينتظر .. ياالرحمة ، ما الذى يعطلك ؟ »

اندفعت جلاديس الى الغرفة كما لو كانت تنتظر اشارة البدء .  
انزلق الصبى من مقعده ونظر اليها ، وقد فقر فمه اعجابا ودهشة .  
كان رأسها يتواثب بلفات من الشعر الذى عقص لتوه وكانت ابتسامتها  
المشعة مرسومة بأشد أنواع أحمر الشفاه حمرة رآه فى حياته .  
بدت رموشها أطول وأدكن مما يتذكر . كان الثوب الذى حاكته  
لها أمها ، على أية حال ، هو ماحولها حقا الى مخلوقة من الغموض  
والجمال .

لم يكن قد رأى طوال حياته هذه الوفرة من شبكة قرنفلية . كانت  
ترتفع فى سحابة حول كتفيها تكاد تكون بارتفاع رأسها ثم تتساقط  
فى طبقات رقيقة خفيفة على طول المسافة حتى الارض وفى مكان  
ما قرب أعلى السحابة كان هناك ثقب صمم بفن يظهر بجلاء ثدييها فى  
بياض الحليب ، وهما يبدوان ، كما خطر له ، مثل دجاجتين بيضاوتين  
تستدفئان فى نفس العنبر . وتحت كل الشبكة كانت ترتدى شيئا  
يهمس ويحف فى كل مرة تتحرك فيها . أضله الصوت الى درجة أن  
أختفت عصبيته .

« جلاديس ، انك جميلة جدا ! هذا الثوب يليق بك كثيرا . »  
« تلات ، » « أشكرك . فردت ذراعيها ودارت حول نفسها مع  
صخب مصاحبة قميصها الداخلى ، « هل تحبه حقا ؟ »  
« أعنى اننى أحبه ! انك تبدين مثل طفل فى كرة من غزل البنات .  
« هاك ، لقد اشتريت لك بعض الزهور . » وقدم لها الصندوق .  
الكرتونى الأبيض .

« أووه - وى . اليسست جميلة ! تعال ، ثبتها على . »  
تناول الصبى ، الباقة والدبوس الطويل برأسه اللؤلؤية وتحرك  
باتجاه الفتاة التى انحنى قليلا . وجد نفسه ينظر مباشرة الى الشق  
الذى يبدو من خلال عش الشبكة القرنفلية ولم يستطع أن يتخيل  
تثبيت الباقة الى أى سطح لا يتضمن اقتراب يده بشكل خطر قرب  
هذين الثدين الباهرين . وبرعشة خفيفة مد يده بالباقة للسيدة  
وكرر . « يحسن أن تفعل أنت هذا ، » وبلغ ريقه .

وبينما راحت السيدة تضغط الباقة بهمة فائرة فى الزبد القرنفلى  
لاحد الكتفين وتثبته بدبوس ، راح الصبى يثرثر بعصبية .

« هل ترين ما أعنيه ؟ يا سيدة ووكر ؟ تستطيعين أن تثقي به .  
وكما تقول أمي ، تجنب مظهر الشر ذاته ، أو كما يقول مدرس اللاتينية  
« لابد أن تكون زوجة قيصر فوق مستوى الشبهات ، تلك الزهور  
تبدو جميلة حقا حيث وضعتها . »

هممت السيدة ووكر وسط الصمت الذي تلا ذلك ، « يا للرحمة ،  
انتم يا أطفال ، يحسن بكم أن تسرعا . استمتعا بوقتكما ... أعني  
ليكن سلوككما طيبا ... أعني ... حسنا ، يرحمني الله ، ماذا  
تنتظران ؟ »



قفز ويس من السيارة ، وهو متلهف الى اثبات سيطرته على تدريبه المكثف حين وصلا ، وفتح الباب الخلفى ، ووقف معتدل القامة مثل عصا ، فى حين راح الصبى يساعد جلاديس ولفائفها المحزومة على الدخول الى المقعد الخلفى .

قال الصبى باستعلاء ، « أحسنت ، يابرادلى . » ومال الى الخلف على الوسادات . وقال آمرا من خلال المنشفة المشدودة بإحكام ، « الى الصيدلية الآن ، لو سمحت . »

وحين انعطفت السيارة حول الركن الذى يحيط بالكنيسة ، كانت جلاديس تجلس وقد مالت عليه بخليط من الشبكة القرنفلية وعقصات الشعر المتواثبة . ولما كانت أداة حفظ توازنه ثابتة فقد ألقى الصبى ، بدون تفكير ، ذراعا حول كتفى الفتاة ليثبتها فى مكانها ويقيها . وبشكل لا يمكن تصديقه ، لم تتحرك حين اعتدلت السيارة على الطريق الترابى بهدير محركها المكتوم فى اتجاه البلدة . رقدت الرأس الشقراء على كتفه ، وهى تتضام اليه بالفعل التماسا للدفع فى عناق طبيعى . وللحظة وجد الصبى نفسه لاهث الانفاس منتشيا .

همست جلاديس ، وهى تتجاهل وضعها تماما ، « أو - وى ، أنا أحب هذه السيارة وأن لديك سائقا خاصا . »

قال الصبى ، وهو لا يفكر فى شيء فى العالم سوى وضعه ، « صحيح ؟ » لم يكن مثل هذا الخيال الجميل قد توفر له فى تخطيطه لهذه الامسية ، تسلل ذراعه برقة وخلسة التماسا لمزيد من الدفع حول كتفى هذا الطيف . التصقت به التماسا لمزيد من الراحة . حرك يده خلسة تحت زاوية الفك الناعم وربت على الذقن المخملية وحين فعل هذا ، تشمم رائحة الحلب التى لا يمكن أن يخطئها أحد تنبغت من يده . وادرك بفزع ان جلاديس كانت لابد تشمها بشكل أكثر قوة منه ، حيث أنه أنقها الصغير الرشيق كان بالتأكيد أقرب الى هذا العضو السيئ من أنفه هو . أصابه الرعب فطوح ذراعه بعيدا عن جلاديس ودفعها على نحو مفاجئ الى وضع معتدل بيده

الآخري .»

وصدر منه قوله بشكل عفوى ، « عفوا ، لا أدري لماذا فعلت ذلك مطلقا ؟ من المؤكد أننى لم اكن أعنى ذلك . »

تساءلت جلاديس ببراءة ، « فعلت ماذا ؟ » سمعها الصبى بالكاد . تهالك فى ركن المقعد ، بخزى وذل ، وهو يقاوم دافعا الى الجلوس على كلتا يديه . انقذه وصولهم الى الصيدلية .

فى الشفق المبكر ، كان بإمكانه أن يرى ملابس أبيه البيضضساء وهو يقف مستندا الى دعائم السقيفة المعدنية التى كانت ترتفع فوق الرصيف أسفل الصيدلية تماما . كان منهما فى حديث مع رفيقين يرتديان حلل عمل فضفاضة . وحين راحت السيارة تنزلق ببطء الى حافة الطريق الترابى ، اعتدل أبوه ، وألقى بسيجارته جانبا وصدق غير مصدق .

وبينما كان يقترب ببطء من السيارة ، قال الصبى آمرا متجبرا ، « الباب يابرا دلى . »

وفى حين وقف ويس انتباهها ، نزل هو من المقعد الخلفى بعظمة ومد يده ليصافح أبيه محييا . لم يكن ذلك السيد يبدو كما لو كان يركز انتباهه الخالص على ولده الوحيد . راحت نظراته تشرذ من القبة التى كانت على رأس ويس الى منشقة الحمام الزاهية الالوان ثم تعود الى القبة . وما أن جذب نفسا عميقا ليتكلم ، قال الصبى باستحثة ، « أبى ، اود أن أقدم لك جلاديس ووكر . فهى رفيقتى هذا المساء . »

وبينما كان ويس مايزال ممسكا بباب السيارة ، والصبى يحجل من قدم الى القدم الآخري ، أرجأ الاب الحديث فى أمور غير جوهرية ، وهو سيد المواقف الشهم ، وارتفع الى مستوى المناسبة . قال وهو يميل داخل الباب المفتوح ، بدمائة رائعة ، وبللمسة إبقاء بالرسومات لا تخلو من اطراء ، « يسعدنى أن أتعرف عليك ثانية ، يا آنسة . وإذا لم تعتبر بها جراءة منى ، فأننى أودك أن تعرفى أنك طيف جمال حقيقى فى ذلك الرداء . »

واعتدل فى وقفته ، وعادت عيناه الى أعلى رأس ويس . « لن أؤخركم أكثر من هذا . استمتعا بوقتكما . هاك مقدم أتعابك البسيط الذى وعدتك به ، » قال هذا ، ودفع بورقة نقدية من ذات الخمسة دولارات فى كف السائق .

واضاف بسرعة ، « والآن ، هناك أشياء متنافرة معينة هنا ، بعضها مضحك وبعضها مثير للاستياء ، سوف تشغل بها أنفسنا نحن الثلاثة فيما بعد - هل تقول في الصباح ؟ طابت ليلتكم . »  
وبينما كانوا يتراجعون بالسيارة الى الطريق ، لوحى جلاديس بيدها للشخص الطويل القامة بملابسه البيضاء . وهتفت ، « أو - وى ، ان اباك لطيف بكل تأكيد . انه رفيع التربية . »

همهم الصبى وهو مشغول البال ، « اجل » . كان بحاجة الى الوصول الى القاموس ليرى ما اذا كان هو أو ويس الاكثر تورطا . كان الحفل على أشده بالفعل . كانت الشرفة الامامية تفص بالفتيات فى ملابس السهرة وتنوراتهن ممثلة للغاية الى درجة ان شاغلتهن كان عليهن ان ينحن بشكل غير رشيق الى الامام من عند خصورهن ليمنحن قبلاتهن للقادمين الجدد . كانت الصرخات النسائية والضحك العصبى تملأ الهواء ، واكدت كل فتاة لما لا يقل عن ست فتيات أخريات ، كل على حدة ، ان ثوبها كان بديعا للغاية وانها كانت أجمل ماشوهد فى برونتون . لم يكن بالامكان سماع صوت ذكر واحد فى أى مكان .

اجتذبت جلاديس ، فى سحابة شبكتها القرنفلية ، وهى تتحرك مثل دمية فى مسرح العرائس ، الى بؤرة هذا الهياج الانثوى ، وتركت الصبى واقفا على الدرج ، وحيدا مرتبكا .

تطلع حوله ، ولاحظ ان السيدة جارفيس عبر الطريق والسيدة ماكلين فى البيت المجاور لم يدعا حفل الطلبة القدامى والجدد يعوق روتينهما اليومى . فبعد ان كانتا قد فرغت من غسل أطباق العشاء ، كانت كل سيدة منهما مستقرة بشكل مريح فى مقعدها المعتاد فى شرفتها الامامية ، تؤرجح ببطء وايقاع يوما ربيعيا حسافلا حتى تستريح كما لو كانت تؤدي شعيرة مفعمة بالرضى . واذا كانت هناك عملية غمس مرود فى قليل من السعوط تجرى وسط الشهور بالارتياح الشفقى ، فقد كان هذا يتم بشكل مهذب لا يسترعى الانظار ، ولم يكن أى واحد بحاجة الى ان يبدى اهتمامه .

داخله الارتياح من الفة هذا المنظر ، وشق الصبى طريقه حصول محيط دائرة الفتيات وهن يثرثن الى ركن الشرفة حيث لمح مجموعة من الاولاد . كان بعضهم يقفون متصلبين فى أرجاء الشرفة وهم يحاولون ان يتذكروا الا يتسوا فيضعوا أيديهم فى جيوبهم فتتجعد ، وآخرون

يستندون بتكاسل الى الاعمدة أو يجلسون على حواجز الشرفة الواسعة ورغم أنه كان يشعر عادة بالقربه بين هؤلاء الاولاد الاكبر سنا والاضخم حجما ، فانه شعر فى تلك الليلة اهم كانوا جميعا مترابطين بفعل الخوف المشترك من أن ينجذبوا الى كتلة الانوثة الضاحكة الصارخة التى كانت تدور حولهم . وباحساس بالانتماء يبعث على الارتياح ، تسلل الى داخل مجموعة الذكور ، وداخله فى الحال شعور بأنه كان مستترا وغير واضح للعيان .

كان وصوله ، على أية حال ، قد لوحظ وأبدى كل صبى تقريبا تعليقا ما عن سيارته . ولما كانت هذه التعليقات ، مهما كانت صياغتها ، تعبر عن اعجاب كامن بقدرته الاساسية على الابتكار أو بالنتاج النهائى ، بدأ الصبى يشعر بالارتياح لتقبلهم له . والحقيقة انه ما أن تزايدت مجموعة الصبية ، حتى أصبحوا جميعا اكثر استرخاء ، ولم يمر وقت طويل قبل أن يتبادلوا لا النكت فقط ولكن ملاحظات مفصلة عن الفتيات وهن فى أبهى زينتهن الرسمية . سمع دينيس روكمور يقول ، « اصطفوا ، يارفاق ، وصل الان التوامان بيشوب . » وخلال لحظات كان كل صبى فى المجموعة يتدلى من فوق الحاجز ليراقب موكب هاتين الفتاتين على طول الرصيف ثم وهو يصعد الممر المؤدى الى الشرفة . كانت الفتيات الاخريات يحاولن دائما تجاهلهما . كانت ريندا بيل وليندا نل بيشوب شقيقتين متناسقتين فى نسب حجميهما بدرجة مشهية ، وكانتا تعيشان على بعد ثلاثة أميال الى الجنوب من البلدة فى مزرعة قطن صغيرة . كانت اقتصاديات العائلة تدفعهما الى الحقل مع اخوتهما الاربعة . وكانت أمهما تتخيل نفسها من أسرة مرموقة وكانت تتصرف دائما كما لو كانت قد تزوجت دون مستواها . وكانت تصر على أن تعزق الفتاتان الارض وأن تجمعما القطن وهما ترتديان ثوبين بأكماس طويلة وقبعات شمس تحمى جلدهما الذى كان فى بياض الحليب من أى تعرض للشمس يؤدى الى خشونته . وقد علمتهما فى وقت مبكر أن تحضرا وأن تحملا لها الاشياء وأن تعتبر كل نزوة من نزوات أمهما واجبا مقدسا . وعلمتهما أيضا أن القدرة على ارضاء رجل كانت معيار نجاح المرأة وأن تسيرا على اطراف أصابع اقدامهما كما تفعل السيدات المهذبات .

وقد أدى هذا بالتوامين الى مشية مدهشة حين تراها ، خاصة



وهما تتصنعان ارتداء أحذية ذات كعوب معدنية وثياب مبهرجة  
خيرية شفافة كما كانتا هذا المساء . كانت ليندا نل تخطر وريندا بل  
تطفر مرحا . وكانت كلتا هما تحتفظ بمرفقيها متصلبتين ويديهما  
بارزتين جانبا وهما تطوحان أذرعهما من الاكتاف في لحظة دخولهما  
الحماسي المفعم بالحيوية الى حفل استقبال الطلبة الجدد والقدامى .  
كان الصبي قد لقبهما فيما بينه وبين نفسه الفتاتين « رغم ذلك .  
و - مع هذا . » كان لدى ليندا عادة أن تشفع أداة ربط بجملته « رغم  
ذلك ومع هذا » أثناء الحديث ، وكانت وريندا بل تفعل نفس الشيء  
ب « مع هذا ورغم ذلك . » لم تخيب التوأمتان ظنه في هذه  
الليلة .

حين كانتا ترقيان الدرج وتميلان الى الامام لتلقى وطبع قبسات  
التحية الزائفة ، سمع احدي الاختين تطلق صوتا حادا وتقول ، « أعلن  
ان هذا المكان يبدو مثل أرض الجنيات ، ومع هذا ورغم ذلك ينبغي  
ان يكون هكذا مع كل العمل الذي قامت به لجنة التزيين . ان الطريقة  
التي جدلوا بها الورود وأغصان صريمة الجدى حول كل الاعمدة  
البيضاء تروق لى . »

اندفعت اختها التوأم تقول في لحن مصاحب ، « أعرف ، انظرى  
فقط الى طاولة الطعام تلك . انها أجمل ما رأيت على الإطلاق .  
ورغم ذلك ومع هذا فأننى اعتقد ان وعاء الشراب ذلك من  
الكريستال . »

سمع الصبي ويل كيلي يهمس وراءه ، « يا الهى ! من المؤكد  
اننى أريد أن أشق ذلك ! »  
سأله الصبي ، « أية واحدة ؟ »

« ليس هناك فرق . فهما تشبهان احداها الاخرى تماما . ولكن  
لا احد لديه الفرصة الا أنت لفصلهما . يا الهى ، انظر الى تلك  
النهود . » ونظر الى الصبي متأملا . قال : « اقول ، ليست هناك  
فتاة هنا تستطيع أن ترفض فرصة الفرجة على البلدة في تلك  
السيارة التى أعددتها . أطلب واحدة منهما لجولة وسوف أكون هناك  
وأطلب الاخرى . فأنا وجيمس هيرمان مالون قد ضربنا موعدا مزدوجا  
في سيارة جده ، وقد اختار وينونا ماكجرو لثلاث رقصات متتالية .  
وهو يظن أنها على استعداد لان تخلع . انك تجعل اثنتين منهما معا

تميلان تقريبا الى فعل هذا بهذه الطريقة ويصبح الامر أسهل عما هو عليه مع فتاة واحدة فقط . »

قال الصبي هازئا ، « انت مجنون . فقد عرفنا وينونا منذ كانت في الصف الثالث وهي لن تفعل شيئا من ذلك . فقد حصلت على دبوس مدرسة الاحد للسنة العاشرة من الكنيسة المعمدانية لمواظبتها التامة على الحضور . واما بشأن التوأمين بيشوب ، فيحسن بك أن تنسى هذا . فقد ربتهم أمهما بشكل صارم الى درجة أنهما لا يقتلعان القطن بدون قفازات . ان عقليهما مهوشان ، لكنني واثق أنهما طاهرتان . أنت مجنون . »

« دعني أنا أحمل هم ذلك . بإمكانهما أن يرتديا قفازات طوال الليل في سبيل ما أريد أن افعله . ومن المؤكد أننا لن نقطلع قطنا . ونحن لا نخطط لشيء يجعل وينونا تتغيب عن مدرسة الاحد بعد غد . ساعدني فقط على فصل التوأمين . »

هز الصبي كتفيه ، « حسنا ، لكنني أراهن أن هذا لن يفيدك ، » قاطعتهما ويلي ماي بيرديو ، « يابورتر الصغير ، هلا ساعدتني من فضلك على توزيع بطاقات الرقصات هذه ؟ أعط واحدة لكل واحد في الشرفة وسوف أقوم أنا بتوزيعها داخل البيت . البطاقات القرنفلية للفتيات والبطاقات الزرقاء للفتيان . فنحن على وشك أن نبدأ . »

أجابها الصبي بشهامة ، « يسرني أن افعل هذا اذا احتفظت لي بالرقصة الثانية . »

كانت البطاقات تحمل على واجهتها باقة زهور وقد طبع على أعلاها « جدد - قدامى » بحروف ذهبية . وفي الداخل ، تحت كلمة حفل الكبيرة ، كان هناك عشرة خطوط مرقمة ، وقد ربط الى البطاقة برباط حريري ذي أهداب ادق قلم رآه الصبي على الإطلاق . وعندما تم توزيع البطاقات كلها ، كتب الصبي اسم جلاديس في الفراغين المعدين للجولتين اللتين تحملان رقم واحد ورقم عشرة واسم ويلي ماي للجولة الثانية ، وهو يكتشف أن ذلك القلم رغم كل مظهره الجذاب كان أصعب أداة كتابة استخدمها على الإطلاق . وعندما اقترب من التوأمين بيشوب الثنارتين . شعر بويل كيلى يلكزه في ضلوعه .

صاح بشكل عفوى ، « ليندائل ، مارايك فى ان تحجزى لى الجولة  
الثالثة ؟ »

اندفعت تقول ، « حسنا ، يا الهى ، اننى اعلن ان ذلك سوف يكون  
مبهجا للغاية . مع من ضربت موعدا مزدوجا ؟ فنحن بحاجة الى ان  
نحجز له اختى ، كما تعلم . »

اعترض قائلا ، « حسنا ، انا لم أضرب موعدا مزدوجا مع احد  
الليلة . فمعى سيارة امى وسائق جدى . وليس هنالك مكان لاكثر  
من اثنين . »

قالت ليندائل ، « اووه ، لا أدري . انا واختى نحب ان نظل  
معا . وقبل ان نغادر البيت بالضبط قالت ماما ، وتذكرا ، يافتاتين ،  
قفا معا متحدتين ، ربما يجدر بى ان انتظر . ورغم ذلك ومع هذا  
فمن المؤكد اننى اود ان اركب فى سيارتك . فقد شاهدتها انا واختى  
ونحن نسير على الرصيف منذ لحظة ، ولكن رغم ذلك ومع هذا ربما  
يجدر بنا ان ننتظر . »

وحين هز الصبى كتفيه وهو يشعر بالراحة ، قاطعهما ويل كيلى  
قائلا ، « انا ضربت موعدا مزدوجا ، يابنات . ومع جيمس هيرمان  
مالون سيارة جده البويك . انا اقول لكما مانفعله . سوف اصطحب  
ريندائل معنا فى الجولة الثالثة ، ثم نخرج انا وجيمس هيرمان فى  
الجولة الرابعة معكما انتما الاثنتين . ويستطيع سامبو ان يخرج  
مع وينونا ماكجرو فى ذلك الوقت . مارايكما فى ذلك ؟ ويستطيع  
جيمس هيرمان ان يصحبنا فى سيارته حول دار القضاء وتستطيعون  
جميعا ان تلوخوا لكل من يسير . ماقولك ، ياريندائل ؟ » اطبق على  
ذراع الصبى بقبضة محكمة .

قالت التوأم الاخرى ، « لقد قالت امى بالفعل لاختى ولى ان نظل  
معا ، ومع هذا ورغم ذلك فلن تكون هذه سوى جولة صغيرة واحدة .  
ولا يمكن ان يكون فى ذلك ضرر ، يا اختى . وعلاوة على ذلك فان  
امى تعرف ام جيمس هيرمان ، وكل فرد فى العائلة يصوت دائما  
لصالح جده . »

اقتنعت ليندائل بسهولة ، وتحرك الصبى لينتهى من ملء الفراغات  
على بطاقته . لم يحسد ويل . فحين تجل الجولة الرابعة سوف يكون  
الظلام حالكا ولن يكون بإمكانك رؤية التوأمين بيشوب وسوف يكون  
بالامكان سماعهما معا على أية حال ، وكان هذا فى رايه اكثر

من أن يحتفل داخل نطساق سسيارة واحدة همهم قائلا :  
« أوه ، حسنا ، استدع دكتور ريدواين ، » وصرف ويل كينى من  
ذهنه .

طلب جلاديس للجولة الاولى ، وانطلقا فى حالة اثاره على طول  
الرصيف وسط حشد من الازواج يثرثر مفعما بالحيوية . كان  
الفتيان الذين لم يكن معهم سيارات يتوجهون مع شريكاتهن باتجاه  
البلدة ، حيث أن الارصفة الوحيدة المرصوفة كانت تلك التى تقسم  
حول دار القضاء وامام المحلات التجارية حول الميدان . كان الاخوان  
براسويل ، اللذان كانا يتمتعان بأفضل تربية فى البلدة ، حريصين  
على السير على الجانب الخارجى من الرصيف وصديقاتهما الى  
الداخل . لوحا بأيديهما للسيدة ماكلين والسيدة جارقيس ، لكن  
كل من عداهما كان يمر بالمراتين وهما تتأرجحان كأن لم يكن لهما  
وجود .

وعندما جذب ويس الباب وساعد الصبى جلاديس على دخول  
السيارة ، لاحظ أن شعرها الرائع الرقيق قد بدأ يتحرر من الخلف  
من العقصات المحكمة التى كان عليها فى أول المساء ، ويشرد مهوشا  
حول طوق رقبة الشبكة القرنفلية المزركش .

قال آمرا ، « الى الصيدلية يابرا دلى » واستدار الى جلاديس  
قائلا دون اهتمام ، « حسنا ، هل استمتعت بملء بطاقة جولائك ؟  
اظن ان بطاقتك امتلأت فى خمس دقائق . فقد رأيت كثيرا من الاولاد  
هناك بالقرب منك . »

« كان ذلك الصف يخطط بميرتل باركر لابي انا . وقد صادفت  
نجاحا لا بأس به ، رغم ذلك . فقد شغلت كل جولائى ماعدا رقم  
ثمانية ورقم تسعة . وانت معك رقم عشرة . هل تريد هذين  
الاخيرين ؟ اذا كنت تريدهما ، فبامكاننا ان نذهب فى جولة طويلة  
بالسيارة . »

صاح الصبى بعفوية ، « كنت اتمنى لو اننى فكرت فى ذلك فقد  
شغلت كل ارقامى ، ولا أستطيع تغييرها الآن . ظننت أنك ستشغلين  
كل ارقامك فى لمح البصر . واعتقد أن الاولاد ظنوا ذلك أيضا ، ولم  
يطلبوا . »

« ربما كان الامر كذلك . فكما تعلم هناك فتيات هنا الليلة اكثر  
بكثير من الاولاد ، ونحن لا يمكننا ان نذهب اليهم لنطلب — وعلينا



ان ننتظر حتى يأتى ولد ليطلبنا . واعتقد ان هناك ثلاث فتيات كن يقفن أثناء هذا التزاحم كله ولم يظليهن أحد لجولة واحدة . «  
شعر الصبى بعدم ارتياح . تلوى قليلا . « يا الهى ، كنت أحب ان تكون كل الجولات العشر معك ، يا جلاديس . فأنت أجمل فتاة هنا . ولكن اذا كان لفتاة أكثر من جولة واحدة متتالية . مع نفس الصبى ، فان الجميع يتكلمون عنها . فهم يظنونها تقبل « واضاف بشكل غامض « او ما هو أسوأ . لوحى بيدك للاخوين براسويل . فهما يلوحان لك . »

فكر فى ان يحاول ضمها مرة اخرى لكنه تشمم يديه خلصة ودفعها بسرعة تحت ساقيه .

قاد ويس السيارة الى الصيدلية وتوقف .  
قال الصبى آمرا ، « يمكنك ان تنفخ البوق ، يا برادلى ، مرة واحدة . »

وعندما ظهر عامل خزان الصودا ، وهو يحك الشعر الابيض الخشن المرقش على فكه الذى لم تكن به أسنان ويشد قبعته المشحمة ، نظر وهو لا يصدق الى السيارة وحملق فى المقعد الخلفى ، وسأله بركة ، « ما الذى تستطيع ان اؤديه لك ؟ »

« كوبيين من الكرز المخفوق ، من فضلك . اذا كان ذلك على مايرام بالنسبة لك . » وجه الجزء الاخير باحترام الى الفتاة . « ان السيد باما هذا يصنع افضل ماتدوقته منه على الإطلاق . »  
قال العامل مؤكدا ، « سوف يأتى حالا » واستدار ليصق سيلا وفيرا من عصير التبغ .

واضاف الصبى ، « مع مصاصات ، اذا لم يكن لديك مانع . »  
وحاول ان يتجاهل هزة الراس البطيئة والرجل يرجع عائدا الى داخل الصيدلية .

عندما عاد حاملا المشروبين الحمرابين المتألقين ، قدم الصبى كوبا للفتاة ، وتناول كوبه ، ووضع على الصينية خمسة عشر سنتا .  
قال السيد باما ، « عشرة سنتات فقط . وقد وضعت هنا خمسة عشر سنتا . »

قال الصبى ، « فكرت ان اترك بقشيشا . »  
« عشرة سنتات فقط - البقشيش ممنوع . خذ سنتاتك الخمسة . »  
وهز الصينية بيد مشحمة حتى راحت القطعة المعدنية تهدد بأن

تسقط متراقصة في حجر الصبي .

« أجل ، ياسيدي . » تعاون الصبي معه . « أشكرك ياسيدي . »  
شعر أنه صغير السن جدا حين استدار الرجسل وهو يهز رأسه  
مرة ثانية .

قالت جلاديس ، « هذا طيب حقا . ماخطب ذلك الرجل ؟ انه  
يتصرف كما لو كان بأذنيه ماء . »

أعلن الصبي ، « سوف أصاب بالدهشة اذا كان قد صادف تلك  
المشكلة على الإطلاق . يحسن بنا أن نفرغ من مشروباتنا ، فقد حان  
وقت دقهم للجرس في الحفل ، ولا نريد أن نتأخر . »

و حين كان قد صحب ويلى ماي ثم ليندا نل الى الصيدلية من  
اجل الكرز المخفوق ، كان كلا من ويس والسيد باما قد اعتادا على  
الروتين ، ورأى الصبي أن الاثنين كانا يؤديان عملهما بسلاسة وكفاءة  
عندما صحب ليندائل بيشوب عائدا الى حفل الاستقبال بعد جولته  
معهما ، راحا يجولان بأبصارهما بحثا عن ريندا بل بيشوب وويل كيلى .  
وسرعان ما اتضح انهما مفقودان .

قال الصبي ، « أوه ، حسنا ، ياليندا نل ، هيا بنا وسوف نتجول  
معامرة ثانية . لا تقلقى ، سوف تظهر . هيا بنا نذهب لتناول كوب  
كرز مخفوق آخر . »

اجابت التوام القلقة ، « أووه ، لا . يحسن بى ان انتظر هنا في  
حالة اذا مارجمت . فمن المفروض أن أذهب في هذه الجولة  
مع ذلك المدعو ويل كيلى . اعرف انهما على مايرام ، ولكن رغم  
ذلك ومع هذا لا حيلة لى في القلق . وعلاوة على ذلك ، فقد كان  
آخر ما قالته امى لها ولى هو ألا نخرج في جولة مرتين متتاليتين  
مع نفس الشخص اذا حدث أن افترقنا . اذهب أنت ، وسوف  
انتظر انا هنا وأقلق . »

و حين شرع الصبي يهبط الدرج ، وهو مذهول من الشعور  
بالارتياح الذى أحدثه غياب ليندا نل ، لمح ثلاث فتيات آتيات على  
الرصيف ، وقد شبكن أذرعهن ورحن يغنين . استقر رايه على انهن  
كن الفتيات اللاتي قالت جلاديس انهن لم يطلبن لجولة واحدة .  
كانت احداهن بدينة ، والاخرى نحيفة بشكل مؤلم ، وكان لواحدة  
منهن حب شباب أزرق . كان ثلاثتهن هادئات محتشمات في المدرسة ،  
يحصلن على تقديرات طيبة ، وكان الجميع يحبونهن ويحترمونهن .

كان ذلك فى المدرسة :

ومن الواضح أن أحدا من الاولاد لم يكن يحبهم أو يحترمهم بالقدر الذى يكفى لان يدعوهم الى حفل استقبال الطلبة القدامى والطلبة الجدد .

خطر للصبي انهن يحسن استغلال وضع سىء . فبدلا من أن يتوارين حول البيت والشرقة ، ويكرهن الوصيفين على معاهدة مهسذبة ، خرجن الى دار القضاء فى مركز البلدة يتجولن معا . كان يبدو عليهن انهن مستمتعات ، على الرغم من أنه كان قد سمع « جدف ، جدف ، جدف قاربك » تنفى بشكل أكثر تناغما .

تكر فى شعوره لو أن كل فتاة رفضت دعوته لها الى التجول ، وخسره احساس هائل بالظلم واللاجدوى . كان بإمكان جيرالدين أن تفقد وزنها ، وبإمكان ميفيس أن تسمن ، وسوف تتخلص فاني كلايد من تلك البثور ، ولكن كان فى هذا عزاء هزيل عن شرائهن لثياب سهرة واهمالهن الآن . تقدم بعزم امام الثلاثى ، وانحنى بعمق انحناء متوددة قدر استطاعته ، وقال ، « هل ترغبين أيتها الانسات الجميلات الثلاث فى أن تضيفين على شرف مشاركتكن صحبتكن فى هذه الجولة ؟ »

قالت ميفيس وهى تجارى فى الحال حيويته ، « لا يمكن أن يكون هذا شخصا شريرا أو وضيعا ولكن لابد أن يكون فارسا مليحا جاء ليخلصنا من سجن حقير . هيا بنا ، يابنات ! »

تكوم أربعتهم فى المقعد الخلفى وهم يضحكون ، وفاني كلايد تنصحه بدلال ، « لا تحاول أن تقبلنا ، فسوف نتحول نحن الثلاثة الى ضفادع . »

انضمت إليها جيرالدين وهى تقول بجفاف ، « تلك هى تعويدتك الخاصة بك ، يا عزيزتى . فلو حدث لى هذا ، فلن أروح أحجل وائق أو أسلب للناس ثنوءات صغيرة . »

كان الصبي يضحك على سجيته الى درجة أنه نسي أن يوجه أوامره الى ويس ، فأخرج ذلك الرجل المحير رأسه من النافذة الامامية وصاح الى المقعد الخلفى ، « هل سنحمل كل هذا الحمل الى الصيدلية ياسامبو ؟ »

ضحكت ميفيس قائلة ، « تستطيع أن تحملنا الى حظيرة الابقار طالما قدت السيارة حول دار القضاء أولا ، فنحن نريد أن تلوح لكل

الناس الذين كنا نسير معهم .»

وعندما توقفوا أمام الصيدلية وطلب الصبي أربعة أكواب من الكرز المخفوق مع مصاصات ، كان أكثر استرخاء عما كان عليه طسوال المساء . وعندما عاد السيد باما بالطلب ، غير مضفته من التبغ ، وجذب قبعته ، وخاطب ويس ، « هاك ، يافتى ، لقد أحضرت لك كوكاكولا . انها على حساب المحل . استمتع بها . ودعنى أخبرك بشيء . لقد كنت فى البحرية التجارية وفى شركة السلع التى تباع بالنسيئة ولم أر فى حياتى شيئاً يفوق ما أنت غارق فى وسطه الليلة . وهذه هى المرة الاولى التى أقلق فيها على الاطلاق من نفاد عصير الكرز . »

جذب قبعته الى أسفل قليلا وراح يهز رأسه على طول طريق عودته الى الصيدلية .

عادت المجموعة متأخرة بضع دقائق فقط لكى يطلب الصبي رفيقة جولته الخامسة . أكد له الالم المبرح الذى كان يتدفق من ليندا نل سيلا من الكلمات ، وهى تحقق من فوق نهديها اثناء هبوطها على الدرج ، وقد أمسكت بتنورتها بيد وبأحد الاخوين براسويل باليد الاخرى ، ان ريندا بل كانت ماتزال مفقودة .

بسمعها تقول وهو يصعد الدرج ، « ورغم ذلك ومع هذا فلا بد ان يعودوا الآن . »

قال ارثشيبالد براسويل ، « أوه ، أنا واثق انهم على مايرام . » والتفت عيناه بعينى الصبي فغمز له بعينه فى تستر اخوى على معرفة لا يفصح عنها .

أعاد رفيقة جولته الخامسة مبكرا عن مواعده بوضع دقائق . كان كل ماجرعه من شراب الكرز والمياه الغازية يتطلب أن يتبول على الفور وقد أحدثت هذه الحاجة الملحة مشكلات لم يكن قد توقعها . فاذا استأذن أثناء توقفهم عند الصيدلية ليستخدم دورة المياه الكريهة فى دار القضاء ، كان عليه أن يترك رفيقته دون صحبة ، ولكنها كانت هى وكل زوجين فى الميدان سيلاحظون حاجته .

وأمر ويس بالعودة الى البيت ، دخل الى البهو الامامى وهو يسير متصلب الساقين ويتنفس بخفة ، فقط لكى يفزعه احتمال استخدام دورة مياه آل ريتولدز . فحتى لو تمكن من اغلاق الباب والتبول فى صمت على جانب المبولة ، فسوف يضطر الى جلب



الشعب قبل أن يغادر . كانت هذه الضجة المميزة سوف تعلن عن وجوده ومهمته لكل من كان بالبيت .

اندفع فيما يشبه الذعر الى الشرفة ، وهو يسير محتقن الوجه على اطراف اصابع قدميه ويجاهد الدافع الى الامساك بنفسه ضماما ضد الضغط الذي لا يقاوم في مثانته . راح يعدو حول الفناء الجانبى ، وهو يحول عينيه عن السائل الذى كان فى وعاء الشراب السكر ، وغطس أسفل اغصان شجرة الماجنوليا المنخفضة فى ظل كثيف يخفيه عن العيون .

تحسس فتحة سرواله بارتباك حتى فتحها ، بدفقة واحدة فقط ومؤلة داخل سرواله ، وأراح نفسه بقوة شديدة الى درجة انه شعر برأسه خفيفة وراحت اوراق الماجنوليا الدابة تققع كما لو كانت عاصفة من البرد قد ضربتها .

سار الهوينى بلا مبالاة عائدا عبر المرح وصعد الى الشرفة ، ليجد نفسه وسط فوضى الاستراحة وهذرها . بحث عن جلاديس ، وهو يطمئن نفسه الى انه فى هذا الضوء المعتم لم تكن بقعة مبتلة صغيرة على سروال داكن واضحة للعيون . سألها براحة تنبعث من بطن تحررت ، « هل آتيك بقدر من الشراب ؟ » وبينما كانا يقفان وقد امسكا بطبقيهما الورقيين ومناديل المائدة الورقية الخفيفة للامساك بالفطائر الصغيرة التى نقش على اعلاها « جدد - قدامى » بزواق قرنفلى ، سمع صرخة خلفه .

« اختى ! هل انت على مايرام ؟ لقد كنت فى حالة ذعر ! »  
« آوه ، يا اختى ! انا بالطبع على مايرام . لم نستطع ان ندير محرك تلك السيارة البويك العتيقة ، ومع هذا ورغم ذلك فقد جعلت ولدين ينتظرانى للخروج معهما فى جولتين . ساعدننى حتى أجدهما واعتذر لهما . » هكذا أعلنت ريندا بل السخية .

وما ان تمكن من ان يترك جلاديس حتى دنا الصبى من مجموعة الذكور الذين كانوا يقفون عند نهاية الشرفة . بحث عن ويل كيلي ، ولكزه بمرفقه ، « حسنا ؟ »

وحين تراجع الصبى ، جثمانيا وعقليا ، تكلم وارين ليتلجون ، « حسنا ، انا اقول لكما ، كلاكما يارفاق اقتربا أكثر بكثير مما فعل مو - كاو هذا . ينبغى علينا ان نكلمه عن الوسيلة . فلست ابن أبى ان لم يكن قد دفع رفيقته فى الجولة الاخيرة الى الهرب ، كنا نسير

حول ميدان دار القضاء ، وكان يصطحب ميتريس ويتماير ، وانتم جميعا تعلمون أنه ليست هناك فتاة الطف وأحلى من ميتريس فى كل الفصل ، وكانت هى ورفيقتى تتكلمان عن الملابس والأشياء التى تتكلم عنها الفتيات ولم يكن مو - كاو حتى ممسكا بيدها وعلى حين غرة ومن حيث لا يحتسب قال بصوت عال يمكن أن يسمعه كل واحد ، « ميتريس ، هل تريدن ممارسة الجنس ؟ » لم تقل ميتريس المسكينة كلمة . تصرفت كما لو كانت لم تسمعه ، وحين انعطفنا حول الركن ، ظلت تسير الى الامام مباشرة وعادت الى الحفل وحدها . وكانت تبكى . ولم يكن لدى مو - كاو من الادراك اكثر مما يجعله يقف هناك ويصيح ، « ماذا دهالك ، ياميتريس ؟ ماذا حدث . حتى يجعلك تبكين ؟ » .

قال ويل كيلى معاتبا ، « ياموكاو ، ان ذلك أسوأ ما سمعت على الإطلاق . » وصمت . « حسنا ، فى المرتبة الثانية بعد أسوأ ما سمعت ، » قال معدلا قوله الاول . « ذلك كفىل بأن يصيب أبة فتاة بالتجمد فى مسارها . كل ماتحتاج الى فعله هو أن تغلق فمك فقط . ابدأ بالتدريج . أمسك باليدين ، ثم عاتق ، ثم قبل قليلا ، ثم حاول ان ترى الى أى حد سوف تسمح لك بتحسسها ، ولكن أياك مطلقا ، مطلقا ، مطلقا ان تذكر ذلك لفتاة . تحدث عن شيء آخر وتصرف كأنك لا تدري ماتفعله يداك . فلن تصل الى مرادك وانت تتكلم بهذا الشكل . »

قال موكاو ، « آو ، انكم تصيبوننى بالغثيان . اننى اصبل الى ما يصل اليه أى واحد فيكم جميعا ، ومازالت لدى كرزة براءتى . » ثم اختفى الصبى فى اتجاه آخر . عشر على جلاديس وقضى بقية فترة الاستراحة معها فى حديث متكلف عن أشياء تافهة . وعلى الرغم من أنه كان واثقا أنه كان مايزال يحبها ، إلا أنه حاول ألا ينظر الى شعرها الذى كان قد فقد كل عقصانه وكان يتدلى فى لفيفات مقلقلة على أهداب ياقتها الشبكية القرنفلية . حاول أيضا ألا يفكر فى المحادثة المروعة التى كان يصغى اليها لتوه . وكان يأمل أن يفسر الله له لاهتمامه بأن يصغى ولكنه أحجم عن مواجهته مباشرة بضراعة . حمل الى ويس بعض الفطائر والمشروب وحرص على أن يعيد القدح الى المطبخ حيث أن الجميع كانوا يعلمون أن الملونين ، مهما كانت درجة نظافتهم ، كانوا يحملون أمراضا رهيبة وأنه لا يجب أن يشرب أحد بعدهم

ابدا . شعر أنه كان فاضلا بشكل استثنائي .  
كان التجول بعد فترة الاستراحة هبوطا مفاجئا . كان يرافق  
الفتيات الى السيارة تأدية للواجب ، ويوجه برادلى الى الصيدلية  
بكل مايمكنه من تعاضم ، ويطلب « اكواب الكرز المخفوق من عامل  
خزان الصودا الذى أصابه الآن الانهاك . كانت جدة المفامرة الجديدة  
قد ولت ، على أية حال ، وحوالى الساعة العاشرة كان فى انتظار  
نهاية اللهو بسرور .

وحين باشر جولته الثامنة ، رأى محبوبته جلاديس تقف وحيدة  
بجوار وعاء المشروب ، وهى تثرثر بفتور مع واحد من الوصيفين ،  
ولوح لها بيده بمزيج من الاحساس بالذنب والارتباك . وعندما خرج  
فى جولته التاسعة كانت قد اختفت عن الانظار ، وخمن باستحسان  
انها من الممكن أن تكون قد انضمت الى الثلاثى الذى لم يدع الى جولات  
وخرجت معهم فى نزهة على الاقدام . وحين عاد من أجل الجولة  
العاشرة والاخيرة فى تلك الامسية ، على أية حال ، لم يكن بالامكان  
العثور عليها فى أى مكان . أثبتت التساؤلات الحريصة عدم جدواها،  
وأخيرا وجد نفسه مدفوعا مرة أخرى الى أن ينشد مخبا شمسجرة  
الماجنوليا فى الفناء الخلفى . لم يسمع خشخشة أوراق الماجنوليا  
الجافة ، وهو يطلق رشاشه بكل القوة التى استطاع أن يستجمعها .  
وبدلا من ذلك صرخ صوت ذكر ، « ماذا بحق الجحيم ! »

أفزع هذا الى درجة أنه دار على عقبيه وكاد يبلل نفسه مسرة  
أخرى حين رفع عجيزته الى الخلف ، وهو يحاول يائسا أن يسد  
انسياب البول . اظهرت له نظرة فاحصة داخل الظلال بشكل لا يقبل  
الخطأ يد ذكر تنسحب من أسفل ثوب قرنفلى شبكى . رد الصبي  
على الصرخة بمثلها ، وقد استبد به عدم التصديق والفضب ، « ماذا  
بحق الجحيم أنت ! » .

نهض مو - كاو واقفا وبنبرات جريئة قال موجها اتهاما ، « لقد  
بلت على مباشرة ، اللعنة ! » .  
أجابه الصبي المروع .

« أنا مسرور لاننى فعلت ذلك ، وآسف ان ذلك هو كل ماكان على  
أن أفعله . ويحسن بك ان تعود الى البيت . »  
وحين اختفى مو - كاو مولينز حول الركن ، وهو مدرك لموقفه  
الذى لا يمكن الدفاع عنه ، مد الصبي يده الى جلاديس التى كانت

الآن جالسة ، « هيا . سوف أصحبك الى البيت الان قبل ان ينتهى  
الحفل وبهذا لا تكونى مضطرة الى رؤية احد . »

انتحبت الفتاة بصوت مجروح وهو يقودها عبر الفناء الجانبى الى  
سيارته ، « ان مقدمة ثوبى مبتلة كلها . »

قال الصبى والسائق الذى وصل الان الى حد الكمال يمسك بالباب  
مفتوحا ، « أخبرى أمك انك سكبت الشراب عليه . »

قال الصبى باعتزاز ، « الى بيت رئيس عمال المقاطعة ، يابرا دلى »  
وأضاف قائلا بعد لحظة ، « وبأقصى سرعة » . ثم استقر صامتا فى  
مقعده .

وحين اصطحب جلاديس الخجلة الى أعلى الممر ، استندارت  
عند عتبة البيت ، « أنا آسفة لما حدث . وارجو ألا تكون غاضبا منى  
جدا . »

تشبث بالكلمة بشعور بالارتياح ، وهو يمسك بها كأنها صديق  
مالوف . واستغلها فى الحال لصالحه .

قال : « غاضب ؟ غاضب ؟ » وعدل نبرة صوته الى نبرة متفطرسة  
جريحة ، « لست غاضبا ، أنا متالم فقط ! »

استدار على عقبه ودخل الى حوصلة المقعد الخلفى التى كانت  
بانتظاره .

وقبل ان يصل الى حدود المدينة ، كان قد فك كل دبابيس الرسم ،  
وطوى منشقة الحمام ، وزحف الى المقعد الامامى . قال متفاخرا ،  
« لقد أدبت عملا عظيما ، ياويس . ولكن أوقف السيارة فى البقعة  
المسطحة هناك قبل ان اغرق نفسى بولا . »

« أعرف ماتعنيه . أنا على وشك أن انفجر ، وأنا لم أدانيك فى  
الشراب مثلما فعلت انت . »

وحين وقفا ظهرا لظهر على حافة الحفرة الجانبية ، تكلم ويس من  
فوق كتفه ، « ماهو شراب الكرز المخفسوق على أية حسال ،  
يا سامبو ؟ »

شرح الصبى فجأة فى الضحك . عادا الى ركوب السيارة وواصلوا  
الرحلة على طول الطريق الترابى .

« سوف يكلفك اكتشاف ذلك خمسة سنتات ، أثناء حياتك .  
واذا لم أكن أعرفك جيدا بحيث أعرف أنك ستأخذنى بالعقد الذى  
بيننا ، لجعلتك ترد الى دولاراتى الثلاث . فقد كنت تصرف طيلة



الوقت أن السيد بوتر كان يحتفظ لك بتلك الدولارات الخمسة  
وقد كسبت الليلة أكثر مما كسبت في أسبوع كامل من الحرث للسيد  
ويتاكر . أنت وغد ماكر لثيم ، هكذا أنت . «  
نظر الى ويس وانطلق في الضحك .  
ابتسم ويس ابتسامة عريضة . قال ، « أجل ، من المؤكد أنني كنت  
أعرف ، وقد تناولت فطائر ومشروباً وكوكاكولا . وعلاوة على هذا  
دخنت مرتين ولم يكن ذلك حتى في فترة الاستراحة . وقد تعلمت  
أشياء كثيرة الليلة ، ياسامبو . «  
طوح برأسه الى الخلف وشارك في المرح . وبعد ميل هذا في صمت  
أنيس . وحين صعدا الى قمة التل الذي يدغدغ البطن بجوار كنيسة  
القداسة ، جذب الصبي نفساً طويلاً مرتعداً .  
قال بنبر مشدوهة ، « وقد تعلمت أشياء كثيرة الليلة ، أنا أيضاً .  
وأظن أنني أعلم الكثير بالنسبة لفتى في الرابعة عشرة من عمره .  
وأحياناً يخيّل الى أنني أعرف أكثر مما أريد . وقد أخبرك به  
يوماً ما . «

انغمس الصبي في ذلك الصيف في حياة المزرعة ولم يبدل أية محاولة على الإطلاق لرؤية أصدقائه القدامى الذين كانوا يعيشون في البلدة . فقد اكتشف من جديد أن ستة أميال من الطريق الترابي كانت تصنع حاجزا فعلا ضد الاتصال الاجتماعي ، وشعر بأنه منفصل بحكم الاختلافات في القيم والاهتمامات . عانق الوحدة وشعر بارتياح وأمان في عزلة .

وكان يتساءل من آن لآخر ما إذا كانت جلاديس قد واعدت مو-كاو على الإطلاق أو إذا كان ويل ويندا بل أحبة ، لكن هذه الأفكار كانت تثير ذكريات مؤلمة إلى حد أنه كان يتجنبها . وفي الحقيقة ، كان الجزء الوحيد من حفل استقبال الطلبة الجدد والطلبة القدامى الذي كان يستعيده بسرور هو تلك الجولة التي قام بها مع فاني كسلايد وميفيس وجيرالدين ، بعد أن جعلته وينونا ينتظر . كان يفكر في أولئك الفتيات الثلاث كثيرا وقرر أنهن كن من طبيعة واحدة في عديد من الوجوه . وكان يتذكرهن بعزن وغضب وحب ، ويتخيل نفسه يقوم بحلول خيالية لمشكلاتهن .

كان « دستور اتلانتا » حافلا بقصص عن روزفلت . وعن شخص ما الماني اسمه هتلر . كان الجدد يتمتم بشكل غامض عن كل من هذين الرجلين ، ويتنبأ أن الشمالي صاحب الكرش الأزرق والذي يعاني من شلل الأطفال سوف يخرب البلد وأن ذلك المبال الصغير صاحب الشارب كان يتجه نحو حرب أخرى . كان الصبي يقلب هذه القصص لبحث عن القصص المضحكة .

وقد سمحت له أخته الكبرى ، حين عادت إلى البيت من الكلية أن يقرأ « توني المناوىء » ، وهو كتاب وجدته جنسيا بدرجة مروعة . وجد صعوبة في فهم كيف أمكن لفتاة لطيفة مثل أخته أن تقر علانية أنها كانت حتى قد قرأت مثل هذا الكتاب ، ناهيك عن التباهي به كأدب تسلية . وأخيرا أكد لنفسه أنها ربما لم تفهمه كله وأن مشهد ممارسة العادة الجنسية كان أعلى من مستوى أدراكها . ولم يخطر

له مطلقا ان يناقشه معها .

كانت الشقيقتان الصغيرتان تكبران نوعا ما . وكان التعجيل باحداث جليلة بينهما يتطلب مجهودا اكبر من جانبه ، لكن كان الامر مايزال من الممكن احداثه حينما يصبح عصر يوم مطير مملا بالنسبة له . كان يقوم باقتلاع العشب طواعية من جاشية زهور جدته فى عصر ايام الاحاد ، يدفعه الحب لا الاضطرار الى فعل هذا كعقاب . وكان مايزال يستمتع بأوقات الصباح الباكر مع امه ، وهو يجد ان من الاسهل عليه ان يسترخى مع اعلانها المنطوق عن حبها ومع محاولاتها المقنعة بشكل واه نحو توجيهه عندما كان يتأكد تماما انه لم يكن هناك شهود . كانت بقرة أخرى قد اشتد عودها ، وكانت عجلة أعطيت له عندما كانت عجلة صغيرة . وقد وصل هذا بعدد الابقار التى كان يقوم بحلبها الى ثلاث واحدث هذا فائضا من الحليب والزبد فى خزانة طعام العائلة . وحصلت الخنازير على الكثير من اللبن المخضوض فى ذلك الصيف ، لكن امه كانت تبيع الزبد الاضافى وتعطى النقود للصبي .

كان يرى اياه فى اغلب الاحيان فى ايام الاحد فقط لكنه ظل محافظا على التراسل معه بشكل متقطع عن المحاصيل والمهمات المتغيرة التى كانت توكل اليه فى المزرعة . وقد سرب فى تبغ الامير البرت الخاص بفريمان سحلية حقل مخططة ، وعندما دفع ذلك الرجل باصبعه فى عمق العلبة ليفكك التبغ وليعد سيجارة ، تفضلت السحلية بالجري اعلى رسفه وذراعه لتختفى فى الفجوة التى تقع بين الكتفين السوداوين وراح فريمان يحاول باهتياج ، وهو يخور بدعرا لا يمكن التحكم فيه ، ان يخلع ملابسه وهو يدور ويدور ويضرب ظهره ، والصبي وابناء دارتل يضحكون بصخب .

كان الصبي يتهج بخوف كل واحد فى المزرعة من الثعابين ويكبت تقززه هو منها بالقدر الذى يكفى لان يأسر واحدا منها من آن لآخر بعضا تسطح رأسه - كان يمسك بالزاحف المتلوى من خلف فكيه بقبضة محكمة ، ويجد ان مما يبعث على السرور ان يمشى بخطوات واسعة خلال اقنية بيوت المستأجرين وان يجعل . كل واحد ، بفض النظر عن عمره او جنسه ، يعدو هاربا الى الامان الذى يجسده فى الشرفات المرتفعة . وقد كان هذا تعويضا ، الى حد ما ، عن قلة خبرته فى مباريات البيسبول التى كانت تقام فى مسرعى الابقار ،

ويضاغف من مكانته بين أصدقائه الزوج . كانت التعليقات التي يسمعها تراوح ما بين « أنه مجنون » الى « أن الشيطان يسكنه » الى « أنه لا يخاف من شيء » وكان يستمتع بها جميعا .

وفي عصر أحد الايام خلال موسم الراحة ، بينما كان الصبي ممددا أسفل النافذة التي تطل على الشرفة الامامية ، استرق السمع الى حديث بين خالاته اللاتي كن في زيارة لهم . كان ثلاثتهن اخوات امه وقد جئن من بلدات مختلفة في شمال جورجيا لقضاء اسبوع في الريف مع فيرا . وفي حين كن يجلسن محشورات في مقاعد على الشرفة وقد غطين بدانتهم بالمساحيق ، كن يتارجحن ويهوين على انفسهن . وبحب متساهل ، راح الصبي يصفى نصف اصغاء ، وهن يجتررن النميمة العائلية والاخبار اللاتي كن قد هضمنها في اوائل الاسبوع . وفجأة سمع الاخت الكبرى ، التي كان زوجها قد هجرها منذ عشر سنوات الى امرأة اخرى ، تقول ، « يالفيرا المسكينة ! سمعت أن سيارته وصلت قبل الثالثة صباحا بقليل . » وواصل المقعد صريره وأرجحته .

اجابت الاخت الصغرى ، التي كانت تعيش في ذلك الوقت مع زوجها الثالث في شقة من حجرة واحدة ، « أعلم ، وكنت اظن انه لن يتمكن من الوصول الى الطابق العلوي . ولا بد انه ارتد عن حاجز الدرج ثلاث مرات . يالفيرا المسكينة . »

واستمر حفيف مراوح البيت الجنائزي بين صرير المقاعد وأرجحتها اضافت الاخت الصغرى ، التي كانت ماتزال قادرة على البكاء في أية لحظة لان والد ابناؤها السبعة قد هجرها ثلاث مرات من ثلاث سنوات مضت « عندما ركبت الحافلة منذ ايام ، كان لدى واحدة من أولئك النساء العجزة على أن تأتي الى أعلى الرصيف وتحدث الى بالفعل . يالفيرا المسكينة . »

كانت الولاءات المتضاربة تغلى في غضب معاصر ، فنهض الصبي ودفع جذعه النحيل خلال النافذة المفتوحة . وقال بصوت حازم ، ونظارته الصغيرة ذات الاطار الذهبي ملتوية على وجهه ، « انهسا الوحيدة من بينكن أيتها الاخوات التي ماتزال تعيش مع نفس الرجل الذي بدأت معه . ولعلها تعرف شيئا لاتعرفنه أنتن جميعا . ويدو لي كما لو كان يحسن بكن أن تفضضن نادي « فيرا المسكينة » ، هذا وان تقضين وقتكن تشعرون بالاسى لاحداكن الاخرى . »



وحين تراجع الى وحدة مخزن التبغ ، تعجب لبجائته وعدم احترامه وفكر في متعة تلطيف الالم في نفسه عن طريق انزال الالم بالآخرين .

كان الصيف في مجمله صيفا غير حافل ، وعندما وصل الى نهايته دخل بلهفة مبني المدرسة ليبدأ سنة التخرج . كانت كل آثار عدم الثقة في السنين السابقة قد تبخرت . كان التسسية والثلاثون طالبا في الصف الحادي عشر معروفين بالنسبة له مثل أشقاء ، وكانوا يؤلفون الصف النهائي . كان من الواضح ان تلك المجموعة تدير المدرسة . كان المرء يستطيع ان يدرك هذا من خلال الطريقة التي كانوا يسرون بها في البهو ، ضاحكين واثقين من انفسهم ولما كانوا سعداء بانهم قد توصلوا الى هذه الذروة في مسيرة الحياة فقد كانوا غافلين بشكل لطيف عن طلبة الصفوف الادنى الذين كانوا يتعدون عن طريقهم باحترام . كان طلبة الصف النهائي هم صفوة المجتمع المدرسي ، وزبدته ، وارشقراطيته . كان هذا عامهم .

وكان الصبي في وسطهم تماما . وقد نجح في ان يقنع نفسه انه كان شابا ناضجا ، وهو ينتظر عيد ميلاده الخامس عشر في نهاية الشهر ، ويزن تسعين رطلا ويبلغ طوله ثمان وخمسين بوصة بحكم الثلثة التي كان قد اقتطعها على باب المطبخ . لم يكن النمو الجسماني والوسامة بالثاكد في أهمية القدرة العقلية والحنكة الاجتماعية . بل انه من هذه القمة انضم الى نادي فداء شجرة الارز بقدر معين من الثقة .

كان ينصت وهو يتسلى بتساهل حين كان طلبة الصف قبل النهائي يتمتعون طلبة الصف الاول وطلبة الصف الثاني بأوصاف جنسية تصويرية ، وهم ينشرون نفس الخرافات التي ورثوها الى الابد . كان يتظاهر بلا مبالاة بالوابل المتكرر من الكلمات البديئة التي يتكلفها بعض الاولاد الخشنين .

كان قد رتب بسهولة خمس مواد هذا العام بأن حدد دراسة الزراعة المهنية . كان هذا مقورا جديدا تماما يقوم بتدريسه المدير الجديد تماما . كان الرجل الجديد مختلفا عن السيد جيل الى ابعد حد . كان أشقر الشعر ، وله فك بارز وحاجبان بيضتهما الشمس ، وكان نابضا بالحوية مثل فولاذ زبركي . ومنذ اليوم المدرسي الاول تماما ، سادت حالة إثارة في وسط مجموعة الطلبة والادارة لم تكن موجودة

من قبل ، شعور بالهدف والالتزام ، يكاد يكون احساسا كهربائيا بالاتجاه . كان بإمكان هذا الرجل ان يجعل اقل طالب يشعر بأهميته وأن يشير في اشد مدرسي احساسا باللامبالاة اهتماما بالتفوق . وامام اصراره العاتى ان ينال كل طالب تعليما الى اقصى مدة لقدرته ، تحول التكاسل الى دأب واللامبالاة الى بهجة وامل .

ومنذ البداية ، اعطى الصبى المدير انطبعا بقدرته الاكاديمية وفي المقابل افهم ذلك الرجل الصبى ان ايا من نزواته او مناوراته لم تكن تمر دون ان تلاحظ وانه لم يكن ينسب البراءة آليا الى صبى لمجرد انه كان ضئيل الحجم ، ويضع نظارات مستديرة ، وله وجه شبيه بالأس ، وعينان واسعتان متوسلتان . كان الصبى يراه من احكم واطيب الاشخاص الذين عرفهم على الاطلاق وكان على استعداد ان يعمل حتى يصيبه الابهاء من أجل خاطره .

كان مجيء المدير كفيلا بأن يجعل السنة الاخيرة للصبى الطف سنة ، ولكن كان هناك أيضا مدرسان اثرا في حياته خلال سنته النهائية الخرافية . وقد واجه الاثنان تحدى المدير بالتفوق بسهولة أظهرت كياستهما . كان أحدهما الأنسة بيري ، خريجة حديثة من بيسي تيفت . وهى ذات الكلية التى كانت الاخت الكبرى مقيدة فيها . ومن النشرة السنوية الخاصة بأخته . كان الصبى قد تعلم شعار الكلية : « حتى تكون بناتنا أحجار الزاوية » ، مصقولات على غرار شسبه قصر . « وقد أضفى هذا الإدراك هالة غريبة مهذبة حول الأنسة بيري فى نفس اللحظة التى التقى فيها بها .

كان لها أنف معقد الى درجة أنه كان يبدو منحوتا مكسوا بصفائح . كانت أرنبتة رقيقة نحيلة مثل بسكويتة هشة أشبه بعظمة صدر مصفور . وكان حاجز الأنف عند نهايته مقوسا للغاية يجتذب معه شفتها العليا لتبدو قصيرة نوعا ما . وكانت فتحتا الأنف مقوستين الى أعلى وبعمق ، تضيفان على العضو كله مظهرا مضغوطا ، ارستقراطيا . كان الصبى يرى أنها كانت تجعليل بازيل رائبون فى « قصة مدينتين » يبدو أشبه بعامل محراث .

كانت الجبهة عريضة ، تبرز الى الامام أسفل شعرها الاشقر الرائع بما يكفى لان يدل على ذكاء مبهج . وكانت العينان زرقاوين ، ونظرتها هادئة ، توحى بأن وعيها بذاتها وثقتها بنفسها كانا متناغمين بشكل هادئ . كانت تلك العينان تستطيعان ان تلمعا اعترافا بطالب ثم تشدقا بضحكة قبل ان تتحرك الشفتان والصوت .

لم تكن مكتسبة أبدا ، غاضبة أبدا ، وكانت حصصها واحات من البهجة . كان النظام حادقا ، حيث أنها كانت قادرة على ان تحقق من طريق رفع حاجب أكثر مما تستطيعه معظم النساء انجازه من خلال الصراخ والتوبيخ . كان سوء السلوك في حجرة الأنسة بيرى غريبا الى حد أن أشد الطلبة فجاجة كان يتجنبه . كانت تدرس اللغة الانجليزية بابتهاج ، وكانت يئسها . هنا كانت تتالق وتلمع . كانت تجعل من القواعد والانشاء أشياء مثيرة ، وتتناول الادب بحسوية ونشاط الى درجة أن أشد الطلبة لا مبالاة كانوا يجتذبون الى داخل بؤرة حماسها . وكانت الأنسة بيرى تقوم بتدريس اللغة الفرنسية بشعور بالواجب فقط ، ولما لم يكن أحد يستطيع ان يتخرج دون ان ينجح فيهما ، كان الطلبة يدرسونها بشعور بالواجب ولكنهم يعتبرونه واجبا مرهقا ، وهو موقف نقلوه فيما بعد الى مقاطعها بأسرها .

وسرعان ما أدرك الصبي أنه كان يقع مرة أخرى في الحب بشكل يتهدد التحكم فيه . استعاد ذكرى ماريشيا مارسيتجيل وجلاديس ووكر والأنسة دتكان وأكد لنفسه أنه كان هذه المرة يخضع لعاطفة أبل وأكثر نضجا بكثير من أي حب خبره فيما قبل . تقبل باستسلام مبتهج وباحساس بالامان معرفته أنه كان حبا يائسا . أقسم ان يقدم لها موضوعات مكتملة ، وان يستظهر القصائد الشعرية ، بل حتى من الافعال الفرنسية الشاذة بنيات غير معلنة عن اخلاصه . كان استحسانها له بأية طريقة مكافأة سامية . ابتسم بلطف حين أقر واحد من أكثر أعضاء قبيلة ويتمور وضاعة ، « لقد أخبرت أمي ان الأنسة بيرى هي أفضل مدرس للغة الانجليزية رأيتها في حياتي . فبأنك اذا لم تفعل شيئا سوى الجلوس في حصتها ، فإنها سوف تعذبك شيئا . »

كان السيد دورسي هو المدرس الآخر الذي كان لذكائه وقدرته اثر دائم على الصبي . كان عمره تسعة عشر عندما وقع عقد التدريس في مدرسة بروتنتون وأرسله بالبريد ، لكنه كان يتمتع بثقة في الذات لرجل في ضعف عمره . ومنه بدأ الصبي يتعلم لأول مرة فكرة أن بلدته كانت متميزة وليست مجرد نسخة أخرى من كل البلدات عبر أمريكا .

وقد قص السيد دورسي بمرح قصة وصوله الى بروتنتون في قطار

المساء لاستلام اول وظيفة له . كان قد افترض ان الحشد من المواطنين المحليين الذين كانوا متجمعين على طول خط السكة الحديدية كانوا لجنة ترحيب بالمدرسين الجدد في البلدة . وقد تعلم فيما بعد ، وهو يضحك من نفسه ، ان هذه الهجرة اليومية الى مخزن القطارات كانت شعيرة اجتماعية تاتي في المرتبة الثانية فقط بعد الذهاب الى الكنيسة في صباح الاحد . ومنذ ذلك اليوم كانت هناك قصة غرامية متبادلة بين السيد دورسي والمجتمع . كان كلاهما يجد متعة في اكتشاف السمات الشخصية لاحدهما الاخر ، وكل منهما ينمي طيلة الوقت ولاء لا يتزعزع واعجابا لا يحتمل اى تقييم دنىء او حقير للآخر . كان بإمكان الرجل أن يفعل أى شيء . كان كل ما حوله سريعا - حركاته كلامه ، ادراكه ، وفوق كل شيء ذكاؤه . وكان يتمتع بعدم احترام وقح لما كان الناس يفترضون أنه قدرهم . وكانت عيناه الخضراوان المائلتان تتألقان بخبث وهو يهتف بفزع ساخر ، « هل تظن حقا أنك لا تستطيع أن تفعل ذلك ؟ حسنا ، مع موقفك هذا ، اعتقد أنك لن تستطيع . وهذا مؤسف ، أيضا - فقد كان بإمكانك أن تكون جيدا فيه . »

كان يلهم عددا أكبر من صبية المزارع أن يصلوا الى تحقيق انجازات أكثر من أى واحد قبله أو بعده . وكان ينبه الاعتزاز بالذات مما دفع بالاكثاف المتهدلة الى الخلف ورفع الرؤوس المتدلية . وكسأت طاقته غير المحدودة واستمناعه بكل ما كان يفعله معديا بقدر ما كانت ضحكته . كانت حصته في التاريخ الامريكى أكثر الحصص شعبية . كان يعرض الآباء المؤسسين كأنهم أصدقاء شخصسيون والدستور كأنه وثيقة حية ، أو المستودع المبجل لكل ما هو رائع ونبيل في الحضارة الغربية .

أعلن السيد دورسي ذات يوم ، « ان ما نحتاجه هو انتخاب حقيقى فى الصف . انتم يا شباب تتعاملون مع انصار الاصلاح وانصار المحافظة على انهم شيء ميت وجاف . انهم لم يكونوا كذلك فقد كانوا يؤثرون فى حياة الناهخين . وانتم ياطلبة السنة النهائية بحاجة الى تكوين حزبين سياسيين وترشيح مرشحين لهم برامج حقيقية تؤيدونها وسوف التقى بالمدير والآنسة بيرى بهذا الخصوص . ان معظم انتخابات الفصول المدرسية ليست سوى مباراة فى الشعبية ، لكنها يجب ان تقوم على اساس ما يستطيع المرشح ان يسهم به لا على اساس



كم تحبونه . »

رفع الصبي يده ، وهو يخفى اثارته الفورية . « هل تعنى اننا يجب ان يكون لنا حملة سياسية ؟ » .

تدفقت افكار دورسى ، « من المؤكد اننى اعنى هذا . حسدوا تاريخ الانتخاب ، رشحوا قوائم المسئولين ، اعتقدوا مناظرات وألقوا خطبا حول قضايا ، وأثروا اهتماما حقيقيا بالسياسة والعملية الديمقراطية . »

أرعى الصبي عينيه ليخفى الاثارة التى كانت تبدو فيهما . وتجاسر فقال : « ان هذا يبدو كما لو كان يتضمن عملا كثيرا ، أعنى اذا عمل بالطريقة الصحيحة . ويبدو أنه ينبغي منح نقط اضافية خارج المنهج الدراسى لكل مسئولية . »

« اوه ! أنا متفق معك ! سوف اتكلم مع المدير بهذا الشأن ، أيضا . ابق بعد الحصة بضع دقائق ودعنا نتحدث فى هذا . »

« والآن ، اذن » بدأ بعد قليل ، « ما الذى يهمك فى هذا ؟ اننى اقدر رأيك وأريد أن أتعلم ما تفكر فيه . »

قال الصبي ، « اعتقد أنها فكرة جيدة ، واعتقد أنك على حق فى اثارة الاهتمام بميكانيكيات الديمقراطية ، واعتقد أن هناك قضية جاهزة يستطيع شخص ما أن يتبناها وأن ينتخب . » نظر فى العينين الخضراوين النفاذتين والمرأة الاولى منذ سنوات أسلم نفسه لصراحة كاملة . واندفع يقول بعفوية ، « وعلاوة على ذلك ، فأننى أود أن أكون رئيس الصف . فانا لم أنتخب قط لاي شيء . والشئ الاساسى ، رغم هذا ، ياسيد دورسى ، هو اننى أريد أن أخرج بامتياز ، وأنا محتاج الى كل النقط الاضافية التى أستطيع الحصول عليها . هل تظن أن هذا انانية مبالغ فيها أو غرور ؟ » ارتجف قليلا كما لو كان عريانا . شعر بهذا .

تألقت العينان الخضراوان لكنهما لم تسخرا . « اوه ، كلا . أظن أن ما أنت مبتلى به هو الطموح ، واعتقد أن هذا رائع . وما كانت هذه البلد لتبقى على قيد الحياة بدونه . ما القضية التى كنت تقول أنك سترشح نفسك لها ؟ »

ومدعما باستحسانه ، شد الصبي قامته وشرع يتكلم بصوت مرتجف ، « حسنا ، الأمر هو أن هناك مجرد حفنة من أبناء البلدة بالمقارنة الى عدد الصبية الذين يجيئون من الريف ، ومع ذلك فإن

أبناء البلدة قد أداروا الأشياء دائما بالطريقة التي يريدون . والامر السيء للغاية في هذا هو أنهم يتصرفون كما لو كانوا أفضل من أى واحد آخر وأن حقهم المقدس أن يترأسوا كل شيء فى الصف . وهم يعطون الانطباع أنه اذا كان شخص ما من الريف ، فإنه مجرد شخص جاهل لا يستحق الالتفات اليه . وبعض أولاد البلدة يتسمون بالصلف تماما ، وخاصة تجاه الفتيات الريفيات . «

وبدون حذر ، أخبر السيد دورسى حتى عن الخط من قدر وينونا ماكجرو على يدى جيمس هيرمان فى العام السابق . واخيرا قال ، « ولذا ، الا ترى ، هناك على الاكثر لا اكثر من اربعة عشر صوتا يمكن لبطاقة المدينة ان تحصل عليها ، ولو أن شخصا ما وجد كل أبناء الريف معا فهناك كتلة متماسكة من خمسة وعشرين صوتا هناك . وأنا اعتقد أن بإمكانى أن افعل ذلك . «

« أوه ، وأنا أيضا اعتقد ذلك . لكننى أرى ابن يمكن أن تكون هذه حملة ممزقة . سوف اتحدث مع المدير بهذا الشأن . لقد كنت أمينا معى ، وفيما بيننا ، وساكون نفس الشيء معك . « وصمت . « على الرغم من أننى بالتأكيد لن اكون فى وضع يسمح لى بالانحياز الى جانب الا أننى اعتقد أن هذا يجب عمله . أتمنى لك حظا وفيرا . «

مد يده وصافحه . كان الصبى مبتهجا الى درجة أنه سار الى البيت دون أدنى احساس بالظلم لان السيارة فاتته . فقد أخبر السيد دورسى بما كان يشعر به بالضبط وماذا كانت دوافعه بالضبط بدون أن يحاول أن يبدو نبيلًا ، ولم يبد على ذلك الرجل أنه يحبه فحسب لكنه قد وافق على أنشطته بالفعل . تحير لحظة فى تفسير الفرق بين الطموح والجشع ، واخيرا هز كتفيه ، وخاطب نفسه بصوت عال على الطريق الزراعى المهجور ، « من تظن نفسك ؟ اذا كنت تبدو على مايرام بالنسبة للسيد دورسى ، فانك سخيف جدا فى قلقك بشأن ماسوف يقوله يسوع ؟ «

كان قد نما فى نفسه حالة هائلة من عبادة البطولة . وفى اليوم التالى بحث عنه معبوده الذى عثر عليه حديثا .

قال يطلع الصبى ، « لقد تكلمت مع المدير عصر الامس . وقد وافق على مشروع الانتخاب ، وسوف تعلنه مدرسة قاعة الدرس هذا الصباح . وقد اقيمت نظرة أيضا على السجلات ، ولم يكن لدى وقت أن اجمع كل شيء بدقة ، لكننى اعتقد أنك فى طليعة المرشحين لالقاء

خطبة الوداع . وانا اعلم ، بالطبع ، انك تريد ان تحصل على اكبر عدد ممكن من النقط ، لكننى اعتقد ان هذا فى متناول يدك . »  
اعتصر كتف الصبى ومضى بسرعة الى اسفل البهو .

وفى قاعة الدرس اطلعت الانسة بيرى الجميلة الصف على انها قابلت المدير ومدرس التاريخ . وحددت خطوط عملية الترشيح ، واعلنت عن اسبوع واحد للحملة الانتخابية يصل الى ذروته باقتراع سرى ، ثم اختتمت قولها ، « وقد قرر المدير ، نظرا للاهمية الجديدة والمسئوليات المتزامنة مع مسئوليات الصف النهائى هذه ، ان تمنح نقط خارج المقرر الدراسى ، عشر للرئيس ، وخمس لنائب الرئيس ، وثلاثة لامين السر ، ونقطتان لامين الصندوق .

لم يستطع الصبى ان يصدق اذنيه . كان رئيس الصف يستحق نفس العدد من النقط التى يمنحها الفوز فى مناسبة ادبية فى المقاطعة . ملأه هذا باصرار قوى على الفوز الى درجة ان اصبحت حملته امرا لا يقاوم . ومستفيدا من ثلاث سنوات من الحكم المتعالى والمشاعر الجريئة ، راح يبرر قوة الوحدة السياسية وبذل وعودا بليغة عن تعيينات اللجنة والسياسات الرئاسية .

كسبت بطاقته الانتخاب بفوز ساحق بنسبة اثنين الى واحد ، باشتراك مائة فى المائة من الناخبين . وفى الحاللقى خطاب قبول متواضع وتلا أسماء اللجان ، التى كانت كل واحدة منها تتألف من طالب واحد من البلدة وأربعة طلاب من الأرياف احسن اختيارهم . وقد نصح معظمهم بصورة شخصية بأن رئيس اللجنة كان لا يستطيع ان يصوت الا فى حالة وجود تعادل فى الاصوات . ونتيجة لهذا انتهت كل لجنة بطالب من البلدة رئيسا واتفاق اجماعى قياسى لمدة عام كامل . لم يحدث ان كان هناك صف يتمتع بروح تماسك اعظم ولم يحدث ان وضعت دروس الديموقراطية والسياسة العملية بشكل اكثر حدة .

وبعد بضعة ايام من الانتخاب ، استدعته الانسة بيرى جانبا . « بورتر ، نحن بحاجة الى متهمجى جيد ليمثل مدرستنا فى معرض الولاية . سوف تكون هناك مسابقة محلية فى خلال اسبوعين ، واريدك ان تشترك . »

اهترض قائلا ، « اوه ، يا الهى ، يا انسة بيرى ، تعلمين اننى مثقل بالاعباء . ان وظيفة الرئيس هذه اكثر مما كنت اظنها ستكون ، وانا

أدرس خمس مواد . ولا أدري ان كان ينبغي ان اضيف أى شيء آخر  
أم لا . »

هزت كتفيها ، « حسنا ، كما ترى . فكرت فى ان اذكر الامر لك  
فقط . انك تحصل على تقديرات ا فى كل المواد ، لكنك تعرف ماتريد  
ان تفعله . لقد تكلم المدير معى بهذا الشأن وقال انه سيتمنع خمس  
نقط خارج المقرر لهذا العام . »

عمل بدأب لمدة أسبوعين وحمل لواء الفوز فى تلك المسابقة .  
أوقفه المدير ذات يوم بعد حصة زراعة كانت قد كرسست لفسكرة  
جديدة بشكل مذهل عن زراعة البرسيم القرمزى كمحصول يصون  
الأرض ليعيد الخصوبة الى الأرض الزراعية التى حصدت خطوط  
محصولها بحيث أصبحت نحيلة مثل الأوراق الذابلة .

قال ، « بورتر ، أريد ان أراك دقيقة . نحن بحاجة الى تنظيم ناد  
لزراع أمريكا فى المستقبل ، وأريدك ان تدرس هذه المادة وان تعرضها  
على صف الزراعة . سوف يكون نادى خدمة حقيقى له مشروعات  
عمل طيلة العام . وقد رأيت ان من يصل الى الرئاسة يجب ان  
يحصل على خمس نقط خارج المقرر . هل تود ان تفعل ذلك من  
أجلى ؟ »

« آوه ، أجل ، ياسيدى ! يسرنى ان أفعل أى شيء أستطيعه  
لأساعدك . لقد كان صف الزراعة اضافة عظيمة لمدرستنا - فخسارج  
أساليب الزراعة الحديثة التى نتعلمها ، قد قام حقا بتوحيد كل  
الطلبة الريفيين معا . ويسرنى ان أتكم اليهم بشأن النادى . »

وبعد يومين من المناقشة المفعمة بالنشاط تحت شجرة الارز وعرض  
الامر على الصف عرضا رسميا واحدا ، تكون أول فصل محلى من  
زراع أمريكا فى المستقبل . انتخب الصبى رئيسا له بتصفيق اجماعى  
وتقبل الشرف الجديد بكياسة ائكار الذات التى كانت تتكامل لديه من  
خلال التكرار .

بأدره السيد دورسى بالكلام فى اليوم التالى ، « تهاتىء على نادى  
زراع أمريكا فى المستقبل . ان المدير يشعر حقا بالاثارة حول هذا  
الموضوع . وقد كلمنى لفترة بالامس ، وكان متأثرا بالطريقة التى  
عرضته بها والتى نظمته بها . وهو يقول ان لديك قدرة حقيقية .  
وقد أخبرته اننى كنت أعرف طيلة الوقت . ومن المؤكد اننى فخور  
بك . »



ومنتشيا بهذا الوسام من مثل هذا الشخص الاستثنائي ، ارتبك الصبي واحمر وجهه خجلا .

قال السيد دورسى « هل تعرف ما أتمنى أن تفعله ؟ أتمنى لو أنك انضممت الى فريق كرة السلة . انهم يقدمون الطلبات له اليوم ويشرعون فى التدريب فى الاسبوع المقبل . »  
عوى الصبي ، « هه ؟ كرة السلة ؟ لا أستطيع أن ألعب كرة سلة ! »

« لا أحد يستطيع قبل أن يتعلم الان . لهذا يتدربون . كان لدى الاغريق مثل أعلى فى ان من يجمع بين البجائة والرياضى يكون الرجل الكامل . وانت لديك العقل ، لكننى اشعر كما لو كانت كل محاولتك تميل باتجاه الجانب الاكاديمى ، وسوف تستمتع حقا بالاشتراك فى رياضة . وعلاوة على ذلك ، فانك تحصل على خمس نقاط لمجرد اشتراكك فى كرة السلة ، طالما أنك لا يفوتك التدريب بالقدر الذى يكفى لطردك . هل لديك سبب لعدم المحاولة ؟ »

قال الصبي مدافعا ، « يا الهى ، ياسيد دورسى . اننى بالفعل أكثر انشغالا عما كنت . وعلاوة على ذلك ، لدى ثلاث بقرات أحلبها وعلى أن أذهب الى البيت فى سيارة عمى وهم يتدربون بعد المدرسة . لن يكون لدى الوقت . »

اعترض البطل ، « لا ، سوف يغير المدير ذلك هذا العام . سوف يبدأون فى التدريب فى الحصّة الأخيرة وينتهون بحيث يلحقسون بالحافلة على الأقل . واذا فاتك عمك من آن لآخر ، فبإمكانك أن تركب الحافلة الى مسافة ميلين من بيتك وتسير بقية الطريق وقد جلبت الكثير من الابقار بعد حلول الظلام . ليس ذلك عائقا حقيقيا . »

ومتخليا عن الاعتذار ، واجه الصبي السيد دورسى بصراحة . قال بشكل عفوى ، « السبب الحقيقى هو أننى صغير جدا . وكل أولئك الاولاد ضعفى فى الحجم . » حول عينيه وحاول أن يبعد الارتجاف عن صوته وهو يسر اليه ، « أخشى أن يسخروا منى . »

طوح السيد دورسى رأسه الى الخلف وانطلق يضحك تلقائيا وهو يضرب ما بين كتفى الصبي . قال ، « طبعا سوف يسخرون منك . وسوف يشاكسونك عندما ترتكب أخطاء غبية فى الملعب ، ولكن ذلك لا يعنى أنهم لا يحبونك ، وكل صبنى فى المجموعة الاولى صديق لك بالفعل . »

« أعرف شعورك بشأن حجمك . فقد كنت قزما حقيقيا عندما كنت في المدرسة الثانوية ، وكان هذا يزعجني . ولكن ، صدقني ، سوف تكبر ، وذات يوم سوف تضحك لانك كنت قلقا بهذا الخصوص » . صمت ، وهو يبدو مثل بك ، ثم أضاف بمرح ، « مهم أن تتعلم التنسيق في رياضة ما في وقت مبكر ، وعندئذ تكون أحسن عندما يصبح حجمك ملائما لها . لقد اعتاد جدي أن يقول ، « ليس المهم الكلب في القتال ، ولكن المهم روح القتال في الكلب . »

« يا الهى ، ياسيد دورسى . لا أستطيع ان أصدق انك تقول لى ذلك ، فقد سمعت جدي نفسه يقول بالضبط نفس الشيء . أراهن انه قالها مائة مرة ، لكننى كنت أظن انه كان الوحيد الذى قالها على الإطلاق . أجل ، سوف انضم الى كرة السلة ! » وتردد لحظة ، وسأله « كم كان وزنك حين كنت فى الصف النهائى فى المدرسة الثانوية ؟ »

أصاب السيد دورسى قليل من الغموض ، « أوه ، لقد نسيت . ربما كنت قد كبرت قبل ذلك بقليل ، لكن من المؤكد اننى أذكر اننى كنت أشعر بالضبط بنفس شعورك . أنا بالتأكيد فاهم ، وأنا أقول لك لا تقلق . »

ولشعوره بعدم الارتياح لانه سأل مثل هذا السؤال الشخصى ، غادر الصبى بسرعة حتى يتمكن من التطوع فى فريق كرة السلة . وحين استعاد الحديث ، فيما بعد قال لنفسه ، وددت لو كانت لدى الجراة أن أسأله كم استغرق عضوه حتى يكبر . ثم احمر وجهه لطيشه .

لم يكن التعود على روتين التدريب على كرة السلة أمرا سهلا ، لكن عمل به باصرار . كان ارتداء اللبس مذلا . فقد كانت ساقاه اللتان لم يكن بهما شعر تبرزان من سرواله القصير كأنهما عصاتا مكنستين ، وقد أبدى أحد طلبة الصف قبل النهائى كبير الحجم بدرجة ملحوظة بأن ركبتيه كانتا تبدوان مثل بصلتين فى جوارب بيضاء . كان بإمكانه أن يقذف كرة السلة على امتداد نصف مسافة الملعب فقط ، وهو يستجمع كل قوته ، فى حين كان الصبية الأكبر حجما يستطيعون أن يقذفوها مثل طلقة مدفع من طرف الى الطرف الآخر . وقد تدخل بجراة ليمسك بواحدة من تلك التمريرات المندفعة ودفع عشرين ياردة

الى الخلف ، بينما انفجر مبنى الالعب الرياضية فى الضحك . وبعد هذا ، كان يتحاشى التمريرات الطويلة السريعة ويركز على تعلم توجيه الكرة بترتيبات وان يحصل على الكرات المرتدة .

أما وقد صمم على لعب كرة السلة ، فقد تحمل عذاب عدم كفاءته وكلمات الاستهزاء التى كان الاولاد الآخرون يفضلون عليه بها . وفى أثناء هذه العملية حظى أخيراً باحتمالهم له فقط وليسكن بتعاطفهم أيضاً . كانوا يشيخون بوجوههم بلطف حين كان يخلع ملابسه ، ولم يعلق أحد قط على الحقيقة المهيبة وهى أنه لم يكن حتى تفوح منه رائحة حين يعرق . أما وقد التزم وعقد عزمه ، فإنه لم يكن ليصر أنه كان يكرهها . فإذا كان السيد دورسى يريد أن يفعل شيئاً ، فقد كان من دواعى سروره أنه لم يطلب منه أكثر من هذا .

وعندما قامت الأنسة بيرى بتوزيع بطاقات التقارير ، فإنها احتفظت ببطاقته حتى اللحظة الأخيرة . « بورتر ، أريد أن أهتلك . فهذا هو الشهر الثانى الذى تحصل فيه على تقدير ا فى كل المواد . » وصمتت . « بما فى ذلك السلوك . فقد القيت نظرة على سجلك ، وهذه هى المرة الاولى فى تدرجك فى المدرسة الثانوية التى تحقق ذلك فيها . وأنا فخورة بك . »

اجاب الصبى ، « أجل ياسيدتى ، اشكرك . لقد كنت أعمل بجهد . »

كان يشعر بالخزى لأنها علمت بتقديرات « ر » التى كان قد حصل عليها عندما كان صغيراً وغير ناضج . وقد لاحظ أنه عن طريق امالة رأسه كان يستطيع أن يرى الضوء يتألق من خلال أنفها . ومن المؤكد أنه لم يكن فى التاريخ شخص أكثر ابهاراً .

واصلت قولها ، « أردت أن أخبرك عن تغيير فى قواعد اجتماع المنطقة هذا العام ، فبدلاً من جعل المتسابقين يقومون بكتابة موضوعاتهم فوراً ، سيقوم المسئولون بارسال قائمة بالموضوعات الى كل مدرسة . وسوف توزع هذه الموضوعات قبل الموعد بأسبوعين على الطلبة الذين يعنيههم هذا ، ثم يطلب منهم أن يكتبوا مقالاً فى حضور راعى البرنامج المحلى والمقال الذى يفوز على المستوى المحلى سوف يرسل الى اجتماع المنطقة ويقيم هناك ، بدلاً من استقدام الطلبة ليكتبوا مقالاً مختلفاً تماماً . وقد رأيت أن أخبرك بهذا لأننى أعلم أنك قد حصلت على خمس عشرة نقطة كل عام عن طريق فوزك باجتماع

المنطقة للعامين الآخرين . انت لا تعلم كم انا فخورة بك . «  
اجاب ، « اجل ياسيدتى ، أشكرك . سوف ابذل قصصارى  
جهدى . » ونظر اليها برقة واقسم الا يفصل شيئا قط يخيب  
املها .

وبعد ذلك ببضعة ايام استدعاه المدير جانبا واخبره ان نادى زراع  
امريكا فى المستقبل كان سيرعى مسابقة فى الخطابة يقوم على اساس  
خطب مبتكرة حول جانب مامن الزراعة . وتطوع بإبلاغه انه كان قد  
قرر ان يمنح نقطا خارج المقرر لهذه المناسبة على نفس الاساس الذى  
يقوم عليه الاجتماع الادبى .

واكد للصبي انه كان فخورا به وانه كان متأكدا انه سيؤدى عملا  
طيبا . وعده الصبي ان يحاول واقسم فى سره ان يكون جديرا  
باعجاب هذا الرجل . وفى تلك الليلة بينما كان فى الحظيرة ، ورأسه  
مضفوفة الى جنب بقرة متعاونة فى ضوء مصباح ، تفكر فى  
قدره .

قال للبقرة ، « حسنا ، كنت اظن ان هذه السنة النهائية ستكون  
من المؤكد نسيما ، وائنى سامر بها متسكعا ، ومبارك انا اذا لم اكن  
أعمل بجدا اكبر مما فعلت فى حياتى . فمن المؤكد ان لدى ثلاثة  
مدرسين جديدين ، وانت لا تستطيعين فى حياتى ان تخذلى مدرسا  
جيذا . »

انتقل الى البقرة الثالثة وشرع يفصل ضرعها . قال لها ، « هل  
تعليمين ، لقد مرت خلال المدرسة الثانوية كلها ولم يذكر لى احد قط  
من قبل نقطا خارج المقرر ، والآن ، فجأة ، كلما التفت أجد مدرسا  
ما يخبرنى كم نقطة تستطيعين الحصول عليها من اجل هذا وكم نقطة  
تستطيعين الحصول عليها من اجل ذلك . والطريقة التى ارى الامر  
بها هو انهم يمرغون أنفى فى خمس واربعين نقطة اضافية ، رغم ان  
عيد الميلاد لم يحن موعده بعد . هذا أكثر ماسمعت قط ان شخصا  
فاز به فى عام واحد ، وانا واثق ائنى سأكمل عدد فريق المناظرات مرة  
اخرى ، ايضا . أسكبى هناك الآن ، فان ضرعيك يجذبهما ملقى خطبة  
وداع نارى حقا . ادفعى رجلك الى الخلف . »



فى المزرعة كان القطن قد جمع مرتين ، وكانت هناك فقط نتف بيضاء متناثرة تنقط السيقان الميتة . كان هذا يسمى نفاية القطن وكان سيجمع على مهل بواسطة النساء والاطفال فى وقت ما قبل عيد الميلاد . كان معظم القطن الجيد قد سبق سحبه الى المحلج على عربات ذات اجسام عالية ، امتدادات صنعت منزليا كانت ترفع المرء الى ارتفاع يصيبه بالدوار اذا ركب اعلى الحمولة . كانت تلك المركبات وقد حشيت بشكل ملائم بواسطة دوسها بقوة باقدام الشبان والصبية تضم ما بين الف وثلاثمائة الى الف وخمسمائة رطل من القطن بدوره ، كان سيحطج بدوره ويعبأ فى بالة تزن ستمائة رطل من نسالة القطن . واذا كانت هناك بالة قطن تزن فقط اربعمائة رطل ، كان هناك شعور غير منطوق بأن شخصا ما قد تكاسل فى التعبئة .

وخلال الطقس الجاف اللطيف فى اغسطس وسبتمبر واول اكتوبر كان كل من فى المزرعة يخضع اى نشاط آخر لجمع القطن . كان من المهم جمع المحصول قبل ان يخفض المطر قيمة النسالة . وفى وقت مبكر من الموسم كانت كل السقائف والحظائر تملأ بقطن مفكك . وما ان كانت المباني الاضافية تمتلئ ، حتى كانت المساكن ذاتها تستخدم . كانت وصلات الخشب تدق حول شرفات بيوت المستأجرين غير المطلية ، وكان القطن يحشر حتى السقف ، مع ترك ممر صغير فقط يؤدى الى الباب الامامى .

كان لدارنل العجوز جون توم اطفال كثيرون للغاية الى درجة انهم كانوا يجمعون قطنا اكثر من اى واحد آخر فى المكان . وقد أصبح التخزين حتى وقت الحلج يشكل لهم مشكلة . وقد حلوا هذه المشكلة بشكل ملائم عن طريق تفكيك هياكل الاسرة ونقل كل الاثاث من الحجرتين الاماميتين فى منزلهما . ثم كانوا يحشون هاتين الغرفتين حتى السقف تقريبا بالمندوف الابيض الثمين الذى عملوا من اجله طيلة الصيف . واذا كانت النساء تتدمر من قلة الراحة هذه ، فان الصبي لم يسمعهن قط . كن يضاعفن فقط من حرصهن بشأن نيران الطبخ ويوبخن الرجال على التدخين .

وكان لاطفال الاسيرة من هذا الترتيب موقف مهرجاني . فى الاسابيع القليلة التى كان هذا يتضمنها ، اذ كان كل واحد منهم يتسلق داخلا الى الحجرات المحشوة وقت النوم وينام على القطن . وكانت النتف المزغبة التى تلتصق بشعرهم وثيابهم معظم اليوم التالى تشهد على ذلك . كان للقطن المجنى رائحة مميزة ، تذكر فى نفس الوقت بعصارة النمو الحيوية ووهن النضوج فى تقع الشمس . كانت تجعل الصبى حزينا بشأن المشاركة فى تجهيزات النوم الجماعية فى بيت المعجوز جون توم ، لكنه كان أحصف من أن يفصح عن هذا سواء لآل ويستمورلاند او العائلة ، او لنفسه .

كانت العربية تحمل القطن فى وقدة الشفق استعدادا للرحيل فى ضوء النهار . واذا بكر مزارع مجد بما يكفى لان يكون قرب اول الصنف عندما يبدأ المحلج فى العمل ، فانه كان يمكنه أن يحلج حمولتين من القطن فى نفس اليوم . كانت العائلة تحصل على بريدها من بروتنتون لكنها كانت تحمل قطنها الى بيبودى . كانت هذه تقع على بعد ميلين ونصف من المزرعة ، ولكن كانت الرحلة رغم ذلك طويلة بعربة محملة ، حيث أن فريق البغال المثلث ببالة قطن حشيت بسخاء ولم يتم حلجها ثم يكن بإمكانه أن يسير بسرعة رجل نشيط . وقد اكتشف الصبى منذ وقت مبكر أن الذهاب للمحلج كان شأن كثير من التجارب فى الحياة . كان الوصول الى هناك متعة اكبر من أن يكون الواحد هناك .

عندما كان الصبى صغيرا جدا ، كان الجو مايزال نشيطا وممتلئا بالطاقة . ولحرصه على الكفاءة ، فانه كان يتطوع بالذهاب للمحلج بنفسه ، بحيث يسمح لزنجى واحد ناضج على الاقل بأن يستمر فى الجنى والجو مايزال صحوا . وقد اصطحب الصبى مرارا فى هذه المهمات . وكان الجد يصطحب أيضا الاخوات الى المحلج ، لكنه لم يكن يصطحب اكثر من طفل واحد فى المرة الواحدة . لم يكن جليس أطفال . كان جدا .

كان الصبى يستطيع أن يتذكر ذهابه وهو صغير جدا الى درجة أن المعجوز لم يكن يسمح له بالجلوس الى جواره فى مقدمة العربية ورجلاه تتدليان فوق . كان عليه أن يجلس الى الخلف كثيرا وسط الحمولة لئلا تلقى به رجة مفاجئة الى عرض الطريق . كانت العربية محملة بكثافة الى درجة أن ضجيج قعقة العجلات كان يحتجب ،

كما كانت الارتطامات بصريها ورجها للعظام تصبح أنعم . وبالتالي ، كان حرا في أن يستلقي على ظهره لمدة ساعة في القطن الذي يسنده بنعومة ويتطلع ملء عينيه في السماء . كانت السماء اذا شوهدت من هذا الوضع عميقة وخيرة وتبدو كما لو كانت تعانق بضوء أزرق يفضي الصقر الحوام وهو يجوب الآفاق وينزلق متوتر الجناحين على الهواء الذي يجمله خلال ارتفاعات صامتة .

وعلى ارتفاع بضعة أقدام فوق طفل الطريق الأحمر الذي حمسته الشمس ، كانت جرادة عرضية تتدلى معلقة في الهواء الدافئ الذي الرائحة وهي تصر اغنيته الصيفية الهندية . وعندما كانت العربدة تقترب من جدول بيبودي ، كانت نفحات آلعنب المسكى الناضج المشهية ورائحة النهر الرطبة التي تفوح من نباتات المستنقعات تمتزج في فتحتى أنف الصبى مع رائحة القطن الخصبة . حتى خيالاته كانت تلين بفعل التأكيد المذهل بأن الطبيعة قد حققت ذاتها مرة أخرى في الحصاد ، وكان هو قانعا تماما .

قطع وصوله الى المحلج حلم الرحلة الخفيف الوزن . كان المحلج ذو الطابقين مركبا على كتل خشب كبيرة ، ومغطى تماما بصفائح متموجة من معدن مجلفن . وكان يفص بالآلات معقدة بدرجة مرعبة تدور وتقعقع خلف اغطية مكسوة بالزجاج في لفات تصيب بالدوار ، تفصل البذور عن القطن . كان مستوى الضجيج يمزق الانفاس ، وكان لا بد للحديث أن يدور صراخا بأقصى حجم على مسافة لا تزيد عن أربع بوصات . واذا تناقص طابور العربات ، كان العامل يطلق صفارة بخارية ليعلن لكل المزارعين داخل محيط خمسة أميال ان المحلج كان متلفا الى العمل . أما وقد كانت المسافة تكتم صوتها ، فان الصفارة لم تكن جزءا غير سار من المنظر الريفى ، لكنها كانت اضافة الى تنافر اصوات الآلات المتذبذبة ، اذ كانت نعييا غير متوقع كلية يؤذى الأذان ويجعل صبيا صغيرا يتشبث بجده .

كان المحلج يرتفع بشكل فجائى أفقيا مبالغا فيه فوق القرية ، بعد أن يظل مهجورا للعشب السام ونجمة الصباح لمدة تسعة أشهر كل عام . كان يبدو للصبى مثل معبود مصنوع من معدن المدافع وله لون الصدا ، شرير وقوى ، يعرف تماما ما يريد من قربان رهيب . كان يرى أنه لم يكن هناك مبنى في العالم كله أكثر قبحا من محلج القطن .

كانت اكثر اجزاء الكتلة المختلطة ابهارة هو انبوب التحميل . كان هذا اسطوانة معدنية طويلة ذات قطاعات تليسكوبية تتدلى معلقة من سقف السقيفة العالية فى الجانب الشرقى من المحلج . ومن خلال نوع ما من الكيمياء كان مولد الجازولين القصير الغليظ الذى كان يدير كل الآلات بشكل مسعور فى المبنى يحدث فى هذا الانبوب المرن أشد تفريغ هواء رآه الصبى فى حياته . فعندما كان الانبوب غير مستخدم ، كان الواحد يستطيع أن يسمع فقط صوت الريح الرقيق يهب من خلال حدودها الانبوبية . وعندما كان يجذب الى أسفل ويؤرجح الى الامام والخلف فوق عربة محملة ، على أية حال ، كان يصبح قوة عاتية ، تمتص القطن بحشوات كبيرة داخل معدته الهائلة بنهم ضار .

ومن آن لآخر كان عميل مهمل يصل براسه اقرب من اللازم للانبوب ، وكانت قبعته تمتص وتختفى فى يوم الحساب الذى يرتفع فوقه . وفى حين كان الضحية يدور بسرعة ويحاول الا يبدو مغموما واحمق ، كان الجميع يتصايحون ، والصفارة تصرخ ، والعامل يسقط السير الاساسى ويوقف المحلج .

فى اول الامر كان الصبى يظن أن هذا كان من اجل استعادة القبعة بدمائة ، لكنه سرعان ما علم أن هذا كان بهدف حماية تركيب الآلة الدقيق من التلف . وقد شرح له الجد أن القبعة اذا وصلت الى الشفرات ، فانه كان يتحتم ازالة اجزاء من الآلات وارسالها بعيدا الى مكان ما لاصلاحها ، وان هذا كان يعنى أن الآلة سوف تتعطل لمدة يومين او ثلاثة على الاقل . ولحسن الحظ ، كان من الممكن استعادة قبعة عن طريق فتح الصندوق فى الطابق العلوى واخراجها بعصا طويلة .

وعندما حدث أن قبعة العجوز باسكال بيرديو امتصت داخل الانبوب ، كان هناك شاب بلون الشيكولاتة فى سن المراهقة يدعى توم جوينور اتاوى يعمل بأجر فى المحلج . وبعد أن فتح الباب الثقيل المؤدى الى الصندوق واستعاد القبعة ، قاموا بتشغيل الآلة مرة ثانية بأسرع ما يمكن وسقط توم جوينور بداخلها . أوقفوها فى الحال مرة أخرى ، ولكن ليس قبل أن يكون قد اجتذب الى داخل الشفرات ومثل بجسده بشكل سيء الى درجة أنه كان من الضرورى أن ينقل على طول المسافة الى أتلانتا لمستشفى جراديس .



استبقوه لمدة شهرين وتمكنوا من انقاذ عضوه التناسلى وخصية واحدة ، لكن شيئا يقال له الحبل كان قد تلف ، حتى فى الجانب الطيب ، وعاد مرقعا بتطعيمات جلدية وركبتاه متصلبتان . وقد سمع الصبى صدفة الجد يناقش الحالة مع احد الجيران ، وصدر القرار بأنه ، « سوف يكون بإمكانه أن يقوم ببعض العمل بطريقة جيدة ، لكنه سيكون عقيما على الدوام . » لم يستفسر الصبى عن تفصيلات ، لكنه احتار .

وفيما بعد ، تزوج توم جونيور اثاواى فتاة سوداء بدينة حقا ذات ملامح قروية وانجبا سبعة أطفال ، بما فى ذلك مجموعتين من التوائم . ويوم ولدت المجموعة الثانية ، هجر توم جونيور اثاواى زوجته وانتقل الى سنسناتى ليقيم مع عمته حتى يجد عملا . وكان الصبى قد سمع سنترال يخبر فريمان أنه رآه قبل أن يركب القطار مباشرة وأن توم جونيور كان يبكى مثل طفل . وقد أجابه فريمان بقوله ، « لا أحد يلومه . انه أمر محرج أكثر مما يمكن أن تطالب رجلا أن يحتمله . »

وعلى امتداد السنين العديدة التالية رزقت امراته بثلاثة أطفال آخرين ، لكن توم جونيور لم يعد أبدا من سنسناتى . أثناء هذا الوقت اشترت العائلة شاحنة يمكنها أن تحمل أربع أو خمس بالات من القطن فى المرة الواحدة وأن تقطع الرحلة الى يبودى فى عشر دقائق . فقد الصبى كل اهتمام بالحلج ولم يكن يستطيع أن ينظر الى المبنى دون أن يفكر كيف أن توم جونيور اثاواى كاد يذهب قربانا للمعبود . كان مسرورا حين احترق حتى سوى بالأرض .

ما أن كانت عملية الحلج قد انتهت بوقت طويل بحيث أصبح بالإمكان تحرير ثلاثة أو أربعة رجال ناضجين لفترة من عبوديتهم للقطن الملك ، حتى شرع الجد يصنع عصيرا . فمن بين كل الأنشطة التى كانت تجرى فى المزرعة ، كان هذا النشاط بالتحديد يقع تحت اشرافه ففى كل خريف كان يختار بنفسه السيقان التى دفنها فى الحقل على عمق كاف تحت التربة حتى لا تتجمد وتكون متاحة بصفتها بءورا للقص فى الربيع . وقد وجه انتباه الصبى الى الفقاعات المثلىة الصغيرة عند نهاية كل عقلة ، وتسمى « عيسونا » ،

التي كانت ستكبر بحلول المسام التالي الى اهراد قصب لها شكل الشرائط .

كان هو من اختار البقعة التي يزوع فيها القصب . كان من الضروري أن تكون هذه أرضا واطئة بها من الرطوبة أكثر مما بالمساحات الأخرى حتى تدعم النمو الوفير . كان القصب يتطلب حرثا أقل من القطن أو الذرة أو الفلفل الحلو . وكان ينمو بسرعة فائقة وكانت أوراقه وافرّة الى درجة أن الأرض سرعان ما كانت تحجب ضوء الشمس ، وكانت المنتصفات خالية من الأعشاب مثل أي مر تدوسه الأقدام .

وحيث كان يطول بالقدر الذي يكفي لأن يتشابك سفعه ، كان من الممكن لصبي أن يخفي نفسه في رقعة مزروعة بقصب السكر طوال فترة عصر يوم حار ، يطارد الدببة ، أو الذئاب ، أو الشماليين جيئة وذهابا في المرات المرقشة أو ينفذ من بين السيقان التي تنمو متلاصقة الى الصف التالي ليتجنب ملاحقة أكلة لحوم البشر له أو كمين القاتل .

وفي وقت الحصاد كانت كل ساق يقطعها رجال يستخدمون سكاكين ثقيلة . وكانت الغابة الريشية الطويلة تتحسول في أقل من يوم الى مسلخ من الجدوع المتساقطة . فليس هناك شيء يبدو أكثر عريا وخرابا على الفور من رقعة من قصب السكر اجتشت حديثا .

وشأن معظم الأشياء الأخرى في الزراعة ، كان الوقت هاملا ملحا . فإذا رقد القصب على الأرض بعد حصاده مدة أطول من اللازم أو سقط عليه المطر أو إذا اشتدت الحرارة ، فإنه كان يفسد ، وعندئذ لا يصلح لشيء ويتبدد . وكان التبدد في أية مزرعة في بيدمونت بين فترة إعادة البناء والحرب العالمية الثانية أمرا لا يقبل التفكير فيه شأن القتل أو السرقة . وكتابع للجد عرف الصبي بكل تأكيد أن هذا كان حالا يؤدي فقط الى السقوط في الفقر ، والالام ، واحتمال أن يفقد المالك الذي اختاره الله مكانته .

وكان بإمكان الجد أن يحصل من العمال المستؤجرين على عمل أكثر من أي واحد آخر في المسالم . كانت لغته أكثر لغة تعبيرا في المقاطعة ، وكان بإمكانه أن يبين حالته المزاجية من خلال الطريقة التي كان يقطع بها مضغة من التبغ من قرص تبغ المصفوط ويعيد

بها سكينه الى جيبه . كان الصبي يرتعد وشعره يقف عند سماعه وهو يصرخ ، « أنت ، يا بومب ، هناك ! عجل ! انك تؤدي عملك كما لو كان القمل الميت يتساقط منك ! فانت بطيء الى درجة ان على ان اراقبك لاتأكد من انك تتحرك . بإمكانك ان تؤدي عملك بشكل أفضل من ذلك ! »

وكان الصبي يحبس أنفاسه ويتكلمش عندما يقترب أحد ذنبا سيئا بحيث يستحق ، « أنت ياطرفا جهنميا أسود من أطراف ابليس ، أنت ! ان هناك فكرة تراودني ان أجلك حتى اكاد ازهرق روحي . » لم يكن لديه سوط طويل قوى مما يستعمل في سوق المواشي ولم يكن يذكر البتة بيع أى واحد أسفل النهر ، لكن المعنى الضمني لكل من هذين كان هناك . وعندما كبر الصبي بالقدر الذى يكفى لمراقبة العمال بدلا من الجد السريع الانفعال ، اكتشف أنهم كانوا يتبادلون نظرات ضاحكة خلسة تشهد بوضوح على التسامح والحب . استرخى الصبي وبذل مافى وسعه حتى يفهم .

كان الجد يعمل بجدية أكثر من أى واحد آخر . فبمسد قطع القصب ، كان لابد من تقشير ثم نقله فى العربات الى معمل العصير . كان الناتج هائلا . كانت رقعة مساحتها فدانان من القصب يمكنها ان تنتج جبلا من الاعواد .

وكانت المعصرة مكانا سحريا . كانت تقع على حرف يرتفع فوق المستنقع بعد بيت المستاجر الرئيسى على الارض الحمراء مباشرة . كانت معصرة القصب التى كانت تزود المعمل بالعصير الخام تتألف من بكرتين هائلتين من حديد الزهر ، زنتهما كبيرة الى درجة ان تركيبهما على عمود كان يستلزم رجلين من الاشداء . وكانت شجرة صمغ طويلة قد اقتطعت وشذبت ثم ركبت أعلى هاتين البكرتين وثبتت اليهما بمسامير ملولبة . وكان توازيها يحافظ عليه أرومة قصيرة ثقيلة من طرف وطرف آخر أطول قليلا يعمل عمل عمود التوجيه . ثم كان هناك بغل يشد الى الطرف المستدق من الكتلة ويدور فى دائرة طوال اليوم ، بحيث يدير البكرتين فى اتجاهين معاكسين .

كان قصب السكر يدفع فى أحمال ملء الذراعين بين البكرتين ، فينبثق العصير فى تيار متدفق غائم ، ويوجهه ميزاب قصديرى طرق باليد الى داخل برميل خشبي له كيس من الخيش فوق فتحته . وكاد الجد يقترب قدحا من العصير الحلو للواحد حتى يشربه ، لكنه

لم يكن له نفس المذاق الطيب المتألق بهذه الطريقة مثلما كان حين كان  
يعشر ويقسم قطاعا من المصب بمطواته المملحة بالتبغ ويعطيه للواحد  
ليمضغه ويمصه .

كان الخيش يصفى ألياف العصير وكان من المفروض فيه أيضا ان  
يستبعد الزناير . كان هؤلاء الضيوف يأتون بالآلاف الى حلاوة عصير  
القصب التي كانت تجتذبها وكانوا جانباً مزعجا على الدوام من مشهد  
عمل العصير . كانت أقدام أى طفل أو مراهق يأتى الى معمل العصير  
حافيا تتورم طيلة اليسوم من الدوس على الحشرات اللاذعة وكان  
يتذكر دائما أن يرتدى حذاءه فى اليوم التالى . وعندما كان الكبار  
تلدغهم الزناير كانوا يضربون بأكفهم ويتمتمون دون أن يقطعوا اطراد  
عملهم ، لكن جرح الطفل كان خطيرا بالقدر الذى يبرر صرخاته  
ويستحق معالجته بتبغ مضغ حديثا على الموضع مع طقطقة مريحة  
من الجد .

كان طحن القصب عملية عالية التنظيم . كان رجل على قدر من  
قوة الاحتمال يتم اختياره ليدفع بالقصب الى داخل المعصرة . وكان  
على عامل آخر أن ينقل الاعواد من الكومة الاساسية الى كومة أخرى  
أصفر تحت قدمى من يقوم بتغذية المعصرة . وعندئذ كان يبدأ النسق  
الذى يجرى عليه العمل . كان عامل التغذية ينحنى ويجمع ملء ذراع  
من الاعواد ، ويقف معتدل القامة ويدفع بها بين البكرتين ، اللتين كانتا  
تقبضان عليها وتتجذبها فيما بينهما وتتركانها تسقط بخفة ريشية  
فى شكل « مصاصة » . وكان على عامل التغذية أن يمسك بالاعواد  
حتى تكون فى منتصفها خلال البكرتين ، وكان هذا يعنى أن عمود  
شجرة الصمغ سوف يقوم بدورة أو دورتين بمستوى كتفيه ، وهو  
ما كان يتطلب منه أن يقطع برأسه ليتجنب قطعها . وبكل ما كان  
يفعله من انحناء ووقوف ورفع يديه والقطس برأسه ، كان الطحان  
أكثر شخصية نشاطا بشكل دائم فى هذا المشهد فيما عدا البفل الدائم  
الدوران . كان من الممتع أن يمسك الواحد بنهاية العمود الدوار وأن  
يتعلق به لدورة أو دورتين ، ولكن كان على الواحد أن يكون حريصا  
على ألا يثير زئير الجد الكالح . كان يكره أن يلعب احد فى وقت العمل .  
كانت العصارة تكوم المصاصة المتزايدة بشكل مستمر وبفعلها  
اللاهث المندفع الى الامام على بعد بضعة أقدام فقط من أجمة شجر  
الصمغ الاسود وأوراقها القرمزية الناحلة التي كانت تحيط بمعمل



العصير . وكان العمل نفسه فرنا صنع من الصخور المحلية والطفل الاحمر بمدخنته من الاحجار المكلسة فى ناحيته الجنوبية ، قرب الجدول ، وقاعدته التى يبلغ ارتفاعها خصر رجل وتتجه شمالا والى اسفل التل بدرجة طفيفه على امتداد يبلغ اثنى عشر قدما . واعلى قاعدة الفرن كان وعاء العصير . كان هذا مفخرة عائلية تحتزن بحرص فى اعلى صندوق خزن الدرة حين لا يستخدم . وقد اشرف الجد شخصيا على صنعه ، وكان يعمل بكفاءة .

كان مصنوعا من لوح من النحاس الاحمر مثبت باحكام فوق اطار من قطع الخشب وبه ثقب رتبت ببراعة يمكن فتحها واغلاقها حسب الحاجة من اجل توالى مراحل العصير . وفى كل عام كانت تتركب فوق الفرن وتسد الشقوق بعناية بالطين الطفى حتى لا يتلوى الدخان من حول الحواف الى عيون العمال .

وكان خشب الصنوبر يقطع فى شكل احبال بطول اعمدة السور وتحتزن فى جانبه . كانت تغذية النار فنا فى حد ذاتها ، اذ كان ينبغى أن تكون النار حارة بالقدر الذى يكفى لطفى العصير والا تكون حارة بالقدر الذى يحرق الوعاء . وفوق الوعاء قرب المدفأة كان يركب نصف برميل مع شريحة من قصب مقشر كسدادة للثقب الذى كان يقع قرب القاع . كان العصير يحمل من العصاراة الى هذا الخزان ويصب خلال الكيس الذى يغطيه ، والذى كان يصفيه اكثر ، وهو مايزال يستبعد الزنابير . وكان العصير عندئذ يطلق فى القسم الاول من الوعاء ، وتحمى النار ، ويبدأ صنع العصير .

وحين كان عصير القصب الطازج يطفى ، كان زبد اخضر كثيف يرتفع من السائل غير الشفاف ويزال بواسطة القشادين . كان هؤلاء الرجال مزودين بمصاف قصديرية مربعة فى نهايات اعمدة بطول مقبض المعزقة . حين كان العصير يطفى ، كانوا يقشدون الزبد من على السطح ويضعونه فى برميل آخر الى جانب الفرن تماما ، واعمدة المصافي تحدث صوتا من ضربة مدوية على شفة البرميل .

وحين كان العصير الذى يطفى يطلق بشكل متوال وهو يزداد كثافة وصفاء من قسم الى آخر ، كانت طبيعة القشيد تختلف من زبد ليمونى اخضر الى احبال بيضاء سميقة . وكان القشيد يستمر حتى ينساب السائل الذى يطفى اخيرا الى القسم الاخير كانه جدول يصل الى بحيرة . عند هذا الحد كان يصبح شفافا متلألئا فى لون كمان

جيد ، ويصفى من خلال قماش أبيض رقيق فى دلاء قصديرية يحكم اغلاقها . كان الواحد يحمل معه الى العمل بسكويات باردة دهنت بالزبد ويأكلها مع الشراب الساخن الجديد .

كان برميل القشيدات يبهر الصبى . كان له مظهر شرير مثل مسطحات طينية تغلى تكسو جوانبه قطرات دهنية خضراء خشنة ، تسيل على السطح الخارجى وتتجمد قشورا قبل أن تستطيع بلوغ الارض . كان السائل داخل البرميل مقطى تماما بطبقة سمكها اربع بوصات من الزبد الذى كان يجتذب حشودا من الزنابير ، تسقط نسبة كبيرة منها فى الفخ القاتل وتفوص فى النهاية الى السائل الذى يقع أسفلها . وقد سمع الصبى أن حيوان أوبوسوم اذا جاء فازيا بالصدفة كان ليفقد توازنه ويهلك فى برميل القشد . لم يكن قد شاهد هذا قط ، لكنه لم يشك فيه مطلقا . ولو أن تنيئا شريرا ، أحمر العينين ، كرية الانفاس خرج من ذلك البرميل ، لاصابه الدهر لا الدهشة .

لم يكن خزان الفسالة المتبقية من صنع الشراب يفرغ . وحين كان الوعاء قد أزيل ، ونظف ، وخزن ، وحملت البراميل الاخرى على العربة الى حظيرة واقية ، كان معمل الشراب يبدو مهجورا موحشا . ورغم ذلك كان برميل القشد يظل . وحين كبر الصبى عرف السبب .

كانت القشيدات تتخمر بدون اضافة شئ آخر اليها . كانت ايام اكتوبر الدافئة تحدث غليانا وهديرا فى اعماق السائل المتبقى فى ذلك البرميل ، وتتصاعد فقاعات كثيفة كبيرة محدثة أصوات غطس فى الماء خلال غطاء الزبد . وبعد أن تنتهى أصوات البقبة ويصبح البرميل هادئا مرة أخرى ، فانه كان ممتلئا بالجة ، أو « ظبى قصب السكر » كان الجد يترك هذا للزنوج الذين يعيشون فى المزرعة ، مع الفهم الضمنى الا يتكلم أحد عن ذلك . وذات مرة سمع الصبى الجد يقول لفريمان ، « لا تقرب تلك المادة قبل أن تفرغ من عملها ، والا فانها سوف تجعلك تتقيا ككلب . انتظر أسبوعين . »

لم يسمع الصبى قط عن شخص أبيض يشرب ظبى قصب السكر ، وبالفعل لم يكن كثير من الزنوج ينغمسون فيه . وحين كان الصبى عائدا من حظيرة الابقار وهو يحمل دلوين ممتلئين بالحليب يوم السبت بعد انتخابه فى المدرسة ، رأى فريمان ينحدر على طول الحارة .

وطالما كان دمثا بشكل لا يخيب وناعم الحديث ، فان فريمان كان يتمتع بحلاوة طبيعة فطرية جعلت الجميع يحبونه . كان من الممكن أن يكون أثيرا لدى الصبى حتى ولو لم يكن والد بدى .

منذ عدة أعوام مضت كانت بعض البغال قد جمحت به وأذت كتفه، ولم يشف تماما . ونتيجة لهذا كانت ذراعه اليمنى تتدلى مثل مذراة متراخية . كان بإمكانه أن يقبض على الأشياء بها وأن يجذبها ، لكن كانت أية حركة من الكتف مستحيلة ، وكان من الضروري أن يرفع الذراع الى مكانه باليد اليسرى . عندما كان فريمان يمشى كانت له خطوة متراخية متعائلة على أية حال ، وكان تأثير الذراع المتدلى ان جسده يبدو مثل دمية من خرق ترف على طول الطريق .

حين كان الآن يقترب ، بعد طلوع شمس نوفمبر الباردة بساعة ، لم يلاحظ الصبى أول الامر أى شيء غير عادى وصاح به بتحية خلوية ، فى صباح باكر ، مبتهجة . صاح قائلا ، « صباح الخير ، يافرى . »

لم يجب فريمان لكنه راح يجزر قدميه على طول الطريق بدون دلالة على الإدراك . كانت عيناه منتفختين وحوافها حمراء وبأركانها ترسبات صمغية لزجة . وكان فمه فاغرا ، والشفة السفلى تتأرجح باسترخاء يسيل منه لعابه . كان يتنفس بتنهدات هائلة منتحبة ويتمتم لنفسه بشكل غير متماسك بأداء رتيب منتحب خفيض . كان على الصبى أن يخطو جانبا ليدعه يمر ، ورغم ذلك لم يره فريمان . تشمم الصبى نفحة من أنفاسه وتقيا . لم يحاول أن يتكلم ثانية لكنه راح يراقب الرجل يتخبط فى طريقه بين مخزن الدرة ومخزن التبن ويعاود السير فى الممر المؤدى الى بيته .

وعندما استأنف رحلته الى البيت الكبير حاملا الحليب ، هز الصبى رأسه . قال لنفسه ، يالبدى المسكين . اغرف شعوره . على الأقل لم يكن أبى تفوح منه رائحته بهذا الشكل السئ .

وفيما بعد فى ذلك الصباح خرج الصبى فى جولة على الطريق المؤدى الى البيت الذى انتقل اليه ويس عندما توفي جيسى آرنولد . كان ويس الآن أكثر الجيران التصاقا بفريمان ، حيث ان ممر العربات المؤدى الى بيت فريمان كان يمر مباشرة بفنائه الجانبى . وجد ويس يغلق ويخزن زادا شتويا من خشب الوقود لماى ، وسر الرجل لتوقفه ، ولف سيجارة ، وللزيارة . وبعد تبادل بعض الملاحظات

اللطيفة ، سألته الصبى ، « ويس ، ماذا دهي فريمان ؟ »  
أجابه ويس ، « ماذا تعنى ، ماخطب فريمان ؟ متى رايت  
فريمان ؟ » .

« رايتته فى الصباح الباكر . لا اعرف أين كان ، لكننى أظن انه  
كان عائدا الى البيت بعد قضاء الليل فى الخارج . اقترب الى مسافة  
ثلاث ياردات منى ولم يعرف اننى كنت هناك ، حتى حين خاطبته ،  
كان يبدو فى حال شنيعة . » وصمت وأضاف ، « وكانت رائحته  
شنيعة . »

ألقى ويس نظرة باتجاه بيت فريمان ثم قال سرا ، « لقد ظل على  
هذا الحال أكثر من أسبوعين الآن . وهو يقع ويتعثر معظم الوقت  
فى الطريق الى بيته عبر فنائى ، لانه لا يريد أحدا من البيت أن يراه ،  
وخاصة السيد بورتر . » وألقى ويس بنظرة مأكرة وأضاف بأسلوب  
متعال ، « سوف يستاء فرى بشدة عندما يكتشف أنك ضببطته على  
هذا الحال . لم يكن ليأتى مطلقا من خلال فناء البيت الكبير لو انه  
كان فى وعيه بما يكفى لان يفكر أن يراه أى واحد . »

« ان حالته تبدو سيئة ، ياويس . انا قلق عليه . كان جلده يبدو  
رماديا ، وقد سمعت دائما أن الشخص الملون لا يكون بصحة جيدة ،  
مالم يكن جلده لامعا . »

« أظنك على حق ، ياسامبو . اذا لم تنته هذه القشيدات سريعا ،  
فان فريمان عرضة لان يقتل نفسه . أن كل واحد آخر يتناول شربة  
منها ويدعها ، لكن فريمان يرقد مع ظبى السكر العجوز ذاك كل  
صباح ، وعصر ، ومساء . لقد جعله يتمكن منه حتى شعره القصير ،  
وسوف يقتله بالتأكيد اذا لم يكف عنه . »

قال الصبى بحدة ، بمسحة غطرسة طفيفة ، « حسنا ، اعتقد  
اننى استطيع ان اعتنى بهذه المشكلة . »

لم يقل شيئا لاحد فى العائلة ، لكنه خرج بعد الغداء فى رحلة عبر  
الحقول . كان هدفه معمل الشراب . كانت الشمس ساطعة متألقة ،  
وكان يشعر بالدفع بالقدر الذى يكفى لان يجعله يسير بخطوة عادية .  
كانت فضلات حصاد الغابات قد جمعت للشتاء ، وكانت كل الاشجار  
عارية فيما عدا شجرة بلوط عرضية كانت تحتفظ بأوراقها البنية كل  
عام بعناد حتى كان صراخ رياح مارس يسقطها على طول الطريق  
الى النهر . وكانت هناك شجرة حور بأطراف الغابة ترتفع الى أعلى



مباشرة ، وقد حملت قرنة تحمل البذور فى نهاية كل فرع ، تلمع  
مثل شمعدان هائل فى شمس نوفمبر . كسان الصبي يخطو  
باستمتاع خلال هذا العالم . كان قد خرج فى حملة صليبية مقدسة .  
هنا نفسه ، « انك تكبر حقا . ترى مشكلة ، تجد السبب ، وتصلحها .  
هذه مسئولية حقيقية ، ولم تكن مضطرا الى التماس النصيح من اى  
واحد آخر . بل انك ستكون رئيس فصل جيد . » كان يشعر انه  
فاضل جدا .

قال لنفسه « عندما اكبر وينتقل المكان الى ، سوف اديره بطريقة  
مختلفة . اول ماسافعله هو ان اشترى كل مزرعة متصلة بنا وانتهى  
باكبر مزرعة فى كل ولاية جورجيا . سوف اهدم كل بيوت المااجرين  
هذه وابنى بيوتا من الطوب الاحمر الصلب باضواء كهربائية ومياه  
جارية . وسوف يكون هذا المكان لطيفا الى درجة ان كل واحد سوف  
يستجدى العيش فى مزرعة سامبو . وسوف ارفعهم واكون طيبا  
حقا معهم ، ولكن سيكون عليهم ان يحسنوا السلوك .

لن يكون هناك اى شرب مطلقا فى مزرعتي ، وسوف يستعمل كل  
واحد يوميا ويرتدى ملابس نظيفة . وسوف اقوم بتفتيش البيوت  
كل اسبوع ، ولا يستطيع اى واحد ان يحرق جزءا من البيت اجرد  
انهم اكسل من ان يحصلوا على خشب وقود . وسوف يكون على  
الاطفال والصفار ان يرتدوا حفاظات ويكفوا عن الجرى فى ارجساء  
المكان عرايا حتى لا تفوح البيوت برائحة البول . ولن اجلد احدا او  
العنه . واذا لم يعيشوا عيشة صحيحة فسوف اجعلهم يرحلون ،  
وسوف يحب الجميع السيد سامبو .

ظل غارقا فى افكاره حتى بلغ معدل الشراب ، بدون صخب  
ونشاط وظيفي ، كان المكان يبدو بلا مغزى . كانت عصارة القصب  
بعمود التوجيه المتدلي تقف مهجورة وسط دائرة كومة المصاصة ،  
التي كانت قد تعفنت بالفعل الى نصف ارتفاعها الاصلى . وبدأ الفرن  
بدون نار وبدون الوعاء النحاسي اللامع مثل مدخنة كوخ هجر منذ  
زمن بعيد .

كان برميل القشيد يقف فى وحدة موحشة . دنا الصبي منه  
بهدف . وقف على اطراف اصابع قدميه ليلقى نظرة بداخله . كان  
مايزال ممثلا الى اكثر من نصفه . وحين مال على البرميل دفعه  
بمنكبه ، تحرك السائل مرسلا رائحة كريهة اصابت الصبي بالقيئان

فابتعد ستة أقدام الى الخلف . تذكر حظيرة الخنازير عندما كانت الحيوانات المتخمة قد بلغت حدا من السمنة تجعلها قانعة بالرقود فى هدوء فى المزيج الكريه من الدرة الحامضة والروث الذى كان يغلف الحظيرة . تمت بصوت عال ، « كيف يمكن على الإطلاق لاي واحد ان يقف ليشرب تلك المادة ؟ » ثم اضاف صامتا ، لا عجب ان يسدو جلد فريمان مثل الرماد .

عاد الى البرميل وامسك بحافته بكلتا يديه ، وهو يبذل ما فى وسعه حتى لا يستنشق بعمق . دفعه ، لكن البرميل ، وقد غاص بحكم ثقله فى التربة الحمراء الناعمة اسفله ، تحرك بضع بوصات فقط ولم ينقلب . ارتج السائل بداخله بقوة اكبر ، على أية حال ، وكان على الصبى ان يتراجع ثانية . ظل يدفع حتى دمعت عيناه ، وفى هذه اللحظة سمع صوتا .

« هيه ، سامبو . »

ورافعا عينيه ، رأى فريمان قادما أسفل التل من بيت دوليفر باتجاه الجرف الذى كان يقع فوق المستنقع . لم يعرف قط ما اذا كان ظهور الرجل فى هذا الوقت بالذات صدفة ام اذا كان قد تلقى تحذيرا من ويس بأن الصبى كان يعيث فى أرجاء معمل العصير . لم يهتم بأن يكشف . كان الشخص الذى جاء يمشى متشاغلا يترنح بسرعة أسفل التل . اقترب الصبى من البرميل مرة أخرى .

صرخ فريمان ، « يا الهى يارب ، لا تحركه ! أرجوك لا تحركه ، ياطغلى العزيز ! سوف يفسد اذا فعلت . »

امسك الصبى البرميل باحكام وأسند ظهره الى جانبه ، فقال .

وجاءه الخوار المهتاج ، « ايها الكابتن الصغير » رفع الصبى عينيه مرة أخرى حين سمع اللقب العاطفى الدمث . كان الشخص قد دخل مندفعاً فى عدو يجزر فيه أقدامه . كانت الذراع اليسرى مرفوعة وممتدة تلوح باهتياج من الكتف . وكانت الذراع اليمنى تهتز وتتساقط مفككة مفككة الاوصال من عند المرفق . كان منظرا مضحكا ويشير الاشفاق فى آن واحد . ضحك الصبى .

جذب البرميل اليه بحركة أرجحة ودفعه مرة ثانية . مال أكثر لكنه لم ينقلب . وخطر للصبى أن مرة أخرى واحدة كفيفة بقلبه .

وجاءه التوسل المهتاج من الرجل الذي كان يقترب بسرعة ،  
« أنصت الى ، ايها الرئيس الصغير . أنت صديقي الطيب وأنا  
أحبك كأولادى . أرجوك ألا تريقه ! وإذا لم تفعل فساقل أى  
شئ فى العالم تطلبه منى ، ولكن باسم يسوع اللطيف ، أرجوك  
ألا تريقه . »

كان من الأجدر به أن يوفر أنفاسه . فمع أرجحة البرميل وجذبه  
استجمع الصبى أقصى قوته ، وانقلب البرميل الثقيل،مرسلا النفاية  
التي به فى سيل كرية الرائحة فوق اقدام فريمان الذى لا يصدق .  
ومختطفًا القبة من على رأسه ، ركع فريمان على ركبتيه. وحاول أن  
يمسك بآخر السائل الكرية الذى كان يسيل من البرميل المقلوب .  
ولاحظ الصبى الجناح المزوى المضحك لما كان يفترض أنه كان ذات  
يوم عصفورا انجليزيا . وأعلن ، « لا نستطيع أن نشرب هذا ،  
يا فريمان ! » .

رفع الرجل عينيه اليه ، وعيناه الحمراءوان تبكيان وتبدوان  
ماساويتين . سأله ، « كيف فعلت هذا ؟ أفضل لو أنك قضيت على  
كيف فعلت هذا ؟ كان هناك الكثير فى الداخل هنا ، بكفينى حتى  
عيد الميلاد تقريبا . اننى أهب كل شئ لو أنك لم تفعل هذا . »  
« لقد فعلت هذا لصالحك ، يا فريمان . أنت على وشك أن  
تقتل نفسك بذلك الصنف العتيق ، وقد جئت الى هنا لائنى  
لا أريد أن يحدث أى شئ سئ لك . فعلته لصالحك وفعلته  
من عمد . »

تمتم فريمان وهو لا يصدق : « صالحى أنا ؟ » وأرتفع صوته ،  
« صالحى أنا ؟ تظن اننى أشرب هذه الغسالة ، هل أقدر على شراء  
مشروب مثل أبيك ؟ كيف تدرى ما الذى يجعل رجلا مثلى يحتاج  
الى مشروب فى المقام الاول ؟ كيف تعرف مايجرى بداخلى ومالا أتحدث  
منه أبدا ؟ من نصبت حيث تعرف ما هو فى صالحى وماليس كذلك ؟  
مالذى تعرفه عن الاستغراق فى النوم والنسيان ؟ لقد ذهبت وعشت  
فى أمور زنجية ، يا صبى ، فى حين كان يجب أن تبقى فى بيتك . »  
وحدق فى جزع محير فى الریش البلل الذى كان فى قبعته التى  
يتسرب منها المشروب . وبيطء أفرغها واسقطها بين ركبتيه .  
قال الطفل المبتلى ، « آسف اذا كنت قد أزعجتك ، يا فريمان .  
كنت أحاول أن أساعدك . »

رفع الرجل عينيه الى الصبي وحدث مباشرة فى عينيه ثم صرخ ،  
بعواء مكروب ، « لعن الله روحك ، ياسامبو ! »

أجبال من الغريزة جعلت الصبي يسحب يده لا اراديا . كان  
البروتوكول واضحا ، وقد كانت هذه أساءة لا تغتفر تتطلب ثارا  
فوريا . أرخى فريمان عينيه وانتظر الضربة . ويطء اسقط الصبي  
ذراعه واستدار خارجا .

كانت سحبات رمادية قد غطت الشمس ، وكانت فروع شمعان  
شجرة الحور فى النهاية كثيفة ، قنات بها بدور ميتة . وكانت ربيع  
نوفمبر نحيلة ودنيئة . كانت أغصان شجرة البلوط الاحمر الكثيفة  
الداكنة فى فناء هنرى دوليفر تنتشر على سماء كثيفة كانها اطلال  
درويدية قديمة .

حين استدار الصبي قارقا فى افكاره ، لم يكن يشعر بأنه فاضل .  
شعر بغير ارتياح أنه كان صغيرا وضئيلا للغاية .

شعر بفثيان طفيف تلك الليلة ولم يستطع أن يتناول أى عشاء .  
أنهى أعماله وألم يقرض فى منتصف بطنه عزاه الى الجوع ، لكن  
فكرة الطعام كانت تثير فيه التقزز . وطبع على وجنة أمه قبله النوم  
بعد صلوات المساء مباشرة وصعد الدرج الى غرفة نومه . أصبح  
الالم أسوأ ، ولم يتمكن من النوم . سمع كل من بالبيت يأوى الى  
فراشه ، وزاد الالم حدة . نهض وتقيأ وظن أنه سيشعر بتحسن .  
وبدلا من ذلك راح الالم يتربى فى موجات ذات حدة أكبر . وعند  
منتصف الليل كان يئن ويبكى . كان الالم شديدا حتى شعر  
أنه لا يمكنه تحمله . سمع سيارة أبيه فى الفناء الخلفى . وفى  
يأس هبط من سريره وقابله فى غرفة الطعام بدموع تسيل على  
خديه .

سأله الاب ، « أى شئ فى العالم أصابك ، يابنى ؟ هل دخلت  
معركة اليوم ؟ »

ومائلا الى جانبه الأيسر ومترنحا بكى الصبي ، « أوه ، يا أبى ،  
إن معدتى توجعنى بشدة لدرجة أنني لا أستطيع احتمالها . وقد  
كنت أتقيا ، وأنا أعرف أنه ليس شيئا أكلته لأننى لم أتناول أى  
شئ منذ الغداء . »

قال الاب ، « دعنى أرى . ليس من شيمتك البكاء . هل هنا  
ما يؤلمك ؟ »



وبعد محاولة سبر قصيرة وبضعة أسئلة أخرى ، أيقظ الأب  
الأم . « فيرا أخرجى للصبي بعض الملابس . سوف آخذه الى  
البلدة واجد طبيبا . انه يشكو من ألم حاد في جانبه الايمن .  
يا للجحيم ، لا ، لا اظن انه يحتاج مسهلا ، اعتقد انه يحتاج الى  
طبيب . لا تحاولي ان تثبتى ذلك الزرار العلوى . الا ترين انه  
يؤلمه ؟ لا ، لا احتاج الى أحد ليقود ، اللعنة ! سوف أبلغك  
حالما أستطيع . »

حمل الصبي بين ذراعيه وحمله الى الخارج الى السيارة ، وهو  
يضعه برقة كطفل على المقعد الخلفى . كان الركوب على الطرقات  
بحقرها الى البلدة مباراة فى التحمل . حاول الصبي أن يكبت أناته  
عندما ارتطمت السيارة بتواء لان أباه كان يقسود أسرع ويضرب  
التواءات بشكل اقوى فى كل مرة كان يثن فيها . ورغم الألم كان  
الصبي مبتهجا بالاهتمام والقلق اللذين يبديهما أبوه . انه يحبني  
حقا ، هكذا خطر له وهو يتقيا فى صمت فى المنشقة التى كانت  
أمه قد أعطتها له . لم يعد هناك شيء يخرج ، لكنه ظل يتقيا  
ويلهث .

قاد أبوه السيارة الى بيت الطبيب وأيقظه ، ثم ذهب الى الصيدلية  
ليستظر وصوله . راح يؤكد للصبي أن كل شيء كان على مايرام وأشعل  
سيجارة من الاخرى فى هذه الاثناء . وعندما قام الطبيب بفحصه ،  
اعتدل وقال ، « أن بطنه جامدة ولديه الارتداد حقا . ليس هناك  
شك على الاطلاق فى أن هذا التهاب الزائدة الدودية ، وعليك أن  
تأخذه الى أتلانتا لجراح ، بسرعة . سوف أحصل لك على أفضل  
واحد أعرفه ، الآن حالا . »

أدار ذراع التليفون ، وخاطب العامل ، وبعد حديث بدا أنه لاينتهى  
أصدر تعليماته للاب ، « أحمله الى مستشفى كروفوردلونج فى شارع  
ليندن المتفرع من شارع بيتش ، التى كانت يوما ما مصحة ديفيس  
- فيشر . لدى جراح جيد سوف يستقبله . »

وأجاب على طلب الاب الاجش قائلا ، « حسنا ، ليس هناك أى  
جدوى من ركوبى معك الى هناك - ليس هناك شيء آخر يمكننى أن  
اقوم به للصبي ، ولكن ، « وبنبرة لطيفة لينة ، « اذا كان هذا يريحك ،  
فسوف أذهب معك . هيا نتحرك . »

كانت الرحلة الى أتلانتا قبشة من الألم وانطباعات مشوشة . كان

الآب يميل على عجلة القيادة ، ورأسه في سحابة من دخان السجائر ،  
وكان يقود كما لو كان شيطان قد تلبسه ، تشبث الطبيب بذراع المقعد  
وراح يدخن مثل أبيه تماما ، ويتحدث كما لو كان يحاول أن  
يهدئ من نائرة شيطان . رقد الصبي في المقعد الخلفى وتساءل عما  
إذا كان سيموت ..

كانت هناك انفساحة ضخمة وممرات ترجع الصدى واضواء باهرة  
في المستشفى مع حشد من الناس في ثياب بيضاء يندفعون في أرجاء  
المكان في تلك الساعة المبكرة من الصباح . وفي لمح البصر وجد  
الصبي نفسه ، في ثوب قصير ، رقد على عربة ذات عجلات مطاطية  
والطبيب ينحني فوقه بطريقة مطمئنة .

« أبوك لا يمكنه أن يذهب الى أبعد من هذا ، وسوف أبقى معك ،  
لا تقلق ، لان دكتور ستانسيل العجوز هو افضل طبيب في البلدة ،  
وسوف يشق بطنك ويخرج هذا المصراغ الاور العفن ، وعندما  
تستيقظ سنكون هناك ولن تشعر بالآلم وسوف يكون كل شيء على  
مايرام . »

رقد الصبي في رعب . كانت بطنه توجع اكثر من أى شيء كان  
قد تخيله . فكر في جون مارك كمان . فكر في كل نقطة خارج المقعد  
والسيد دورسم ، وبنات المقاطعة المتحدات واحتياطي الفرقة الامريكية  
وجمعية النساء المشات المتحدة والطريقة المختصر القسوس الى  
الحائزة . عرف عندئذ انه كان سمعت . عرف انه كان يستحق  
الموت . خاول أن يصلى ليسوع لكنه ظل يفكر كم كانت امه  
ستنزعج .

وعندما دفعوه على عجلات العربة الى غرفة العمليات ، صابها الدم ،  
لا يضدا وهي تتألق مثل الثلج في شمس الضوء الباهر المعة ، في  
منتصف الهواء ، كف عن محاولاته الصلاة وقرر ان يموت كرجل .  
مض على شفتيه وكبت قبح الآلم عندما نقل الى طاولة العمليات  
وسدت ممرضة رأسه بين ذراعيها كأنهما مهد وأرتة شيئا بدا مثل  
مصفاة شاي وقد ربط حولها قماش مما يصنع فيه الجبن . « سوف  
أضع هذا على أنفك وأريدك أن تتنفس بعمق . سوف تعبد الرائحة  
قريبة ، ولكن لا تخف . »

نظر في وجهها وبعينين جافتين وشفيتين ثابتتين أعلن اكبر كذبة  
في حياته ، « لست خائفا ، افعل ما تريد ان تفعله ، انا على

## استعداد للذهاب :»

وعندما بدأت رائحة الاثر الكثيفة الخطوة تخنق أنفاسه ، كان ما يزال لديه اصرار واع أن يقاوم العراك والصراخ . تنفس بعمق . كان على اسطوانة فونوغراف يدور ، يدور أسرع وأسرع ، وكانت الاضواء تومض أكثر وأكثر تألقا . وسمع صوت الممرضة . « انه أفضل صبي رأيته على الإطلاق . لكنه الطف من ان يعيش . » دار بسرعة أكبر وأكبر . وذابت اسطوانة الفونوغراف من منتصفها وأصبحت دوامة . وراحت الكلمات تتواتر أسرع وأسرع ، « الطف من ان يعيش ، الطف من ان يعيش ، الطف من ان يعيش ، الطف من ان يعيش يعيش يعيش يعيش يعيش ، » وأصبح كل شيء مظلمًا وساكنًا وهو يسقط . بلا نهاية والى الابد - الى اسفل .

استيقظ ، وهو يتقيأ ويئن ، على ادراك أنه كان ما زال حيا . وما أن أصبح أكثر قليلا تكييفا مع الواقع ، أدرك أنه كان فى حجرة عادية وان ممرضة كانت تمسك بقلم صغير تحت خده وهو يتقيأ . فتح عينيه . كان أبوه والطبيب عند النافذة ، يدخلان سجائر ويتفرجان على الشمس وهى تطلع . كان ألمه قد زال . مرور يدا فوق بطنه . كان الجانب الايمن مغطى بضمادة ثابتة محكمة مثل مشد . كان هناك بعض الألم تحته . انزلت يده وضربت عضوه التناسلى ، وانكمش ألما . وناظرا تحت الفطاء ، رأى عضوه مغطى بضمادة لزجة بدم أحمر قان . وكان الشيء الوحيد الذى أمكنه ان يفكر فيه هو أن افضل من بالبلدة الطيب المعجوز الدكتور ستانسيل قد ترك سكينه تنزلق .

صرخ ، « أبى »

ومندفعا فى الحال الى جانب السرير ، أجابه أبوه ، « يالله العلى القدير ، يابنى ، ما المسألة ؟ »

ارتجف الصبى ، « أوه ، يا أبى ، لقد خربونى . لقد قطع ولن أستطيع مطلقا ان اواصل حمل الاسم . »

سأله أبوه ، « ماهو الذى قطع . لم يحدث شيء سوى أنك قد أجريت لك عملية ختان . فعند أن نمت ، أرسل الى دكتور ستانسيل أنك كنت بحاجة الى عملية اخرى صغيرة وانه كان على استعداد ان يقوم بها لقاء عشرة دولارات اضافية ، واخبرته ان يمضى فيها . أنت على مايرام . وقد أخرج الطبيب الزائدة الدودية قبل ان تنفجر مباشرة ، وسوف تكون بخير . »

مال طبيب العائلة فوق السرير . قال يهدئه ، « أنت بخير . علينا  
أن نعود الى البيت . ولكن دعنى اقول لك شيئا عن الختان . هناك  
غرز حول رأس ذلك الشيء تماما مثل كرة بيسبول . ويحسن بك  
الا تنتصب والا فجرت كل غرزة فيه لتنفتح على آخرها » .  
وبجملة تبعث الارتياح ، مضى الرجلان . وعندما أصبح الصبي  
ناعسا ومسترخيا ، فكر لحظة فى معنى جديد للطريق المختصر  
المقدس الى الجائزة . كان مسرورا لانه لم يخبر أى واحد عنه على  
الاطلاق .  
همس ، « أشكرك ، يا الهى ، لانى مازلت صبيا ممن يذهبون  
بعيدا . »



عندما عاد الصبى الى المدرسة ، شعر أنه كان نوعا من البطل بالنسبة لاقرائه . كان التدريب على كرة السلة قد منع لمدة ثلاثة أسابيع ، وقد أكد له أبوه أنه كان سيستمر فى القيام بحلب الإبقار طوال تلك الفترة ، كان المدرسون قلقون على رفاهيته ، وكان يستمتع بغيرور بكل الاهتمام الاضافى . وقد تبنى نظرة محتشمة بأجفان مرتخية حين كان الناس يسألونه اذا كان يشعر أنه بخير ، حتى أنه شرع فى التفكير فى مزايا اعتلال الصحة الزمن .

فى وقت متأخر من العصر كانت الأنسة هانكوك تشرف على قاعة درسه الوحيدة وكانت تعقد فى قاعة الاحتفالات . كانت انضباطية ذات ضمير حى ولم تكن تسمح بأى تهامس او تزاور بين الطلبة . وكانت تصر على أن يكون هناك على الأقل مقعدان بين كل شخص ، وكانت تقوم بخفارة الفرفة كما لو كان هناك امتحان يجرى . كانت ممثلة الجسم وعالية الصوت ، ترتدى سترات صوفية أضيق من معظم المدرسات وقد شارفت بشكل يندر بالخطر على استحقاق تسميتها « مبتدلة » .

كانت مدرسة قاعة الدرس للصف الثامن ولم تكن تقوم بتدريس مواد لطلبة الصف النهائى . كانت هذه هى سنتها الثانية بين أعضاء هيئة التدريس ، وقد كانت معجبة مخلصه بالسيد جيل فى العام السابق . كانت تكره الصبى . كان قد استخدم معها كل حيلة وجاذبيته بلا جدوى . كانت ترفض كل عرض للتفاهم يأتى من جانبه بعداوة صريحة ، وعندما كان يقوم بحملته من أجل انتخابه رئيسا للفصل كانت تؤبد صراحة بطاقة البلدة . وعندما فاز تطوعت بأن تقول له أنها كانت آسفة ، وأحس بالغل فيها الى درجة أنه كان يحاول أن يتجنبها بدقة .

كان جيدا جدا فى قاعة درسها . فقد كان يستغل الوقت فى عمل واجبه المدرسى، ولكن حتى اجتهداه بدا كما لو كان يضايقها . كانت عاجزة عن تجاهله . وفى فترات غير منتظمة كانت تنسل خلف

ظهره على حذاء ذى نعل صمغى وتطلق تعليقاً ساخراً أو تسال سؤالاً  
آثماً . كان قد أقام جداراً يقى به نفسه من أسلاكها الشائكة له درع  
سميك الى درجة أنه حتى لم ينكمش حين أبدت ملحوظة بصوت عال  
بالقدر الذى يكفى لان يسمعه جيرانه ، « كل الفتيات يقلن لى أن  
منظرك يستحق الفرجة وانت فى رداء كرة السلة . وأنا أشعر  
بالأسف من أجلك ، » أو ، « لقد أخبرنى شخص ما أن والدك يمتلك  
نصف حصّة الصيدلية . هل هذا صحيح ؟ »

تظاهر بأنه لا يتعرف على أى سخريّة فى تعليقاتها وادعى وداعة  
لم تفهمها . لم تكن قادرة على أن تتركه فى حاله . بعد ثلاثة أيام من  
عودته الى المدرسة تسالت فى صمت خلصة ، وعندما شعر بوجودها  
ورفع إليها عينيه ، قالت ، « أرى أنك عدت . »

أجاب ، « أجل ياسيدتى . أشكرك ، يا آنسة هاتكوك . »  
وأصليت قولها ، « لم أكن واثقة أنهم أجروا لك عملية ، حتى سمعت  
السيد دورسى يسأل المدير اذا كان بإمكاننا أن نعطيك تقطاً خارج المقرر  
لإزالة الزائدة الدودية . »

ومضت مميتة مثل ميديوزا . وبموضوعية باردة لاحظ الصبى  
ترجرج عجيزتها الوقع واقسم فى صمت ، بمجرد أن أقرر أننى  
لا أريد تقطاً أخرى فى السلوك ، سوف أجعلك تتمنين لو أنك لم  
تسمعى بى - لا أدري حتى الان كيف سأفعلها ، لكننى سوف أسوى  
حسابى معك على هذا ولو كان هذا آخر شيء أفعله . دفن رأسه  
فى كتابه وقرر أنه لن يخبر السيد دورسى بهذه المواجهة . ومع  
ذلك ..

واصل تفوقه فى دراسته . كتب خطبة لنادى المزارعين الامريكيين فى المستقبل تحت عنوان ، « اثر مشروع قانون الاجور وساعات العمل المقترحة على الزراعة فى امريكا . فاز بمسابقة الخطابة الفرعية فى المنطقة معها وادخل السرور على المدير الى درجة انه منح خمس نقط اخرى لصالح الصبى . وجه المدير الدعوة الى الاب لمرافقتهم الى مسابقة المنطقة ، لكن الدعوة رفضت بادب . وعندما فاز الصبى بالمسابقة ايضا ، منحه المدير خمس نقط اخرى . ومن حالة الاثارة التى تملكته قام بعمل مكالة خارجية للاب لينقل اليه الاخبار الرائعة . وعندما وضع السماعه بدأ مستغرقا فى التفكير ومنعزلا للحظة ثم قال للصبى ، « ان لايبك بالتاكيد رايًا رائعًا فيك هل تعرف ماذا قال لى ؟ قال « لست مندهشا مطلقا . لقد قال لى انه سيفوز ، وهو لم يكذب على قط حتى الان . ليس هناك كثير من الاولاد لهم مثل تلك العلاقة مع آباؤهم . انت محظوظ . »

تمتم الصبى بشئ مذهب مستنكرا لكنه ركب السيارة عائدا الى البيت بقلب جياش . لم يكن فقط قد ارضى اياه ، لكنه كان ايضا قد ناقش صف الزراعة وربح عشرين نقطة لم يكن فى وسع اى واحد ان يدنو منها .

وفى الاسبوع التالى وزعت الآتسة بىرى قائمة بالموضوعات العامة للمقال الفورى . وتمكن الصبى من ان يقلص واحدا منها الى « المزارع الجنوبي والتشريع القومى المنتظر . » وبتغيير طفيف فى خطبته عن الزراعة ، فاز بالمرتبة الاولى على المستوى المحلى بالمقال ثم فاز على مستوى المنطقة . ولما كان رئيس فريق المناظرات فى هذه السنة النهائية فى المدرسة الثانوية ، فانه فاز هو وزميله من الصف قبل النهائى بالمرتبة الاولى فى تلك المناسبة فى اجتماع المنطقة . وقد شكل هذا مجموعا كليا من خمس عشرة نقطة فى المناظرة لهلدا العام . وخمس عشرة فى المقال الفورى . وعندما وصل الربيع الى قمة ازدهاره كان استنتاجا مسبقا انه سيكون من يقول خطبة الوداع من الصف .

وتصادف أنه سماع الأنسة هانكوك فى عصر أحد الأيام توجه تعليمات حازمة الى فتاة فى قاعة الدرس بشأن النحل الطنان الذى كان يتدلى من تحت الافريز خارج قاعة الاحتفالات وهو يطن مستقرا فى مكانه . وكان ينقض من آن لآخر على نحلة أخرى متطفلة ، ليعود الى التحليق محدثا طنيننا منوما فى نفس البقعة بالضبط .

« يا مارييس ، هذا أسخف ما سمعت به على الإطلاق . ان كل النحل يلدغ . ولن تجلسى هناك وتقنعينى بأن هناك نحلة لا تلدغ لمجرد أن رأسها أبيض . وعلاوة على ذلك ، من ذا الذى سيقوم بفحص رءوسه مطلقا ؟ ان ذبوله هى ما يسبب المشاكل . على أى حال ، انا أخشى كل النحل لدرجة الموت ، ولا يهمنى كم تشعرون جميعا بالحرارة فلن نفتح ايا من هذه النوافذ . انت لن تختنقى ، وانا لا استطيع تحمل فكرة أن تدخل واحدة من تلك المخلوقات الى هنا . »

ومتظاهرا بالاستغراق فى واجبه المدرسى ، انتفض الصبى حين واثته فكرة . كان يعلم أن هناك أناسا نشأوا فى البلدة يعيشون غير مدركين للنحلة الطنانة ذات الرأس الأبيض . كانت مماثلة لنظيرتها التى نخشى فيما عدا أنها كانت لها بقعة بيضاء بين عينيها الخضراوين اللامعتين المتعددتى الواجهة ، ولم يكن لها حمة فى ذيلها . كان قد سمع رجلا عليما يقول ان هذه كانت أنثى النوع ، وسمع فى مناسبة أخرى رجلا عليما مماثلا يقسم أن النحلة ذات الرأس البيضاء كانت الذكر .

كانت النحلة الطنانة ذات الرأس الأبيض اضافة باهرة الى أيام دغدغة باطن الاقدام الخافية فى بواكير الربيع . وكانت رياضة تستحوذ على الانتباه ان يطوح الواحد باتجاهها يد مكنسة وهى تحلق حول افاريز مبنى تدخين اللحوم أو مبانى المزرعة الاضافية الاخسرى ، وعندما كانت واحدة تصاب بضربة قوية بعد عديد من التطويحات غير المجدية ، كان من السهل تخيل واحدة على أنها الطفل روث والواحد يتفحص النحلة المرتعشة الصامتة على الارض .

وكانت متعة اكبر ، على أية حال ، قبل أن يكبر ، ان يمسسك بواحدة لامعة طنانة فى كامل نشاطها وان يسقطها فى ظهر طفل اتى زائرا من المدينة . كانت ذكرى زائرين يصعب ارضاؤهم بصرخون وهم يتوقعون لسعة لافحة تستطيع ان تثير ضحكات الصبى المكتومة . كانت لديه معلومة ضئيلة عن النحل ذى الرأس الأبيض وكان لديه



سبيل للوصول الى كم غير محدد منه . كانت أمه فى السنين السابقة قد زرعت شجرتى ارجوان من الغابات الموجوده على بل جونز ، واحدة فى الفناء الامامى ، وواحدة فى الفناء الخلفى . كانت شجرتنا الارجوان هاتان ، وهما تتمددان فى لحن قرنفلى مصاحب لشجر القرانيا وهى فى حالتها الطبيعية مستفلتين كل حرارة الشمس والوحدة التى لا ينافسهما فيها أحد ، قد نمتا بحيث اصبحتا شجرتين صغيرتين تمتد قممهما ثلاثين قدما وتمسح فروعهما الارض .

وفى كل ابريل كانتا رابيتين كثيفتين بلون ارجوانى شاحب تعمران بالآف من الحشرات الجائعة . وكان النحل الطنان ذو الرأس الابيض ، على وجه الخصوص ، يعشق شجرتى الارجوان .

فى عصر ذلك اليوم بعد انتهاء المدرسة استغرق الحصول على جرة فاكهة تسع ربع جالون ، ونخس ثقب فى غطائها ، وملئها بالنحل الصاخب المفعم بالحياة ، وقتا قصيرا بدون جهد كبير . ساعدته بحماسة اختيه الصغيرتين اللتين كانتا على استعداد لان تفعلنا أى شئ حتى تهربا من التدريب على دروس البيانو فى يوم ربيعى يفتنى . حتى الصبى نفسه كان متأثرا حين امتلات الجرة عن آخرها ، وشاغلوها محشورون فى صمت يتلوون بدون طنين . تعجب وهو يغلق الغطاء باحكام ، « لابد أن هناك على الاقل ستمائة نحلة بالداخل » .

سرق بكرة خيط جديدة من درج آلة الخياطة الخاصة بأمه وقضى عدة دقائق ينقعها فى ماء موحل ليغير لونها . وفى الصباح التالى كان أمرا سهلا أن يقوم بتهريب جرة النحل فى كيس غدائه الى داخل مبنى المدرسة وأن يختزنه فى خزانته . وأثناء درس التاريخ فى ذلك الصباح ، استأذن وقام بزيارة قاعة الاحتفالات الخاوية . وعند منتصف الممر تقريبا ، وخلف صف من المقاعد ، قام بربط طرف من بكرة الخيط الى رجل مقعد . ثم جررها على طول الارضية الى نهاية الغرفة واخفى البكرة خلف المقعد الذى يقع فى الركن على المنصة الخلفية المرتفعة . وعند الظهر حينما كان الجميع ، بما فيهم هيئة التدريس ، يتدفأون مثل السحالي فى الشمس الدافئة فى الخارج ، تسلل عائدا الى قاعة الاحتفالات ، وهو يحمل هذه المرة جرة الحشرات . حملها اسفل الممر الى المقعد الذى ربط فيه الخيط . ربط الخيط الى عنق جرة الفاكهة ، وفتح الغطاء بحيث توازن بشكل

مفكك فوق النحل المحتشد الغاضب ، ووضعها معتدلة بعناية . كان من الضروري أن يجرى عددا من الأشياء بشكل دقيق لتنجح الخطة ، ولكن كان ينبغي على الأقل ألا يكون هناك شيء يورطه . وبعد الغداء مباشرة ، عقدت الأنسة هانكوك قاعة درس لطلبة الصف الثامن والصف التاسع في قاعة الاحتفالات . وبعد مرور خمس دقائق من درس الرياضيات ، استأذن الصبي للقيام بزيارة الى خزانته ليأتي بالواجب المدرسي المكلف به . خف الى حافة الحائط الفاصل بين قاعة الاحتفالات والممر ، ومد يده الى أعلاها ، ووجد البكرة . كانت الأنسة هانكوك في الطرف الآخر من قاعة الاحتفالات ، وقد عقدت ذراعيها على صدرها ، وهي تجوس خلال الممرات متسللة على نعلي حدائها الصمغيين . وكان الطلبة هادئين كالفران استدارت الأنسة هانكوك وبايقاع بطيء راحت تسير عائدة الى أسفل الممر . وحين اقتربت من البقعة التي كان النحل مخبأ فيها ، أمسك الصبي أنفاسه وجذب الخيط . سمع صلصلة مدوية ورج الخيط . شعر أنه انقطع في مكان ما على بعد ، وبسرعة جذب الطرف المحلول وحشره في جيبه في حين سمع الأنسة هانكوك تقول ، « سالي كيت ، ما الذي أسقطته ؟ »

تحركت بين صفوف المقاعد ومالت في اللحظة نفسها التي انطلق فيها النحل حولها من كل جانب وهو يطن . صرخت . اشتبكت نحلة في شعرها . صرخت مرة أخرى ، وشقت طريقها الى الممر الرئيسي ، وصرخت ثانية . وعندما مالت وراحت تعارك شعرها ذاته ، انطلق النحل صاعدا خلال قاعة الاحتفالات الى المنسوافد . صرخت كل الفتيات في قاعة الدرس . طارت نحلة داخلة الى أعلى تنورة الأنسة هانكوك . أطلقت شعرها وراحت تصرخ باهتياج اكبر . راح النحل يطن بصوت عال ، ويرتطم بزجاج النوافد ، وانطلق صاعدا الى النوافد في الجانب المقابل . صرخ الصبية . ظلت الأنسة هانكوك تصرخ . وتصرخ . وتصرخ . جاء المدير عدوا الى داخل قاعة الاحتفالات .

سأل أمرا ، « أي شيء في العالم دهاكم ؟ »

ترنحت الأنسة هانكوك باتجاهه . وتشبثت بعنقه ، وبهستيريا مبهمة أشارت بشكل مسعور الى زجاج النوافد الذي كان النحل يغطيه نظر الصبي الى وجهها الملتوى القسمات برضى ، وهو يلاحظ ان عينيها

تدوران مثل عيني عجلة منفعة .

قال لنفسه ، حتى لعابها يسيل ، وهو عائد الى الفصل .  
سأله مدرسه ، « ماكل هذا الصخب الذي يجرى هناك ؟ »  
اجابه الصبي وهو يفلق الباب ، « لست أدري على وجه التاكيد  
اظن ان الانسة هاتكوك تعاني من مشكلة مع شيء ما »  
وحين كان يسير بجوار المكتب بعد نهاية اليوم الدراسي ، سسمع  
السيد دورسي يخاطب المدير ، « مستحيل . فقد كان لديه درس  
رياضيات في تلك الفترة . »

واجابه المدير ، « حسنا ، ويستحيل أن تكون سالي كيت جاكسون  
الصفيرة . » وقهقهه ، « كنت أتمنى لو أنك رأيت المنظر ، يادورسي .  
لقد أمضيت خمس عشرة سنة في العمل المدرسي ، وكان ذلك أشد  
منظر إثارة للضحك رأيته على الإطلاق . »

ويبدو أن الحادث كان له أثر طيب على الانسة هاتكوك . فأولا  
أصبحت تميل الى قضاء معظم وقت قاعة الدرس في آخر قاعة  
الاحتفالات وتوقفت عن القيام برحلات منتظمة صعودا وهبوطا في  
الممر وثانيا أصبحت تبدى ملاحظات ساخرة اقل للصبي ، وكانت  
هناك فترات كاملة تهمله فيها تماما .

وفي عصر يوم جمعة جاءت الى مقعده وخاطبته بنبرة عذبة ناعمة  
الى درجة أن الصبي تلوى منزعجا .

سأله ، « هل تسدي لي معروفا كبيرا ؟ »

« أجل ياسيدتي ، اذا استطعت . »

« لقد تسلمنا مرتباتنا عصر اليوم ، وأنا ذاهبة الى بيتنا في كارولينا  
الشمالية لقضاء عطلة نهاية الاسبوع . ومشكلتي أن البنك سوف  
يفلق أبوابه بعد عشرين دقيقة . وحافلتى تغادر بعد المدرسة ، ولن  
يكون لدى وقت لصرف الشيك الخاص بي قبل أن اركب الحافلة .  
وهذه هي النقود الوحيدة لدى لدفع اجرة الحافلة ، وأخشى أن  
السائق لن يكون لديه صرافة . »

صمتت ، بل انها افتعلت ابتسامة على الرغم من أنها لم يكن لديها  
التمالك الذي يمكنها من مواجهة تحديقة الصبي المباشرة . « والشئ  
الذي اتساءل عنه هو ما اذا كان لديك مانع في أن تذهب الى البنك  
قبل أن يفلق أبوابه وأن تصرف لي الشيك ؟ فأنت تحصل على تقديرات  
جيدة بحيث يمكنك بالتأكيد أن تفوتك قاعة الدرس ، وسوف يكون

هذا حقا معروفا كبيرا تسديه لى ؟ »

« يا آنسة هاتكوك ، انت تعلمين ان المدير صارم جدا بشأن وجود الطلبة فى الشوارع . ولديه قاعدة تقول أنك اذا ضبطت فى البلدة بدون مبرر مكتوب ، فانك تجلدين آليا . هل ستكتبين لى مبررا ؟ »  
« أوه بالتأكيد . » وشرعت المدرسة تكتب على عجل على قطعة من الورق . اخرجت الصك الازرق وصدقت عليه . نظرت الى ساعة معصمها ، وهى تدفع بكلتا الورقتين فى يد الصبى ، « ولكن يحسن بك ان تسرع . فلم يبق الا خمس عشرة دقيقة على اغسلاق البنك . »

وسعيدا بمبرر لان يكون فى الخارج فى هذا الطقس الجميل ، قبل الصبى المهمة من هذا العدو الرئيسى بل انه تظاهر بالود . « سوف يسعدنى ان أقوم بهذه المهمة ، يا آنسة هاتكوك . كيف تريدن نقودك ؟ »

اجابته المدرسة ، « أوه ، لا يهم . لا ابالى . لا اريد اى اوراق نقدية كبيرة وسوف احتاج الى بعض الصرافة بسبب سائق الحافلة ، ولكننى لا ابالى حقا . أنك لطيف للغاية ان تفعل هذا من أجلى ، ولكن يحسن بك ان تسرع ! »

وحين كان يمر من تحت اشجار البلوط التى تقع امام بيت آل كليبر ، وهى مشرقة متمائلة بخضرة اوراق الربيع المتفتحة الجديدة ، انتابه الغضب . تمتم ، « الخنزيرة العجوز ! تقضى العام كله تعاملنى ككلب ثم حين تريد شيئا تتعلمنى كما لو كنت ابله . انها تظن اننى قد نسيت كل الاشياء التى قالتها ؟ تراودنى فكرة ان اخبرها بان البنك اغلق ابوابه قبل ان اصل الى هناك وان اعيد اليهسا مسكها القديم . »

مضى الى ان وصل الى سور الانسة روكسى الذى صنع من اوتاد وكان يضم شبكة ممرات البقس المشدبة فى الفناء الامامى الضيق الانيق . كان مايزال هناك مايكفى من الياسمين الاصفر مزدهرا فوق الشرفة الامامية ليعطر الرصيف . ومضت فى ذهنه فكرة ، معتممة ، ثم توهجت بوضوح ملهم . قال بصوت عال ، « يالله ، ذلك رائع . سوف اريها للمرة الاولى والاخيرة بمن كانت تبغث . »

حين دخل البنك ، وجد السيد بانيستر ، طويلا ونحيلا فى ثياب بيضاء ، يجلس الى مكتب فى الركن مع السيد تشارلى رينولدز ،



الذى كان ممسكا بسيجار فى فمه وقبعته مدفوعة الى خلف راسه .  
كان الرجلان مستلقين فى مقاعدهما واقدامهما مرفوعة على المكتب .  
كان ابهاما السيد تشارلى مدهوسين فى حمالتى سرواله .  
قال الصبى ، وهو يتذكر القاعدة الاجتماعية ان السيد الاصفر  
سنا كان دائما يخاطب اولا السيد الاكبر سنا ويتذكر ايضا ان يتكلم  
بصوت عال بالقدر الذى يسمعه به السيد بانيستر الاصم ، « كيف  
حالك ، ياسيد رينولدز . كيف حالك ، ياسيد بانيستر . » وعندما  
تحرك باتجاه صندوق الصراف ، سمع السيد رينولدز يقول : « من  
ذلك الفتى اللطيف ، ياويس ؟ انه فتى رائع . »  
« لماذا ، ياتشارلى ، ذلك ابن بورتر اوزبورن . انت تعرفه . »  
وبعد فترة صمت ، سمع اجابة السيد رينولدز ، « بالطبع أعرفه .  
انه يحدو حدو امه ، اليس كذلك ؟ »  
وعندما مال السيد كرانفورد سيمز ، الصراف ، فوق القاعدة  
الرخامية التى كانت تتغلغل فى قضبان نافذة الصراف ، تظاهر هو  
والصبى بأنهما لا يسمعان .  
سأله بخنة انفية ، وهو يمسك بمبسم سجائر عنبرى فى أحد  
طرفيه سيجارة كاميل تشتعل بجنون ، « ما الذى استطيع أن أؤديه  
لك ، يابورتر الصغير ؟ » كان الجميع فى البلدة يحبون سيمز ، ولم  
يكن الصبى استثناء .  
شرح له الصبى وهو يدفع الصك عبر الرخام ، « الأنسة هانكوك  
تريد صرف صك مرتبها ، ياسيد كرانفورد . سوف تلحق بالحافلة  
المتجهة من هنا الى كارولينا الشمالية ولم يكن لديها وقت لتحضر  
بنفسها قبل انصراف المدرسة . »  
« حاضر . انه مصدق عليه وكل شيء . » استدار الى درج النقود .  
« هل تعرف كيف تريده ؟ »  
« أوه ، نعم ياسيدى . أنا مسرور لانك سألتنى . لقد شددت  
على ذلك . انها تريده كله فى شكل بنسات . »  
اختنق السيد سيمز فى دخان سيجارته ونظر الى الصبى .  
« لا يمكن بأى حال ان تريد كل هذا فى بنسات . فهذا الصك بسبعة  
وتسعين دولارا . »  
واجه الصبى نظراته المتسائلة بصدق أزرق العينين ، دون أن تطرف  
نظرته ، « مؤكد أن هذا خبل ، اليس كذلك ، ياسيد كرانفورد ؟ انها

ذاهبة لقضاء عطلة آخر الاسبوع ، وربما كان هناك عديد من الاطفال  
أو شيء من هذا القبيل . لا أدري لماذا تريده هكذا ، لكن من المؤكد  
أن هذا ما قالته لى . انها مدرسة صارمة ، وانا لم أسألها عن  
السبب . أنت تعرف ما اعنيه . انها من كارولينا الشمالية . هل  
لهذا علاقة بالامر ؟ أو ربما كان الامر انها امرأة . لست واثقا لماذا  
تريده هكذا . اليك المذكرة التى اعطتنى اياها لاحضر الى البلدة ،  
على أية حال ، اذا كنت تريد أن تراها . »

كانت نظرة السيد سيمز المحذقة هى التى انفصلت أولا ، « حسنا ،  
اننى اصدقك . » مد يده فى الدرج واخرج لفافات عملات كلها  
ملفوفة فى ورق بنى ثقيل وكومها امام الصبى على القاعدة الرخامية .  
« لا يمكننى أن أفعل هذا . فليس لدى سوى أربعين دولارا فى شكل  
بنسات . »

طمأنه الصبى بابتهاج ، « هذا على مايرام . اعطنى الباقي فى خمسة  
سنتات . فقد أخبرتنى أن احصل عليها فى أصغر صرافة  
ممكنة . »

وحين شرع السيد سيمز يكوم لفات الخمس سنتات ، هز الصبى  
رأسه برصانة . « أنا لا أعنى أى قلة احترام ، ياسيد كرانفورد ،  
لكن تلك السيدة لابد مخبولة . هل تدرك أن هذا يبلغ أربعة آلاف  
بنس ؟ ذلك أكثر مما يمكن أن يحتاجه احد ! »

أجاب السيد سيمز ، وفى صوته تتسلل نبرة حماسة حين أصبح  
متورطا فى المشروع ، « هذا مؤكد ، يابنى . وهل تعلم شيئا آخر ؟  
ليس لدى سوى أربعين دولارا فى شكل خمسة سنتات . وذلك يعنى  
أنها لن تحصل الا على ثمانمائة منها . » ونظر من فوق نظارته التى  
كانت بلا اطارات . « اظنك تريد الباقي فى شكل قطع من عشر دولار ،  
ليس كذلك ؟ »

قال الصبى بثبات ، « نعم ، ياسيدى . بالضبط مائة وسبعين  
منها ، اعتقد . ومن المؤكد اننى أرجو ألا يخيب ظنها . »  
« حسنا ، أخبرها أننا بذلنا ما فى وسعنا لمثل هذا الاشعار  
القصير . سوف تحتاج الى جوال لتسحب كل ذلك الى مبنى  
المدرسة . » واخرج جوالا صغيرا ثقيلًا كان يبدو مثل كيس تسوق  
من الخيش ، وقد حيك باحكام وزود بمقابض من الخيش . وكوم  
هو والصبى معا لفات العملات بداخله .

« شكرا جزيلاً ، ياسيد كرانفورد . أرجو ألا أكون قد أخسرتك  
عن اغلاق أبواب البنك . فانا أرى أن السيد تشارلي والسيد بانيستر  
قد اتجها بالفعل الى محل فورد . »

« أوه ، لا ، يا بورتير الصغير . فقد أغلقت كل الابواب في الخلف .  
وكل ما على أن أفعله هو أن أغلق السرداب وأن أغلق الباب الامامي  
بالقفل . لقد تأخرت بضع دقائق ، لكن ذلك لا يهم . »  
عندما رفع الصبي جوال العملات وغادر البنك ، أدرك أن رحلته  
الى المدرسة سوف تكون عملاً شاقاً . قال لنفسه . لابد أن هذه  
الاشياء اللعينة تزن ثلاثين رطلا . لم اكن أعلم أن العملات تأتي ملفوفة  
في لفات بهذا الشكل . حديق داخل الجوال ، تمتم ، « انها بالتأكيد  
تبدو رسمية وتشكل فوجاً من الجنود بهذا الشكل . ليس هناك  
شيء مثل كومة من كنز نفيس يمكن لسيدة أن تدرس فيه يديها بانغماس  
مبتهج . »

توقف تحت الاشجار امام بيت الانسة بيرل ولزى وجلس المقر فضاء  
أفرغ الجوال ، وفك كل لفة بعناية واعاد ملء الجوال بعملات مفككة ،  
القطع ذوات العشر دولارات في القاع ، والقطع ذوات الخمس سنتات  
في الوسط ، والبنسات اعلاها . كانت الحمولة المنتفخة من العملات  
المعدنية المارية أكثر مدعاة للارتياح بالنسبة له .

سمع ساعة دار القضاء تثن ثم تدق نصف الساعة . قال لنفسه .  
يا الهى ، يحسن بى أن أسرع . قذف باللفائف الفارغة تحت شجيرة  
الآنسة بيرل وشرع يمشى بأسرع ما يمكنه ، وهو يبدل الحمولة بين  
يديه مراراً . ربما تنال علة العمر على هذا ، لكنها تستحق هذا .  
عندما دخل المدرسة ، كانت الانسة هانكوك تنتظر وحقيبة ملابسها  
عند قدميها . كانت قد ارتدت قبعة وقفازات بيضاء قصيرة . كانت  
بكل وضوح قد ارتدت ابهى ملابسها للسفر . وكان السيد دورسى ،  
المالك الجديد لسيارة قديمة ، قد احتيل عليه ليقلها الى الحافلة ،  
وكان يقف الى جوارها ، يثرثر مع مدرستين .

هتفت الانسة هانكوك ، « شكراً لله انك عدت . فحافلتى تغادر  
في ظرف خمس عشرة دقيقة ! اين كنت ؟ كنا نرتب للتو حتى نأتى  
لنبحث عنك . وقد ظننت انك ربما كنت قد ضللت الطريق أو سرقت  
أو شيئاً من هذا القبيل . »

تقبلت جوال العملات المقدم لها دون أن تنظر اليه ، وهى تتدلى

يمينا تحت ثقله . وسألته ، « لماذا تعطينى هذا الجوال لأمسكه ؟ انه  
 بالتأكيد ثقيل . سوف تفوتنى الحافلة اذا لم أسرع . اين النقود ؟ ..  
 ماذا تعنى ، انها فى الجوال ؟ .. أوه ، أوه ، أوه ... انا لا اصدق ..  
 انت فعلت .. أوه ، سوف اقتلك ايها ال ... » اما وقد كانت  
 العملات تعوقها ، فانها رفعت يدها اليسرى متوعدة .  
 اجابها الصبى ، « ولكن ، يا آنسة هانكوك ، لقد سألتك كيف كنت  
 تريدن تلك النقود ، وقلت بوضوح انك لم تكونى تبالين . وقد خطر  
 لى وأنا فى الطريق الى البلدة أن هذا سوف يكون رومانسيا ، كأنك  
 تحملين صندوق كنزك او شيئا من هذا القبيل . »  
 وعندما ارتجفت وجذبت نفسا عميقا ، أضاف بنبرة مواسسية ،  
 « انه يبدو كما لو كان أكثر بكثير مما هو حقيقة . »  
 قاطعه السيد دورسى ، « يا آنسة هانكوك ، يحسن بنا أن نذهب  
 اذا كان على أن أوصلك الى تلك الحافلة فى الموعد . هيا ، دعينى  
 أحمل ذلك . انه أثقل من حقيبة الثياب . » والتفت الى الصبى ،  
 « يحسن بك أن تذهب الى غرفة مراجعة الحضور وتنصرف . »  
 وعندما تحرك مبتعدا ، حمل الصبى معه صورة عينى السيد  
 دورسى الخضراوين تلمعان على وجه أحمر من تحت الحاجبين المائلين  
 وتساءل ، كيف يمكن أن يضحك دون أن يحرك فمه ؟  
 بعد ذلك ببضعة أيام ، أرسل المدير يستدعيه الى المكتب وشعر  
 الصبى أن لحظة الكشف كانت وشيكة الوقوع ، فكر مليا فى العلاقة  
 الرائعة التى كان قد استمتع بها طوال العام مع هذا الكائن الرفيع ،  
 وقرر أن يتلقى عقابه كرجل . ففى النهاية أنت تستحقه ، هكذا أكد  
 لنفسه . دخل المكتب بغصة فى حلقه ورجفة فى شفته السفلى يمكنه  
 أن يتحكم فيها فقط بأن يعض على الشفة بإحكام .  
 أعلن عن وجوده للشخصية الشقراء الطويلة القامة التى كانت تقف  
 بجوار النافذة ، « نعم ، ياسيدى ؟ »  
 « آه ، أجل ، يابورتر ، أو ياسامبو كما يسميك ابوك . اريد أن  
 أحادثك فى أمر ما . أنت رئيس الصف النهائى ، وقد أضيف الى  
 هذا أنك قد أدت عملا طيبا فى هذا الخصوص طوال العام . حسنا ،  
 هناك شيء اريدك أن تعرضه على الصف . فقد أتى الى هنا رجل  
 صاحب مؤسسة يقوم بتأجير القبعات والاردية الجامعية للصفوف  
 التى تتخرج ، وقد قررت أنها ستكون شيئا جيدا أن يفعل  
 هذا الصف ذلك . »



سأله الصبي وهو يحاول أن يعيد ترتيب توقعاته ، « ماذا تعني ؟  
أنه سيؤجر لنا القبعات والأردية لنتخرج بها ثم نعيدها إليه ثانية ؟  
كنت أظن أن عليك أن تكون في كلية جامعية حتى تفعل ذلك .  
وعلاوة على ذلك ، لن يكلف هذا كثيرا من المال ؟ »

« سوف يؤسس هذا بالتأكيد سابقة ، دون شك . لهذا أردت  
أن أشرح الأمر لك وأدعك تعرضه على طلبة الصف النهائي . سوف  
يتكلف أيجار هذا الرداء الخاص ثلاثة دولارات ونصف ، لكنكم سوف  
ترتدونه ثلاث مرات - في يوم الاحتفال بتخرج الصف . ويوم  
موعظة الثانوية العامة ، وفي ليلة التخرج . ان معظم الفتيات يحاولن  
شراء ثلاثة أثواب مختلفة لهذه المناسبات ، ومن المؤكد أن هذا سيوفر  
لهن بعض المال .

« وإذا كنت لا تعرف ، فما زالت الأيام حولنا هنا صعبة تماما ،  
وهناك في صفك بعض الطلبة الذين لا يقدرّون على شراء ثلاثة أردية  
مختلفة . والشئ الآخر بخصوص هذه القبعات والأردية هو أنها  
كلها متشابهة تماما . »

قاطع الصبي ، « يا ألهي ، لا أدري . لقد سمعت مسبقا بعض  
الفتيات يتحدثن عن ارتداء ثياب بيضاء طويلة وحمل ورود حمراء .  
وهن يتصرفن بحالة إثارة كاملة عن هذا الاحتمال . »  
« تلك هي النقطة بالضبط . ان الأمر يتعلق ببعض الفتيات . كم  
منهن لاحظت أنهن لم يقلن أي شيء عن هذا ؟ كم منهن لاحظت أنهن  
يلجأن الى الهدوء تماما أو يتظاهرن بأنهن منشغلات بشيء آخر عندما  
يطرق هذا الموضوع ؟ انني أقول لك شيئا واحدا . انني أرجو ألا أرى  
حفلا تخرج آخر تكون فيه بعض الفتيات محرجات لأن ثيابهن ليست  
جميلة أو لأنهن لا يقدرن على شراء أية زهور فيما عدا ما قد يكون  
الذي أمهاتهن في الفناء .

ان حفل التخرج هو أكبر مناسبة تحدث لبعض هؤلاء الصغيرات ،  
وهو بنفس القدر من الأهمية ان لم يكن يزيد بالنسبة لابنة مزارع  
مستاجر تماما كما هو بالنسبة لابنة عمدة . سوف تلبس الفتيات  
قبعات وأردية بيضاء والأولاد يلبسونها سوداء ، ولن يستطيع أحد  
أن ينظر الى ما يلبسون ويستخدم هذا كتقدير لما يملكه والد شخص  
ما في البنك . « تحكم في درجة أنفعال كلماته وسأل ، « ما رأيك  
في هذا ؟ »

ومتذكرا ميفيس وصديقتها في حفل استقبال طلبة الصف قبل النهائي وطلبة الصف النهائي في العام السابق ومستعيدا زياراته لبیت سالی فيتزجيرالد ، اجاب الصبي ببطء ، « انه رائع للغاية ، وانا اشعر بالخجل لاننى لم افكر في هذا الامر بنفسى . »  
قهقه المدير ، « حسنا ، لماذا لا تتظاهر بانك فعلت . تلك التفصيلة غير مهمة . »

سأله الصبي ، « أنت تعلم ان هذا سوف يثير ضجة في الصف ، اليس كذلك ؟ وسوف تسمر بعض فتيات البلدة راسى الى باب الحظيرة . ليس هناك سبيل الى ان تستطيع ان اعمالج هذا الامر من خلال اللجنة وان احافظ على الاشياء لطيفة من على السطح كما كنا نفعل طوال العام . سوف يثير هذا ضجة كبيرة وسوف يكون هناك بعض النساء الغاضبات الى الابد ، وسوف ينشذن أسئلة الدماء . »

اجابه المدير ، « لم اكن اعلم انك كنت لتراجع عن هذا . انظر ماذا يمكنك أن تفعل في هذا الخصوص ، واذا احتجت الى لاتحدث الى الصف ، فسوف يسعدنى ان افعل هذا . »  
وعندما استدار الصبي ليغادر ، تجمد فى مكانه . قال المدير بصوت يكاد يكون عرضيا ، « الأنسة هانكوك جاءت لمقابلتى . »  
« أجل ياسيدى ؟ »

« كان دورسى قد أخبرنى مسبقا عما حدث ، وقد قضيت عطلة نهاية الاسبوع افكر فيه . »

قال الصبي مرة اخرى ، « أجل ياسيدى ؟ » وهو يفكر لوهلة قصيرة فى السيد جيل ، ويشعر بوخز خفيف فى ردفه .

قال المدير ، « كانت الأنسة هانكوك ماتزال تستشيط غضبا ، لكننى أخبرتها ان ارسال طالب الى البلدة كأداة نفعية لمدرسة لديها السلطة على أن تكتب مذكرة كان أمرا يستحق التوبيخ تماما مثل طالب يذهب الى هناك لاداء عمل خاص به دون أن يسكون لديه مذكرة . وأخبرتها أيضا اننى كنت ادرك انها كانت تضايقك على نحو متصل طوال العام ، وان هذا كان أمرا شخسيا بينكما انتما الاثنان واننى اتوقع ان يكف هذا على الفور بهدنة للمدة المتبقية من العام . هل تظن أنه بوسعك أن تتصرف وفق هذا ؟ » .

وعده الصبى وهو يشعر بالارتياح ، « أوه ، أجل ، ياسيدى ، أجل سيدى . لن يكون ذلك مشكلة على الإطلاق . »

« انتظر لحظة فقط . كلانا يعلم ان ماقت به كان عملا شيطانيا ، واننى يجب ان ابلبك ضربا . » صمت ، وقهقهه ، واضاف ، « كيف أمكنك أنت ان تقنع أى انسان بأن يعطيك هذا القدر الكبير من البنسات أيها الوغد . »

لم يستطع الصبى ان يشق فى الموقف بالقدر الذى يكفى للاعتراف بأى استرخاء فكاهى فيه ، لكنه أجاب قائلا ، « لم يكن ذلك سهلا . »

وراح يعدو تقريبا فى البهو .  
لم يكن من السهل اقناع طلبة الصف النهائى بتقبل القبعات والاردية كانت العملية الفعلية بسيطة للغاية وكان التصويت بالإيجاب ساحقا ، لكن الترتيب لها والآثار المترتبة عليها كانت مدمرة عاطفيا . أصبحت حربا طبقية تقريبا ، وكان الصبى متورطا فى منتصفها تماما . واكتشف انه طالما انه كان يشعر بأنه على حق ، فانه كان بإمكانه ان يواجه العداء والغضب برباطة جاش .

كانت حربا نسوية بشكل تام . لم يكن الاولاد يهتمون قلامة ظفر ماذا يرتدون وأدلوأ بأصواتهم ليرضوا الفتيات اللاتى كانوا يشعرون بالولاء نحوهن فقط لاغير . ورغم المشاعر المتضاربة وفى وجه الضغط الذى جاء من الفتيات اللاتى كان يعجب بهن حقا ، إلا أن الصبى ناقش بحمية فى صف السابقة الجديدة . تمنى او انه كان بإمكانه أن ينسى بعض الاتهامات والاحتجاجات العنيفة . وعندما انتهى كل شئ ، على الرغم من انحيازه الصلب الى غالبية أقرانه . شعر بندم صصادق لخيبة أمل فتيات البلدة المحبطات . كان يعلم أنهن كن يكرهنه . لم يكن وحيدا لمدة عام تقريبا ، والآن راح يرحب باحتمال الوحيدة بصفتها صديقا عائدا .

عندما انتهى من كتابة خطبة الوداع ، بحث عن السيد دورسى وطلب منه أن يقرأها . وفى منتصفها تماما ، توقف السيد دورسى ، وشمر كم قميصه وقال ، « انظر الى هذا ان جسمى يقشعر ! وذلك يعنى أن هذا لابد أن يكون جيدا . »

نسى الصبى على الفور انه كان وحيدا على الإطلاق فى حياته . وقال السيد دورسى فيما بعد والصبى يعيد الخطبة الى دفتره ،

« هناك شيء ينبغي على أن أخبرك به . هل تذكر الخريف الماضي عندما أخبرتنى عن الطموح الذى كان لديك الى الحصول على امتياز بدرجة الشرف الاولى ؟ وقلت لك اننى راجعت سجلك وانه كان يبدو أنك كنت متقدما قليلا ؟ حسنا ، لقد كنت قد فزت بها دون حاجة الى مجهود أكثر حتى عند ذاك . لم يكن هناك شك مطلقا فيمن سيفوز بها . »

وأضاف أجابة على السؤال الذى كان يشرق فى عيني الصبى ، « أردت فقط أن أرى مايمكنك أن تفعله لو أنك حاولت حقا وما اذا كان لديك قليل من التوجه . »

« أجل ، وشغلتنى وايقنتنى بعيدا عن المشاكل طيلة العام . » وبضحكة بعينين نصف مغمضتين ، صححه السيد دورسى ، « تقريبا طول العام ! » وضرب الصبى بين كتفيه بقوة الى درجة أنه وقع تقريبا . قال ، « تهاتى ! »

وفى ليلة التخرج ، دخل طلبة الصف النهائى فى طابور الى قاعة الاحتفالات وهم يبدون مدرسيين وجادين بشكل مؤثر وهم يرتدون قمماتهم وارديتهم ، كان لكل طالب شخص ما بين الجمهور فخورا الى حد الانفجار . لم يعلق أحد على أن معظم الخريجين كانوا يوازنون قلنسواتهم الجامعية كما لو كانت برقايم تشنجات . وكانت هناك فتاتان مائزتان غاضبتين كما لو كانتا قد سلبتا ثوبيهما الابيضين وورودهما الحمراء الى درجة أنهما همستا للصبى ، « أرجو أن تكون راضيا . » غير أن الموكب لم يفسده شيء آخر . كان الصبى مفعما بالذكريات الى درجة أنه كان يفص بالدموع تقريبا . وقد خفف من العاطفة التى كان يشعر بها تجاه زملائه وعيه بوجود أبيه على خشبة المسرح . كان هناك بصفته مشرفا على المدارس ليقوم بتسليم الدبلومات . وكان يرتدى حذاء أبيض جديدا من جلد الغزال لهسهه المناسبة وبدا أفضل مما بدا والد أى واحد أبدا .

وخلال الابتهاال وخطاب المتكلم الزائر ظل الصبى يتذكر أحداث السنوات الاربع الماضية التى امتزجت فى هذه اللحظة . تعجب لعدد الذكريات التى كانت تدور حول أبيه والعدد الأكبر منها الذى كان يضمه . لاحظ أن هذه كانت المرة الاولى منذ الصف الثامن وباتريك هنرى التى كان الاب سيسمعه فيها وهو يتكلم فى مناسبة عامة . أقسم أن يبذل قصارى جهده فى خطبته الليلة ، لا من أجل



زملائه ، ولا من أجل السيد دورسى ، ولا من أجل نفسه ، وإنما من  
أجل أبيه . قال لنفسه ، اننى مدين له بالكثير .

عندما حان دوره فى البرنامج ، كان هادئا ، متحكما فى نفسه ،  
وبليغا . استخدم كل حيلة تعلمها على الاطلاق من السيدة باركر  
والقى خطبة الوداع بثقة كبيرة . وعندما وصل الى نهايتها ، شرع  
فى قراءة نصيحة رديارد كبلنج للشباب ، وهو يتذكر الا يكون رتيبا  
او أن يستسلم للوزن فى القاء الشعر .

اذا استطعت أن تحتفظ برأسك فى حين أن كل من حولك يفقدون  
رعوسهم ويلقون باللوم عليك .  
وبعد بضع دقائق اختتم بـ ،

اذا استطعت أن تملأ الذققة التى لا ترحم  
بما يساوى ستين ثانية من سباق المسافات ،  
فالارض لك وكل ما عليها ،  
وسوف تكون ما هو أكثر ، رجلا ، يابنى .

وحين استدار يصاحبه التصفيق ليعود الى مقعده بين رفاقه ،  
واجه أباه . التقت عيناها للحظة . لم يتبادلا غمزة . ولم يتحرك  
تعبير يستطيع آخر أن يكشفه ، لكن الصبى شعر أنه قد تقبله  
واستحسنه بطريقة وعمق لم يجربهما مطلقا من قبل .

وعندما قام المدير بتقديم أبيه ، تذكر الصبى حفلات تخرج سابقة  
والخطب القصيرة المؤثرة التى كان أبوه يلقيها دائما . فمرارا  
كان يصبح عاطفيا الى درجة أن أولاده كانوا يشعرون بعدم الارتياح  
بل ومن آن لآخر محرجين . كان يرجو ألا تكون هناك اشارات  
شخصية اليه او الى دوره فى البرنامج . توتر . نبض الاب ،  
وسار الى الطاولة التى كومت عليها الشهادات ، وبأكتاف مشدودة  
وقف انتباها .

قال الصبى لنفسه ، أوه ، يا الهى ، انه يبدو مثل لواء يستعرض  
قواته . سوف نسمع شيئا عن الحرب العالمية . انه يبكى دائما  
ويجعل كل واحد آخر يبكى حين يستخدم الحرب العالمية فى  
خطاب .

سكن الجمهور . ووقف الرجل الطويل المعتدل القامة بثبات  
مسيطر . ومرت لحظة طويلة . كان الصمت شاملا . منذ الاب يده ،

وتناول الدبلوم الاول وتروتم بالاسم المكتوب عليه . كان التخرج يصل الى نهايته .

وعندما كان الصبى يعبر خشبة المسرح ليتسلم شهادته ، لم يكن بإمكانه ان يتبين اى نظرة خاصة فى عينى ابيه . لا ولم يشعر بأن المصافحة القوية كانت مختلفة فى شىء عن المصافحة التى استعملها مع اى طالب آخر . وعندما عاد الى مقعده قال لنفسه ، ارجو ان يكون لديك ادراك بالقدر الذى يكفى لان تعلم ان تلك المصافحة كانت اعظم اطراء امتدحتنى به على الاطلاق . وعندما أحنى رأسه ليتقبل منح البركة ، اغرورقت عيناه بالدموع وأضاف ، ارجو ان تكون قويا بالقدر الذى يكفى لان تعمل وفقا لذلك .

بعد ذلك بثلاث ليال أوقف من نوم عميق . كان أبوه يهزه .  
« استيقظ ، ياسامبو . أريد أن أتكلم معك . »  
طرفت عينا الصبي وفتحهما على اللحظة الحاضرة ، وتعرف على  
رائحة الويسكى الحامضة الحلوة في عملية التمثيل الفذائي ،  
تلك الرائحة التي كانت تنفثها رثتان نشطتان ، واستيقظ تماما .  
أجاب ، « أجل سيدي . ماذا هناك ؟ »  
« أنني أكره أن أفعل هذا ، ولكنني أريدك أن تعرف شيئا  
من مصدره الأول . أريدك أن تسمعها مني قبل أن تسمعها في  
أي مكان آخر . » كانت نبرته تنذر بكارثة إلى درجة أن الصبي جلس  
منزعجا .  
« أنت لم تدخل السجن مرة أخرى ، اليس كذلك ؟ »  
أجابه الأب ، « بلى ، بلى . لا شيء من هذا . » صمت ثم واصل  
كلامه ، « لقد أوسعت لتوى صديقا حميما لك ضربا ، وأنا أدرك الآن  
أنني لم يكن ينبغي علي أن أفعل ذلك . »  
شوق الصبي ، « أوه ، يا أبي . هل كان السيد دورسي ؟ ماذا  
فعل ؟ أو قال ؟ »  
قاطعه الأب ، « اصمت دقيقة فقط ، يا بني ، ودعني أخبرك بالامرء  
بالجحيم ، لا ، لم يكن دورسي . جاء ويسى إلى البلدة عصر اليوم  
واستدعاني للخارج . وانت تعلم أنه ليس لديه محصول خاص به  
الآن مع جدتك لكنه قرر أنه كان يريد أن يعمل هذه السنة كلها  
كعامل أجير . كنت قد أخبرته أنني لم يكن لدى مانع وأنه كان  
ما يزال بإمكانه أن يحتفظ ببيته والخشب مجانا ، وكان كل شيء يسير  
على مايرام . »  
صمت ، وعدل كتفيه في سترته ، ومط عنقه . أدرك الصبي ،  
على الرغم من أن رائحة الويسكى كانت قوية للغاية ، أن أباه كان  
يتكلم ببساطة وقصاحة بدون تأكل كلمات ولا استعارات فخمة .  
قال لنفسه ، يا الهي ، لقد أستعاد وعيه مسبقا .

واصل الأب حديثه ، « علي أي حال ، أخبرني ويس عصر اليوم أن بدى كان قد ذهب إليه في بيته وقت الغداء وانخرط معه في حديث . أنت تعلم أنه ظل يعيش مع كارسون كليفتون منذ أن تزوج حسينا ، أخبر ويس أن أحد عمال كارسون قد انتقل إلى ديترويت في منتصف الليل . وقد ترك بيتا خاليا ومشرة أفدنة قطنا شذبت مسبقا ، وأنه يبدو أن كارسون يبحث عن شخص يتولى أمر الحصول . وتقدم بدى بعرض قائلا لويس كم أن بيت كارسون أفضل من بيتنا . وأخبره أنه إذا لم يكن يريد أن يتقاسم محصول القطن ، فإن السيد كارسون سوف يعطيه خمسين سنتا يوميا فوق ما أدفعه له لجرد أن يأتي ليرعاه . ويبدو أن بدى كان ودودا للغاية ومقنعا جدا بشأن متع العيش في مزرعة كارسون كليفتون بما يكفي على الأقل لأن يأتي ويس إلى البلدة ليرى أن كنت أريد زيادة أجره . »

تدخل الصبي ، « وأوسعت ويس ضربا . »

قال الأب بنبرة نفاذ صبر ، « يا للجحيم ، لا . لم المس ويس بأصبع . لقد ظل معنا مايزيد عن عشرين عاما ، بل لم أقبل أي شيء له . نظرت في عينه مباشرة تماما لمدة دقيقة . شرع يتلوى ويتململ ثم أكد لي أنه لم يكن يريد رفع أجره ، وأنه كان يريدني فقط أن أعرف أن زنجيا يتدخل فيما لا يعنيه كان يعبت بعمالي وأنتى كنت أفضل رجل رئيس في العالم . »

« أخبرته أنه قد أحسن التصرف وأعطيته دولارين ليشترى لنفسه حلة عمل جديدة . لم أرفع صوتي قط علي ويس . لم تكن بي حاجة إلى ذلك . »

حملق الصبي بصمت كصمت اليوم ، وواصل أبوه حديثه ، « عدت إلى الصيدلية وشربت كأسا أو كأسين وفكرت في الموقف . وانت تعرف أن الشيء الوحيد الذى ينبغي عليك عمله هو أن تعتنى بعمالك عليك أن تجعلهم يعرفون أن بإمكانهم الاعتماد عليك حتى تساعدتهم إذا كانوا فى مشكلة وأن تعطيتهم تقودا اضافية فى حالة طارئة أو أن تحول دون أن يضايقهم أحد . وتأتى أوقات ينبغي عليك فيها أن تفعل شيئا لا تريد أن تفعله حقا لأنك إذا لم تفعل فسوف يسوء كل شيء . »



صمت ، وسأله الصبي وهو لا يصدق ، « وجلدت السيد كارسون كليفتون ؟ »

« لا ، لم أجلد ابن العاهرة ذلك ، على الأقل لم أجلده بعد . ربما كان هو الشخص الذى كان ينبغى أن أنال منه ، وربما ما أزال فى حاجة الى أن أفعل هذا . لا ، قررت أن كل من له علاقة باوَضوع يجب أن يلحق درسا حقيقيا ، وبقدر ما كنت أكره ذلك ، ذهبت فى أثر بدي . »

همس الصبي ، « لا ، لم تفعل ! ليس بدي ! »  
« أجل ، فعلت . ألا ترى ؟ الأمر كمبا كان حتى ويس يقول . لا يمكنك أن تدع الزوج يعبثون بأعمال الناس البيض . ذهبت الى بيت بدي لالقنه درسا ولأجعل الجميع يعلمون اننى متحكم فيما يحدث لرجالى . كل ماكنت أنوى أن أفعله هو أن أكيل له بعض الصفعات وأن أخيفه تماما . »

« أوه ، لا ، أنت لم تؤذه ، اليس كذلك ؟ »  
أجابته الاب ، « ذلك مأسوف أصل اليه ، وذلك هو الجزء الذى أكرهه حقا وذلك هو سبب ايقاظى لك لاخبرك به . لم يشأ أن يجيبنى ، وكان على أن اركل باب بيته لافتحه . كان فى السرير مع زوجته ، أنا آسف أنها كان عليها أن ترى الموقف كله . »

طلبت منه أن يغادر ذلك السرير ، وأن جلدا كان بانتظاره لازعاج عمالى ومحاولته التدخل فى أعمالى ، وشرع يتوسل . قال ، « ياسيد بورتر ، أنت لا تريد أن تفعل هذا . لقد كنت لى بمشابة والد آخر ، والآن ارجوك ، ياسيدى ، انظر الى هذا كله بامعان حقيقى وفكر ثانية بدقة حقا وعد الى بيتك ؟ وهل تعلم شيئا ؟ كدت أن أفعل هذا . »

فكرت فى أمه وأبيه وكم كانا مخلصين طوال تلك السنين ، وفى تقديرنا جميعا لهم ، وكدت أخرج حقا . ثم استشطت غضبا من جديد من بدي لافساده الامور وأمسكت به من قميصه وصدفعتة صفعه قوية ، وهل تعلم أنه استعد لقتالى ؟ دفعنى الى الخلف فى الغرفة الاخرى وعلمت اننى كان أمامى عمل على أؤديه . وأخيرا كان على أن أضربه بمسدسى حتى سقط - أنه قوى كالثور - وعند ذاك جن جنونى منه حتى شرعت اخنقه بكلتا يدي ، وعندما ثبت الى رشدى كنت على وشك أن أفقا إحدى عينيه . »

رقد الصبى متصليا مرتعبا ، يحدق فى أبيه بحدقتين متسعيتين ،  
والغثيان يسرى فى روجه ، وهو لا يجرؤ على التنفس .

قال أبوه بفظاظة ، « حسنا ، ما حدث قد حدث ، ولاتبك على ماء  
فوق الخزان ، واللبن المسكوب وما الى ذلك . حملته فى سيارتى  
وذهبت الى بيت كارسون واخبرته بما فعلت . ثم اصطحبت بدى  
الى الطبيب واخبرته اننى كنت اريد له افضل علاج طبى يمكن للمال  
أن يشتريه واننى سأتكفل به .

« خاط بضعة جروح فى رأسه ، لكنه يقول ان العين لا يمكن  
انقاذها . طلبت منه أن يتصل بأفضل طبيب عيون فى أتلانتا وان  
يخبره اننى متكفل بفاتورة العلاج . وقد حمله كارسون كليفتسون  
وصبياناه الى المستشفى ، وفكرت فى ان احضر الى البيت واخبرك  
كم أنا آسف ان كل ذلك حدث . »

ولاول مرة فى حياته ، سمع الصبى نغمة مترددة فى صوت أبيه  
لكنه كان ذاهلا الى درجة أنه لم يكن بإمكانه أن يلتقطها لیسىء اليه .  
سأله بهمسة مكتومة ، وهو يحاول أن يكتم صرخة ، « لماذا لاتقول  
ذلك لبدى ؟ »

أجابه الاب ، « فعلت . وهل تعرف ماذا قال ؟ قال - وهذا بارق  
واهذا صوت سمعته فى حياتك - « حسنا ، ياسيد بورتر . كل  
شئ سيكون على مايرام . اعرف انك كنت تشرب . »  
توقف عن الكلام ونظر الى الصبى . كانت سكتة حبلى . وبعينين  
تتقدان بالكراهية ، وجسمه يتوق الى اطلاق ضربة عنيفة ، وصوت  
مايزال مكبوحا بصرامة الى درجة الهمس ، صوت الصبى نظرتة  
بشكل مباشر الى عيني أبيه .

قال ، « سوف أموت واتعفن فى الجحيم قبل أن أقول ذلك  
لك أبدا . »

حظ صمت أكثر طولا . وبدون أن يتكسر حدة النظرة المحدقة  
التي كانت تشكل جسرا بين عيونهما ولكنها كانت تشكل حاجزا بين  
روحيهما ، قال الرجل أخيرا ، وبدون تغيير فى درجة صوته ، « أردت  
أن تعرف . »

استدار وقادر الغرفة .

جذب الصبى ركبتيه تحت ذقنه ودس الملاء فى فمه ، وبكى حتى  
تورمت عيناه وراح الفواق يرفجه فى نوبات مؤلمة . فكر فى الرقعة

التي زرعت بطيخا ، والكوكلو كس كلان ، ودوامة جدول وايتوتر البنية  
اللون ، وخطبة باتريك هنري ، ورائحة المكتب في دار القضاء ،  
وفريمان في معمل العصير ، وخشبة المسرح الساطعة الاضاءة عند  
التخرج .

سقط على الارضية ، وركع وهو يرتجف وركبتاه عاريتان لصق  
السريـر . ارتعد بـتنهيدة عميقة ، وارغم جسده على السكون . وصلى  
بانفعال مشبوب وعميق وبسيط ، « يا ابانا الرحيم الذي في السماء،  
ماذا أفعل ؟ اننى احبه كثيرا ! »

رقم الايداع : ٨٧ / ٣١٣١  
الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١١٨ - ٢٩٦ - x



روايات الهلال تقدم

## الزهراء فى مكة

بقلم  
فاروق خورشيد

تصدر ١٥ مايو ١٩٨٧

الكويت: السيد عبدالعال بسيونى زغلول  
الصفحة - ص . ب رقم ٢١٨٢٣  
تليفون ٧٤١١٦٤

(اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية)

اشترك  
فى  
روايات  
الهلال

# هذه الرواية

لم تود روايات الهلال أن تحرم قارئها من متعة متابعة مغامرات الطفولة الجميلة التي عاشها أحد الصبية في الجنوب الأمريكي . فقامت بتقديمها كاملة للقارئ على جزئين . وها هو الجزء الثاني من « الركض مع الفرسان » الذي نتابع فيه رحلات أخرى لبطلنا في عالم وردى جميل . حيث ملأه بالمغامرات الشائقة والحكايات المسلية حتى إذا انصرمت سنوات الطفولة لم يعد يبقى منها سوى أحلى ذكرياتها التي دونها الكاتب الأمريكي فيرول سامز بحذافة فنية ماهرة .. يذكرنا بأبطال مارك توين من قوم سوير الى هاكلبري فن الذين ملأوا أوائل القرن العشرين بمداعباتهم وشقاوتهم فأصبحوا رمزا له ..

بطل فيرول سامز هنا الذي يرمز له باسم « الصبي » عاش في نفس الأجواء وسبح في نفس النهر وتلصص بنفس الأسلوب .. وبعث على الاضحاك بنفس البهجة .. فتعال نستكمل رحلته الممتعة في الجزء الثاني من « الركض مع الفرسان »

Bibliotheca Alexandrina



0393881

AL-HILAL  
APRIL 1987

٧٥ قرشا

الجزء الثاني